

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : سنة ١٩٢١ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تشرى دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٢ م

الحرم وصفر سنة ١٣٦١ هـ



دمشق

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ٤٠٠ ٠ ٠
الدفع مقدماً

مطبعة المشرق بدمشق

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق	٢٦	الدكتور نقولا فياض	بيروت
٢	الدكتور اسعد الحكيم	«	٢٧	السيد عيسى اسكندر الملوغ	زحلة (لبنان)
٣	الشيخ بهجة البيطار	«	٢٨	« طارق التكددي	حيرة (لبنان)
٤	السيد خليل مردم بك	«	٢٩	الشيخ احمد رضا	حبل طامة
٥	« رشيد بقدونس	«	٣٠	« سليمان ظاهر	
٦	« سليم الجندي	«	٣١	« سليمان احمد	اللاذقية
٧	« شفيق جيري	«	٣٢	السيد ادوار مرقص	«
٨	الشيخ عبد القادر المبارك	«	٣٣	الشيخ محمد زين العابدين	اقلية
٩	« عبد القادر المغربي	«	٣٤	السيد محمد اسعاف النشاشيبي	القدس
١٠	السيد عز الدين التوحي	«	٣٥	« عبد الله مخلص	«
١١	« فارس الحوري	«	٣٦	الشيخ رضا النسيبي	بغداد
١٢	الدكتور مرشد خاطر	«	٣٧	الاب انتاس ماري الكرملي	«
١٣	السيد معروف الارناؤوط	«	٣٨	السيد كاظم الدجيلي	«
١٤	الامير مصطفى الشهابي	«	٣٩	« معروف الرصافي	«
١٥	الشيخ بدر الدين النعني	حلب	٤٠	« طه الراوي	«
١٦	« راغب الطباخ	«	٤١	الشيخ محمد بهجة الاتري	«
١٧	« عبد الحميد الجابري	«	٤٢	« مصطفى باننا عبد الرازق	مصر
١٨	« عبد الحميد الكيالي	«	٤٣	السيد عبد العزيز البشري	«
١٩	السيد سوربوس افرام	«	٤٤	السيد خليل ثابت	«
٢٠	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت	٤٥	« أحمد بك آوين	«
٢١	« فؤاد الخطيب	«	٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	«
٢٢	السيد بولس الحولي	«	٤٧	« محمد لطفي جمعة	«
٢٣	« عمر الفاخوري	«	٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	«
٢٤	النيكونت فيليب دي طرازي	«	٤٩	« أحمد لطفي السيد باننا	«
٢٥	الشيخ مصطفى الفلايحي	«	٥٠	السيد خير الدين الزركلي	«

أعضاء المجمع العلمي العربي

٤

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
٥١	الدكتور أمين باشا الطوف	مصر	٧٠	السيد هوتما	محل الإقامة
٥٢	خليل مطران بك	«	٧١	« أرائدوتك	هولاندة
٥٣	السيد عباس محمود العقاد	«	٧٢	« كرشكو	«
٥٤	الشيخ محمد الحضر حسين	«	٧٣	« بروكن	انكلترة
٥٥	السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس	٧٤	« هارتنان	لشانية
٥٦	الشيخ عبد الحى الككتاني	فاس	٧٥	« ميتغوخ	«
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	« زترستين	السويد
٥٨	السيد عبد العزيز الميني الراجكوتي	الهند	٧٧	« اوستروب	الدانيمارك
٥٩	« عباس إقبال	طهران	٧٨	« مويك	فينا
٦٠	« ماريه	تونس	٧٩	« ماهر	بودابست
٦١	« مام	الجزائر	٨٠	« كوفالكي	بولونية
٦٢	« كولان	رباط (مراكش)	٨١	« كراتشكوفكي	ليننغراد
٦٣	« كي	«	٨٢	« موزل	براغ
٦٤	« دوسو	باريس	٨٣	« كريكو	فلاندة
٦٥	« ماسينيون	«	٨٤	« ماكديفالد	أميركا
٦٦	« يوبا	«	٨٥	« هرزفلد	«
٦٧	« آسين بلاسيوس	مجرط (اسبانيا)	٨٦	« فيليب حتي	«
٦٨	« لويس	لشبونة (البرتغال)	٨٧	الدكتور سعيد أبو حمرة	البرازيل
٦٩	« هيس	سويسرة			

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٣	السيد مالنجر	دمشق
٢	« مسعود الكواكي	«	٤	الشيخ سليم البخاري	«

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
٥	السيد الياس قنسي	دمشق	٣٥	السيد مصطفى صادق الرافعي	مصر
٦	: أنيس علوم	"	٣٦	أحمد بكال باشا	:
٧	: جميل النظم	"	٣٧	أحمد تيمور باشا	:
٨	: سليم منحوري	"	٣٨	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	:
٩	: عبد الله وعد	:	٣٩	الدكتور يعقوب صروف	:
١٠	: أمين الرنجاني	بيروت	٤٠	السيد اوجينيو غرينيني	:
١١	: حسن يسم	:	٤١	" رفيق النظم	:
١٢	الأب لويس شيخو	:	٤٢	الشيخ محمد بن أبي غنم	الجزائر
١٣	الشيخ عبد الله البستاني	:	٤٣	السيد رية بامه	:
١٤	السيد خير ضومط	:	٤٤	: ميشو بلاير	طنجة
١٥	: عبد الباسط فتح الله	:	٤٥	: زكي مغاز	الاستانة
١٦	الشيخ عبد الرحمن سلام	:	٤٦	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
١٧	السيد جرجي بني	طرابلس الشام	٤٧	السيد فران	باريز
١٨	الدكتور صالح قنبار	حماه	٤٨	: كليمان هوار	:
١٩	الأب جرجس شلعت	حلب	٤٩	: جودي	إيطاليا
٢٠	السيد جرجس منش	:	٥٠	: نلينو	:
٢١	" قسطنطين حمي	:	٥١	: هومل	ألمانيا
٢٢	الشيخ كامل النزي	:	٥٢	: ساخو	:
٢٣	السيد ميخائيل الصقال	:	٥٣	: هوروفيتز	:
٢٤	الشيخ خليل الخالدي	القدس	٥٤	: مارتين هارتمان	:
٢٥	السيد نخلة ذريق	:	٥٥	: موشه	سويسرا
٢٦	الشيخ سيد الكري	طولكرم	٥٦	: سنوك هوغرينه	هولاندة
٢٧	: جميل صدقي الزهاوي	بغداد	٥٧	: مرجليوث	انكلترا
٢٨	: محمود شكري الآلوتي	:	٥٨	: بنج	:
٢٩	: احمد الاسكندري	مصر	٥٩	: براون	:
٣٠	أحمد زكي باشا	:	٦٠	: بول	الدانيمارك
٣١	أحمد شوقي بك	:	٦١	: بدرسن	:
٣٢	السيد أسد خليل داغر	:	٦٢	: اغناطيوس غولد صهير	بودابست
٣٣	حافظ ابراهيم بك	:	٦٣	الشيخ ابو عبد الله الرنجاني	زنجان
٣٤	الشيخ محمد رشيد رضا	:			

هل تمدنا؟^(١)

« ادعى بعض الهازلين ان مقياس تمدن أمة ما تنفقه من صابون وخطابيع يريد ، وهذا التعريف الغريب غير كاف للابته عن معنى التمدن ، فعلى الممدّن ان يعرف بعض امرار القوى المحيطة به ، ويقتصر ما تكتر معلوماته من هذا القليل يكون حفظه من المدنية أوفر . واضمحي هو اندي لا يفهم شيئاً من أمور العالم ، أما نحن فقد فهمنا أكثر منه قليلاً قليلاً . ومنها ان معرفتنا بأن الجدري مرض جرثومي ينتشر ولكن لا بفعل ملك جبار بعد من المدنية . وعلّحنا بأن خسوف القمر يحصل من اعتراض الارض بينه وبين الشمس ولا يخف من فعل تنين يأكله ، بعد خروجاً من الوحشية بعض الشيء . والقول بأن الهواء ثقيل ويتألف من غازين مختلفين ينم عن بلوغنا درجة من الرقي العقلي .

« والواقع ان معرفة الأشياء أحياناً تستلزم امكان الانتفاع بها وتطبيقها على حاجتنا ، فمتى عرف ان الجدري ينشأ من جرثومة وانا في امكاننا وقاية اجسامنا اذا اتينا تلك الجرثومة بجرثومة اخرى ، فهذا يقال له تمدن لأنه جزء من معرفة الأشياء . وفي وسعنا بالاعتداد على هذه المعرفة نفسها ان نكون بآمن من الجدري وان نبدد بعض اعراض البؤس الشديد .

« وهناك فرض آخر بسيط للغاية ذلك انا اذا ادعينا انا نعم الآن جميع الامرار التي يعرفها البشر بعد قرن فنحن أكثر تمدناً مما نحن اليوم ، ولنا أن نقول ان رجال هذا العهد أكثر تمدناً مما كان معاصرو ليوناردي فنشي ، ومن عاصروا هذا الرجل أكثر تمدناً من جنود اغامنون . ولا يفهم من معنى التمدن فرط السعادة ابداً ، فقد يحدث ان يسي الناس كثيراً استعمال المنافع التي أتاها بها العمل العلمي المستديم فلا يحصل الانتفاع بالعلم . فاذا كانت الطيارات تستخدم خاصة في حرب

(١) حديث القاه البدي محمد كرد علي في راديو فلسطين بالندرس يوم الخميس في ٢ رمضان سنة

المدن فالطيران اكتشاف مغر ، واذا كان من ارتقاء الكيمياء أحداث غارات سامة تهلك سرية من الجند في بضع دقائق فالكيمياء علم ملعون . فالتمدن اذا بالمعنى الصحيح الذي يدل عليه ، هو مقدار عظيم من العادة تحف حياتنا البشرية ، ولا تقوم الا بمعرفة الأشياء وباستعمالها المنيد . واخاجة تستلزم فوق هذا ان يضم اليها ماله علاقة بالأخلاق كالنساند والاخاء الانساني وحرمة الحق . وحتى ثابت ما اقترحناء من ان سعادة البشر تتوقف على ارتقاء المعارف خاصة .

« لا يقوم تمدن ولا رفاهية بدون معرفة طبائع الأشياء ، ولا تكون الحياة بخير هذا الا وحشية وفي أقسى وحشيتها ، فالواجب صرف العناية الى الخير لا الى الشر . وبعبارة أخرى ان العلم شرط ضروري للسعادة البشرية ويتوقف على أمور أخرى . ان فعم قليل من الأمور في العالم ضروري لسعادة اناس العظمى او لشقايتهم ، وكل ارتقاء في العلم هو ارتقاء في المدنية ويعاون على سعادة البشر . »

هذا ما قاله العلامة شارل ريشه⁽¹⁾ في كتابه العالم . وعرفنا الا فرنج المدنية أيضاً بأنها وحدة مركبة من الأفكار السائدة والعادات الراسخة التي يعيش في سلطانها كل انسان عاش مجتمعاً مع غيره ، وفي كل مكان جمع أناساً كانت بينهم علائق مستقرة او متزلزلة ، وكان من هذه العلائق صفات وكفايات وبعض قوة او بعض ضعف ، ومن كانت حاله كذلك فصنفه بأنه متمدن . والفرق بين الشعوب الحمجية والشعوب المدنية ما تمتعت به هذه من أوضاع سيامية وادارية وثروة عامة وثقافة أدبية وفنية وعلمية واستقلال نسبي وان يكون ثمت توسع في العمل وسير الى الامام في النظام الاقتصادي والعقلي والأدبي فالرجل المتمدن هو الذي يرمي بعصره الى المستقبل ، وهذا التعريف كاف لتمييزه عن المتوحش الذي يعيش كل يوم بيومه ، ويستهلك في الحال كل ما يستحصل ، ويسرف في قوته تلذذاً بالامراف واللعب فقط ، وهو ابدأ ينظر الى الماضي ويلهو بالحاضر ولا ينظر الى المستقبل . واختلفوا في

(1) Charles Richet: Le Servant (Dans les caractères de ce temps.)

كتاب العالم لشارل ريشه (من مجموعة أخلاق هذا العصر)

الأسباب التي تنبعث منها المدنية فقال بعضهم ان المدنية تنبعث من العنصرية وقال بعضهم انها من ثمرة الدين وقال كثرا من ركس ان المدنية بمجموعها (التشريع والاسرة والفن والعلم والأخلاق الخ) هي محصول الأسباب الاقتصادية ومرآة العوامل المادية . وسأل بوكل المؤرخ الانكليزي هل كانت الثقافة العقلية او الثقافة الاخلاقية هي التي تساعد على انبعث المدنية ورجح العامل الأول أي الثقافة العقلية (١) .

وبعد فقد توفرت بعض الأقطار العربية وفي مقدمتها مصر منذ القرن الماضي على السير في طرائق التمدنين فبلغت بعد ثلاثة أجيال درجة عالية من التمدن ، وظل الجيهور الأعظم من بنيتها على وحشيتها ، فانقرجت مسافة التمدن بين ابن الريف وابن المدينة . وكذلك يقال في الشام فان المدنية دخلت منها وظلت البوادي ومعظم القرى على ما كانت عليه . وانك لترى في مصر والشام لعمدنا تمدناً لا يقل عن تمدن الشعوب الاوربية والى جانبه انحطاطاً عجيباً لانية بينه وبين الترقى الذي بلغه سكان الحواضر .

لا جرم ان مظاهر الحضارة في كل بلد من بلدان الشرق والغرب متفاوتة ، فابن المدينة غير ابن القرية ابداً ، والتفاوت في مصر والشام عظيم جداً بين الحواضر والأرياف . وكلامنا نحصره في ذينك القطرين لانهما اول الأقطار العربية التي نهضت في العهد الأخير في هذا الشرق القريب . تبين شديد بين القروي والبلدي واكثر منه بين البدوي والحضري ، ولا يقل عنه الفرق بين المتعلم والجاهل .

ففى العلم الحديث على كثير من انحرافات كان الناس في العصر السالف يعدونها حقائق ثابتة لا تقبل الرد والنقض . كان الناس يعتقدون ان القمر ينحسف بفعل حوت يهيم بأكله وانهم اذا ضربوا له بما يفرعه يفلت من أنياب الحوت ، وان الارض واقفة على قرن ثور وانها ثابتة لا تدور . وان الطواعين

(١) Nouveau Larousse Illustré ' Art. Civilisation '

لاروس لاروس المصور (مادة : تمدن)

Towner: La philosophie de la civilisation (Traduit de l'Anglais).

فلسفة التمدن لتوفر (مترجم عن الانكليزية)

والاوبئة من فعل الجن ، ولا يعتقدون بالعدوى ولا يعترفون بوجود الجراثيم ، مع ان في السيرة النبوية احاديث تحذر من مداواة المريض ، وتقول بالنسبات المهلكة اي بالجراثيم ، وكانوا يتطهرون بالأيام والأناسي والحيوان والطير ، ويتجنبون بمن يقع من أنفسهم موقعا حسنا او توههم الخيلة انهم مصدر للخير ، ويتطيّبون بالأدعية والتعاويذ ، ويحبون بالطلاسم والرقى ، ويؤمنون بالمغيبات والكرامات ، ويأنسوت بالخرافات والخرعبلات . وقد بطل كل أولئك في البيئات المتعلمة ، ولم تخل بعض البيوت من بقايا محسوسة من هذه المعتقدات لأن عدد المتعلمين والمنعلمات من الأبناء والبنات أقل من الأميين والأميات .

كانت الناس حاشا العلماء يحسنون ظنهم بالطرق والمشايخ فبطل هذا الاعتقاد في كثير من المدن والقرى . واذا ذكرت الآن أمام أناس وكانوا ممن أسعدهم الحظ بأن تعلموا التعليم الابتدائي او ممن عاشوا في بيئة راقية وسمعوا كلام المثقفين ضحكوا ممن يعتقد بها . وعلى هذا غدا الناس يستعملون عقولهم وكانوا مدة قرون يسلّمون بكل ما سمعوا من كبير او ممن يعتقدون انه افهم منهم . وكان يهون على الذج ان يقضوا أياما طويلة كل سنة لحضور الموالد وزيارة المشاهد وكان الناس في مصر وايران بل في فلسطين أيضا يعطلون أشغالهم كل سنة للاشتراك بمولد بعض الأولياء وندبة أحد الشهداء ، فأبطلت الحكومات ذلك فعد ابطالها من علامات التمدن ، وكمن اعتقاد كان راسخا في الصدور بقوة الجهل ، وتسلسله من الأجداد الى الأحفاد ، فعاق المرء عن التعلم والأخذ بالأسباب ، فترع من الصدور ووقف المعتدلون من المتعلمين عند حد ما رسمته الشريعة من المعتقدات ونبذوا ما زاد عليها وهذا أيضا من التمدن .

كان جمهور الأمة يؤمن ايمانا غريباً بالسحر والتنجيم واستخراج البخت والنال وتأثير العين وتقع الطلسمات والرقى فندا اليوم ينكر صغار قيات المدارس هذه الأمور ولا يسمع آباءهم وأمهاتهم الا أن يقلدوهم في متقدم وهذا اعتراف ضمني من الأميين او ممن كان في طبقتهم بأن التعلم أكثر معرفة ثم أكثر تمذنا ممن لم

يتعلم ولم يتثقف . كانوا الى عهد قريب يؤخذون بكلام كل من يقص عليهم غريبة فيعتقدون صحتها ويمضون أمر من رويها ويمدون عمله من القربات فاصحاح كل ذلك ، وهذا أيضاً من المدينة حل العقل محل الجهل .

واذا جئنا نوازن بين حالنا اليوم وحالتنا في أواخر القرن الماضي من حيث الاجتماع والتنظيم والبعدها ما أمكن عن التحريف والاعتقاد بالمجهولات تشهد مغتربين أنا خطونا خطوات واسعة في خمسين سنة ما خففتها أكبر الأمم الحديثة تمدنا في مثل هذه الحقبة . وأنا لآرى اليوم ابن الثامنة عشرة الذي درس الدروس الثانوية ارقى بعقله ومعرفته من معظم من يروي التاريخ أخبارهم ويشير الى انهم من العلماء والفضلاء . وعلى هذا ترى أهل الطبقة الوسطى الآن يعيشون عيشة تقرب من عيش أعظم الخلفاء في القرون الاولى للإسلام بما اقتبسوه من مقومات المدينة ونعموا به من خيرات الحضارة الحديثة .

كان المسلمون يمزجون كل شيء من أمور الدنيا بأمور الدين فتصرفوا اليوم الدين على أعمال الروح وانتفوا الى دنياهم فأخذوا عن الغرب طرائقه في معاناة الأمور المالية والاقتصادية ، ينشئون المصارف والبيوت المالية والتجارية على أساليب غربية صرفة لا شأن للدين فيها ، واقتبسوا قوانين الغرب وانظمته وأوضاعه وما وجدوا حرجاً في ذلك كما انتبسوا معظم مصطلحاتهم المدنية في البيوت والمجالس والموائد والمواسم والملاهي والملابس والآلات وغيرها . وكلما عمت هذه الأفكار والأوضاع البوادي كما عمت المدن ، وتناولها الأميون كما تناولها المتعلمون ، زادت سعادة البيوت وسعادة المجتمعات واطلق علينا اسم ممدنين .

من علامات المدنية ما نشهده في مراعاة الجمهور للنساء في الطرق والسكك الحديدية والترام والمقاهي والمطاعم والفنادق ، وكن من جيل موضع سخرة وامتهان ، وهذا ولا شك من آثار استتاع النساء بحقوقهن في هذا العصر وتبدل عظيم في نظر القوم اليهن ، ومن علامات المدنية انهن يتمتعن اليوم بالطلاق كما كانت ذلك خاصاً بأزواجهن ، أعطين هذا الحق وما خرج المشرع عن قانون الشرع الذي اغفل

اجيالاً بقوة الجيل واستبداد الرجال بالنساء - ومعنى هذا ان ما نمتنع به المرأة اليوم من الحرمة والكرامة اكثر مما كانت عليه في القرون الوسطى . ذكر ابن القرات في تاريخه في حوادث سنة ٧٩٣ انه صدر مرسوم الامير الكبير في القاهرة بأن لا تخرج امرأة من بيتها الى التربة وان كل من وجد منهن في تربة من التربة وسطت هي والمكاري والخنزير ، وألاً يتفرج أحد في مركب في البحر وان من وجد في مركب احرق هو والمركب والنوتي فتحامى الناس ذلك في أيام العبد ولم يجسر أحد ان يتفرج ولم تجسر امرأة تطلع الى الترافة ولا الى التربة .

وذكر هذا المؤرخ في حوادث تلك السنة ان الامير الكبير كمشغاف نائب القية في القاهرة أرسل جماعة من الاوجاقية السلطانية ومعهم جماعة من عماليكه فداروا الأسواق والقياسر والطرق بالقاهرة وظواهرها فقطعوا الاكام النساء الواسعة بسكاكين كانت معهم وحصل لبعض النساء رجفة عظيمة لأنهم كانوا يأتون المرأة على حين غفلة ويمسكونها حتى يقطعوا كمها ، وبعض النساء وضعن حملهن من الرجفة وبعضهن سقط مفتشاً عليه وامتنع اثناء من لبس القمندان بالاكام الواسعة وتفصيلها . قال المؤرخ ولو تم ذلك لكان خيراً عظيماً لكن النساء أعدن ذلك بعد حضور السلطان من الشام ! اهـ . جرى هذا في القاهرة أعظم مدن الاسلام مدينة في القرن الثامن كما شهد بذلك ابن خلدون المؤرخ العظيم .

ولك ان تعد في المحدثين كل من لا يؤذي جاره ولا مواكله ولا رفيقه ولا المارة بها كانت درجاتهم في المجتمع ولا يعبث بقانون المجتمعات ، وكل من يعرف أين تنتهي حريته الشخصية وتبدأ حرية غيره . فمن يلزم التؤدة والوقار في الجوامع والبيع ودور التمثيل والموسيقى والاندية والمنزهات ويظهر بمظهر المعتدل في شعوره وحركاته وسمته ، ونظافة ثيابه وأطرافه ، ويخرج من ابذاء شافته بعنانه ويجزه يعد من المحدثين ، وكذلك كل من لا يجدوه حب الفضول الى البحث في خصوصيات جاره ومواطنه وما كنهه الا اذا كان من وراء ذلك فائدة للمجتمع .

وكل من راعى القوانين العامة في بلاده يحسب رجلاً ممدناً ، وكل من تنظف وتجميل وتزين ، رجلاً كان او امرأة على شرط عدم الافراط في ذلك يعد ممدناً ، ومن يهون عليه خرق النظام ، فيور في أقصى دركات التوحش . واذا وقف المرء عند حدود الآداب العامة وحان لسانه عن استعمال الفاظ الفحش والبذاء واقصر في كلامه العام على ما اذا أوردته أمام العذارى لا يخرج من عمله عمل التمدنين ، وكما أدرك المرء الا سعادة له ولذويه الا اذا احتم للصالح العامة اهتمامه بمصالحه الخاصة وان سعادة غيره سعادة له ، وان شقاء وطنه يزيد ان لم يشارك مشاركة فعلية في انهاضه وانه اذا لم يأت هذا مختاراً عدّ لصاً في أرضه يستمتع بنجراتها وبلقي على غارب غيره متاعها .

مثال من تمدنا وتوحش أهل الترون القاهرة . ما اذن انساناً نظر قليلاً في كتب الأدب الا ورأى بعض شعرائنا يصدعون الآذان بما قالوه في وصف الخلخال ، وما تغزلوا به واكبروا من جمائه ، وما أبدوا من عجبهم من حركته وسكونه . ومن لم يتصور ذاك القيد الثقيل في رجل المرأة لا يدرك مقدار العبودية التي فرضها الرجال على النساء في غير الأزمان ، ولا يعرف مدى الوحشية وقلة الذوق من عد مثل هذه الحديدة اللامعة من المفريات . ما الخلخال في الواقع الا صورة صادقة من عصور الحمجية الأولى ، ومن تأمله حق التأمل يدرك مضرتة التي أعجب بها الشعراء ، ويحكم على الذوق المتقهقر عندهم . الى اليوم ترون صورة من الخلخال في أرجل بعض الفلاحات في ريف مصر وريف الشام كما نجد الفتيات العبيات يحصرن أرجلهن في أحذية ضيقة من الحديد حتى اذا شبين بقيت أرجلهن صغيرة دليل الجمال .

كما فكرت في هذا الخلخال أجد فيه البشاعة كلها والحمجية كلها ، وكما رأيت كيف اضمحل وجوده عند ما كنت المدن اليوم لا يخامرني شك في أننا قطعنا مراحل طويلة في سبيل المدنية . وكذلك كما رأيت ذاك الخزام الذين يخزمون به انف الفتاة وقد بطل أيضاً استعماله في المدن ، ولم يطل عند البدويات والقرويات في القطر المصري خاصة . ولم يطل الى اليوم ثقب اذني الفتاة ليمتق فيها القرطان

ولم ييطل الوشم في أكثر الأرجاء العربية يسودون بالترقة الساعدين واليدين والرجلين والوجه وأما كن أخرى من الجسم الانساني فتظل مشوهة طول حياتها وتفتقد كثيراً من جمالها ويشاركها في هذا التشويه الرجال .

كما تأملت هذه التشويبات يحمل بها في الاكثر اقوي عي الضيف، وقد اصبت على توالي الاحقاب من الأمور المتعارفة التي لا تنكر، احمد الله على انه خلقنا في هذا العصر وخلق لنا عقولاً نميز بها بين الجميل والقبيح والنافع والضار . ومن الممجية جرأة النساء في مصر واخجاز علي قطع جزء من جسم الفتاة لأمر يتوهمها منها اذا شبت وكبرت ، يغيرون بذلك صنع الخالق مع مخلوقة لا تلك أمر قسها . ومن المدنية ان تنبو عيوت ابناء هذا الزمان عن هذه التشويبات والممجيات . وكيف لا نعد ذلك من المدنية ونسجل اللعنات على من آذوا المرأة في كل حالانها وما عدوا شائن أعمالهم بدعة . وكن الزوج يضرب زوجته ويشتمها ويضرب أولاده ويبس في وجوههم بسبب وبلا سبب ويعامل المرأة خاصة معاملة قاسية لا ينظر اليها الا انها مملوكة .

هذا واذا عدلنا مع أنفسنا ونسنا تمدننا في مجموع صوره على القاعدة التي سنها الغرب للمدنيين وجعلوها المعيار في التمدن نجد أننا أحسننا الى الآن بعض فروعها وأغفلنا بعضاً وتلفنا بعضاً . ردوا عوامل التمدن الى ثمانية أبواب ^(١) كما ردها العلامة وابل دوران المؤرخ الاميركي . الاول منها العمل من زراعة وصناعات وتجارة والثاني تأسيس حكومة منظمة تضمن حياة الاسرة والجماعة وسن القوانين وحماية الحياة والثالث الأخلاق والفضائل والرابع الدين من حيث هو عامل في المدنية يستخدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة لتسكين الألم وتربية الخلق وحفظ النظام ومداواة الاوهام الاجتماعية والخامس العلم ويراد به النظر الصحيح الى الاشياء وصحة الملاحظة والعمل على جمع المعلومات التي يتكون منها على طول الزمن معارف ينتج منها بعض معرفة

(١) تاريخ التمدن لوال دوران (منقول عن الانكليزية)

Will Durant: Histoire de la civilisation (Traduit de l'Anglais.)

تؤثر في مصير المرء وتتفع في مدّة سلطانه على العالم والسادس عامل الفلسفة التي هي من وضع الانسان للوقوف على بعض أمور من هذا النظر الاجمالي من انعام والوصول الى حقائق الأشياء ومعرفة الحق والجمال والفضيلة والعدل المنبثة من كبار الرجال والحكومات الصالحة والسابع الآداب وبها تنشر اللغة وتربى الناشئة ويرتقي الشعر والتثيل وينفذ تراث الأجداد من العفاء والثامن الفن والمراد به ترتيب الحياة بالألوان والألحان والأشغال .

سيداتي سادتي « هذا ما ينسج له المقام لوصف المدينة ودرجتنا منها وعسى ان يجزل حظنا منها في الجيل القادم فان الأعوام التي قضيناها في تلقف المدينة قليلة بالنسبة للأعوام التي مرت على الغريبين .



أبو العلاء المعري والحشر

حسد العلماء أبا العلاء على فضله

{ خطأ العلامة الزعزعي في قوله على أبي العلاء
خطأ العلامة الزعزعي في ما نسبته إلى أبي العلاء
خطأ الدكتور طه حسين فيما ذهب إليه في أبي العلاء }

جرت سنة الله في خلقه أن لا يرمى من الشجر بالحجر إلا أظيبه ثمراً . وإن
لا يعذب بالسجن من الطير إلا أجملها لوناً أو أطربها صوتاً

وفي السماء نجوم لا عداد لها . وليس يكسف إلا الشمس والقمر
وعلى هذه السنة جرى الناس ولا سيما العلماء منهم . فقلنا رأينا رجلاً نبغ
في علم أو ضرب في العبقرية بسهم إلا وقد قبض الله له طائفة من أمثاله يحرفون
كلمه عن مواضعها ويصرفون أقواله عما يريد منها إلى ما يريدون ويؤولون كلامه
بما يشوه وجه الحقيقة فيها ، كل ذلك ليشيروا عليه الدهماء ويجعلوه عرضة للتواخذه
والانتقام ويغضوا من كرامته

ولدينا من رجال التاريخ الوف من العلماء الأفاضل رموا بالاحاد وانهموا بالزندقة
ونسبوا إلى المروق من الدين وهم أصح عقيدة ممن رماهم وأكثر اعتصاماً بالدين ممن
نقاه عنهم . وحسبك دليلاً على هذا ما تراه في أقوال العلماء والمؤرخين في أبي نصر
الفارابي وابن سينا والفزالي وأبي حيان التوحيدي وابن رشد وابن عربي وأمثالهم
ممن رفعوا منار العلم وشيدوا صروح الحكمة

وإذا بحثت عن هؤلاء الطاعنين في أولئك العباقرة وتبعت عن الأسباب التي
حملتهم على النيل منهم اتضح لك أن الفئة الطاعنة بين معاصر محمد معاصره
على ما آتاه الله من فضله فهو لا يألو جهداً في الكيد له والاقتراء عليه ولا يدخر
وسعاً في إطفاء نوره . ليظهر بذلك فضله ويقوم مقامه

وبين متأخر يجب الظهور على رفات المتقدمين فيدفعه الحسد إلى أن يتنقط

هنواتهم ويعظم الصغير من عثراتهم ، ويتصرف في حمل اقوالهم على الوجه الذي يمينه على الطعن فيهم ، وهناك فريق من المتأخرين إمامة يتابع كل قائل فيما يقول ويشابع كل راء فيما يرى وهذا من شر الناس على العلماء وأشدهم وطأة على التوابغ وربما كان ابو العلاء من أكثر الفضلاء حساداً وربما كان حساده من أشد الناس ثقولاً عليه وتحريفاً لأقواله

ولعل القارىء بعد هذا القول ضرباً من الاسراف والغلو فانا أورد بعض الأدلة على صدق ما أقول حتى لا يظن ظان اني اتمصب لأبي العلاء او اتوسع في الاعتذار عنه او أتزيد للذود عنه . الدليل الأول

ذكر ابن العديم في الانصاف والتحري . ونقله عنه ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ١٢٩ ان ابا العلاء كان يرمى من اهل الحسد له بالتعطيل ، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاثلاف نفسه فقال . . . ثم أورد اياتاً لأبي العلاء في ذلك .

وذكر ابن العديم ان رجلين كانا يؤلبان عليه وينسبانه الى الكفر والاحاد وقد حرفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك فكتب رسالة الضبعين الى معز الدولة ثمال بن صالح يشكو اليه ذلك .

وطعن عليه جماعة في أبيات من لزوم ما لا يلزم ونسبوه الى الكفر فوضع كتاب زجر النابج ليرد عليهم ويبين وجوه الايات ومعانيها ثم طعن عليه آخرون في أبيات آخر فوضع كتاب فخر الزجر أو بحر الزجر فين التحريف ووجوه الأيات .

وحسبك من هذا النوع ما قاله جماعة من العلماء في كتابه الفصول والغايات فقد زعموا انه عارض به القرآناً ونسبوه الى الكفر والزندقة والاحاديسيه وليس في الكتاب شيء مما زعموا وقد طبع الجزء الأول منه وهو على طرف الثام من اراد الامام به

الدليل الثاني

كان ابو العلاء في بغداد فتوفي الشريف والد الرضى والمرضى فرثاه ابو العلاء

بقصيدة قال فيها

الموقدي نار القري الآصال والأحمر حار بالاهضام والاشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف
والبيت الثاني من اجمل ما قيل في وصف النار وسطوعها في الدجى وتشبيه
الشرارة بالطراف على غاية من الروعة والابداع ثم مضى في وصف النار وصفاً بقصر
عن مثله البصراء ، ومراده من ذلك كله وصفها بالكرم والاطعام وهذا سبيل البلاء
في ذلك العصر والذي قبله

نجاء العلامة الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وقال في تفسيره الكشف [عند قوله
تعالى انها ترمي بشرر كالثقور] قال ابو العلاء . حمراء ساطعة .
ثم قال فشيها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحرمة وكأنه قصد بجبه
ابن يزيد على تشبيه القرآن وتبيحه بما سول له من تومم الزيادة جاء في صدر
بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيهاً للسامعين على مكانها . ولقد عمي
جمع الله له عمى الدارين عن قوله عن وعلا كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله
كبيت أحمر على ابن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين من جهة
العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث
جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله اغرابه في طرافه وما تقع شدقيه
من استطرافه .

هذا كلام الزمخشري . واذا تأملت آيات المعري لا تجد فيها تعرضاً لذكر
القرآن ولا معارضة لتشبيهاته ولا شيئاً يتصل بالقرآن أو تشتم منه رائحة المعارضة .
وأذا تأملت قول الزمخشري لا تجد مناسبة لذكر بيت المعري على هذا الوجه
ولا سبباً داعياً اليه ولا تحجده في طعنه بالمعري موقفاً . ولذلك انكرت عليه جماعة
من الفضلاء قوله هذا . منهم صدر الأفاضل الخوارزمي فانه قل قول الزمخشري
ثم قال : ولا ادري من أين له انه قصد الزيادة على تشبيه القرآن فمن المعلوم ان
القصر أعظم من الطراف ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً

ومنهم العلامة نثر الدين ايرازي فانه ذكر في تفسيره مفاتيح الغيب ج ٨ ص ٣٠٧ بيت المعري ثم قال زعم صاحب الكشف انه ذكر ذلك معارضة هذه الآية . وأقول كنت الأولى لصاحب الكشف ان لا يذكر ذلك . ثم ذكر اثني عشر وجهاً يفضل بها تشبيه القرآن على تشبيه المعري بأسلوب ينم على فضل وعلم وإتقان عن اخذ واللوم

وأنا أقول ان أبا العلاء لما نظم هذا البيت لم يخطر في باله هذه الآية الكريمة ولادارت في خلد معارضتها أو الزيادة عليها ولو كان شيء من هذا لتأثر بلفظها أو معناها ومن البعيد ان يحاول أبو العلاء معارضة القرآن وهو القائل في رسالة القرآن ص ١٥٨ ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب يبر بالاعجاز ولقي عدوه بالأعرج ما حذى على مثال ولا أشبه غريب الامثال . . . ما هو من القصيد ولا الرجز . . . ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة . . . وان الآية منه أو بعض الآية لتعرض في أفصح كم بقدر عليه المخلوقون فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق .

وبهذا التقدير يتضح ان الزمخشري على جلالة فضله يقول على أبي العلاء وتناول كلامه على وجه لم يكن له به علم ولا رضى ونفاضى عما في البيت من جمال التأليف وروعة التشبيه وان كان دون كلام الخالق في ذلك كله

الدليل الثالث

استشهد جلال الدين القزويني المتوفى سنة ٧٢٩ في بحث تقديم المسند اليه من كتابه تلخيص المفتاح بقول أبي العلاء

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

فقال السعد التفتازاني في شرحه المختصر . يعني تمحيرت الخلائق في المعاد الجسماني والتشور الذي ليس بنفساني بدليل ما قبله

بان أمر الإله واختلف الناس من فداع الى ضلال وهاد

يعني بعضهم يقول بالمعاد وبعضهم لا يقول به . هذا ما قاله السعد .

ثم جاء العلامة البناني فقال في التجريد ج ص ١٨٨ لا يبعد ان يكون تقديم القول بالمعاد في تفسير البيت [مع ان الظاهر هو اللف والنشر المرتب] ايماء الى ان مراد الشاعر بالداعي الى الضلال هو القائل بالمعاد بناء على ما اشتهر في التواريخ من ان ابا العلاء ملحد منكر للحشر ويؤم اليه بيته المشهور عند من له ذوق سليم وهو قوله

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالما قطعت في ربع ديتار
وقل ذلك عن الغري . فانظر كيف تأول هذان العالمان قول المعري تأولاً
فاسداً بناء على ما اشتهر عنه مع انه يصرح في القصيدة التي منها البيت الأول
بالحشر بقوله

انما ينقلون من دار اعمال الى دار شقرة او رشاد
والبيت الذي ادعيا ان فيه ايماء ليس فيه ايماء الى انكار الحشر بل صرح
بالتار في البيت الذي قبله وهو

تناقض مانا الا الكوت له وان نعوذ بمولانا من النار
ولا شك أن المراد النار في الآخرة وهو تصریح بالحشر
الدليل الرابع ان ابا العلاء قال في لزوم مالا يلزم
ضحكنا وكان الضحك مناسفاة وحق لكان البسيطة ان ييكوا
يحطنا صرف الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا بك
ونسب اليه جماعة هذه الأيات

رب الزمان مفرق الاولين فاحكم إلهي بين ذاك وبينني
انهيث عن قتل النفوس تمعداً وبشت تأخذها مع الملكين
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كن أغناها عن المالين

ومنهم من روى اليتين الأخيرين فقط وفي بعض الروايات اختلاف وليس شيء
من هذه الأيات الثلاثة في لزوم مالا يلزم ولا في شيء من كتب ابي العلاء التي
وصلت إلينا .

فاتخذ جماعة من العلماء من هذه الآيات حجة على كفره وانكاره الحشر وطبع على غرارهم صاحب ذكرى ابي العلاء وزاد عليهم بيتاً آخر استدل به على شك ابي العلاء في الحشر وهو

بامرجباً بالموت من منتظر ان كان ثم تعارف وتلاق
كما زاد عليهم اذ جعله مرة يثبت الحشر كما في ص ٢٩٤ من تجديد ذكرى
ابي العلاء وثانية ينكره نصاً وثالثة يقف موقف الشك ورابعة يجزم بمذهب افلاطون
وخامسة أنه تقاه اكثر من ستين مرة في اللزوم من غير ان يبين واحدة منها ثم
ختم كلامه بقوله الروح الفلسفي يثبت لنا ان ابا العلاء ان لم يكن قد أنكر
البعث انكاراً تاماً فقد شك فيه شكاً شديداً .

واذا نظر الانسان نظر العاقل النصف في البيتين الأولين : ضحكنا وكان
الضحك ... لا يرى لها علاقة بالحشر ولا فيها دلالة على اثباته وانكاره وانما
جرت عادة البلغاء ان يجعلوا الزجاج مثلاً أعلى في الضعف وسرعة التكرار . وفي
عدم الجبر ومن الأول ما جاء في الحديث الشريف رويدك رقفاً بالقوارير أراد
النساء وشبههن بالقوارير من الزجاج لأنها يسرع اليها الكسر
ومن الثاني قول حسان بن ثابت

وامانة المري حيث لقيه مثل الزجاجه صدعها لا يجير

وقد درج ابو العلاء على هذه الطريقة فشبّه الناس بالزجاج في سرعة التحطم
والعجز عن المقاومة والجلد في هذه الحياة الدنيا ومن كان هذا شأنه فيها فحذيره
أن لا يضحك في دنياه بل يبكي ثم ذكر ان بين الناس والزجاج فرقاً وهو ان
الزجاج يمكن ان يسبك في هذه الدنيا فيعود الى حالته الأولى والناس لا يمكن
ان يجبروا فيها اذا حطمهم الزمان بالموت . هذا ما يدل عليه هذا اللفظ

ومن البديهي ان الزجاج لا يسبك في الآخرة وان المري لا يريد هذا المعنى
وليس في الكلام ما يدل على الآخرة او يتعلق بها وانما هو تحذير من الدنيا وبيان

لتسلط صروفها القاسية على الناس . فتعين ان يكون المراد ان ليس لنا سبك في الدنيا بعيدنا الى حالتنا الأولى فيها وبيننا بخالف الزجاج . وهذا قول حق لا ريب فيه . ونظيره قول ابي العلاء في لزوم ما لا يلزم

أرى الشهد يرجع مثل الصبر فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادق في الحديث فان شك في ذلك فليختبر
وجبر وكسر له في الزمان ويكسر يوماً فلا ينجر

وهذا بوضع المراد من اليتيم الأولين لأن قوله وجبر وكسر في الزمان يدل على انه يريد بقوله لا ينجر في الدنيا ومن قبيل قول ابي العلاء هذا قول علي ابن ابي طالب [ض] فبادروا العمل وخافوا بقة الأجل فانه لا يرجي من رجعة العمر ما يرجي من رجعة الرزق . وقوله أيضاً . أولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون . . . فان المراد الرجعة في هذه الدنيا والا كان علي [ض] منكرًا للحشر وقد استعمل ابو العلاء سبك الزجاج في مواطن كثيرة من شعره كقوله

تحفظ بدينك يا ناسكاً يرى انه راجح ما خسر
فلست كغيرك أطلقت في حيانك بل انت عان أمر
وللسبك رد كبير الزجاج ولا يسبك الدر ان ينكسر

وقوله

يسبك الصائغ الزجاج ولا يـ طيع سبكاً للدر ان ينشظى
وأعاد هذا المعنى بقوله

خف يا كريم على عرض تعرضه لعائب فلتيم لا يقاس بك
ان الزجاج لما حطمت سبكت وكم تكسر من در فما سبكا
وهو في جميع هذه الآيات واشباهها يشير الى ان النفيس اذا كسر لا يجبر بخلاف غيره ومن البين انه لا يريد كسراً ولا جبراً في الآخرة وانما يريد في الدنيا .

وأما الآيات الثلاثة التي على روي التون فان اصلها يدل على انها مصنوعة

على لسان المعري وانها ليست من صنع شعره . ومن البعيد عن أدب المعري ان يقول فاحكم إلهي . . . ثم يقول . أنييت عن . . . وزعمت . . . اذ لم تر في كلامه الذي يخاطب ربه به مثل هذا النمط . . . واذا سلنا انها من كلامه فهي وان دلت على اساءة ادب في الخطاب لا تدل على انكار الحشر وانما تدل على اثباته لأن قوله ما كان اغناها عن الخالين صريح في اثبات الخالين لها واحدهما المعاد الثاني وهو الحشر

وأما البيت الأخير الذي استدل به صاحب الذكرى على الشك فانه من قصيدة مطلعها

أما الحقيقة فهي اني ذاهب والله يعلم بالذي أنا لاق
ثم قال فيها

سينموت محمود ويهلك آلك وبدوم وجه الواحد الخلاق
يا مرحباً بالموت من متظر ان كان ثم تعارف وتلاق
وليس في البيت تصريح بانكار الحشر او الشك فيه وانما الشك في التعارف والتلاقي وهما غير الحشر اذ قد يجوز ان يكون الحشر ولا يكون فيه تعارف وتلاق فلا يلزم من الشك فيهما الشك فيه فهو نظير قول النابغة
لا مرحباً بقدر ولا أملاً به ان كان تفريق الأجنة في غد

فانه بعيد الشك في التفريق لا في غيره . وبعد هذا فان بيت ابي العلاء موق للترحيب بالموت على تقدير ان يكون هناك تعارف وتلاق ومفهوم هذا انه اذا لم يكن شيء منهما فانه لا يرحب بالموت . وهذا لا يوجب شكاً في البعث ولا في غيره وقوله في مطلع القصيدة . والله يعلم بالذي أنا لاق واضح في انه يريد ما يلقاه في الآخرة لأنها دار الجزاء فهو جازم باللقاء وان جهل عين ما سيلقى

رائد قتشت فيما اتى الي من كلام ابي العلاء في جميع اطوار حياته فلم أر فيه ما يدل على شك في البعث او انكار له وانما رأيت فيه ماث من المواطن التي

صرح فيها بالحشر والنشر والقيامة والحساب والجنة والنار ونحو ذلك مما يتصل بالآخرة

من ذلك قوله في سقط الزند ج ١ ص ١٤٠

قلو زار أهل الخلد عتبك زورة لأومهم ان الجنان جعيم

وقوله ص ١٩٤

فيا ليت شعري هل يخف وقاره اذا صار أحد في القيامة كالعين

وهل يرد الخوض الروي مبادراً مع الناس ام بأبي الزحام فيستأني

. . .

وما استعذبه روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن

وقوله ص ٢٠٨

ولا تنسني في الحشر والخوض حوله عصائب شتى بين غر الى بهم

لعلك في يوم القيامة ذاكري فتسأل ربي أن يخفف من إثمي

وقوله ص ٢١٠

انما ينقلون من دار أعما ل الى دار شقرة اورشاد

وقوله في ج ٢ ص ١٢

جازاك ربك بالجنان فهذه دار وان حنت تغر بعتها

خل الذي قال البلاد قديمة بالطبع كانت والأفام كنبتها

وامامنا يوم تقوم هجوده من بعد ابلاء العظام ورفتها

وقوله ص ٦٠

نبذت مفاتيح الجنان وانما رضوان بين يديه للاتحاف

وقوله ص ٥٤

فان استطع في الحشر آتاك زائراً وحيات لي يوم القيامة أشغال

وقوله ص ٨٩

سألت متى اللقاء فقبل حتى يقوم الهامدون من الرجام

قلت أذنين يوم الحشر نادى فاجهشت الرمام الى الرمام
وقوله ص ١١١

فلا كان سيري عنكم سير ملحد يقول يياس من معاد ومرجع
وقوله ص ١٢٠

فان لقيت وليداً والنوى قذف يوم القيامة لم أعدمه تبكىنا
وقوله في الدرعبات ص ١٧٦

لعله ان يجي مدرعا يوم رجوع النفوس في الرمم
وقوله ص ١٧٧

او عمل الكفر من يدين به في البعث ايان يجمع الأمم
وقوله ص ٢١٦

فلا تستكثر المعجيات فيها فأعراس بتلك دخول جنة
وفي ملقى السبل كثير من ذكر الآخرة والجزاء في النظم والنثر
كقوله

نت عن الأخرى فلم تنبه وفي سوى الدين هجرت الكرى
وقوله : وفي الآخرة يكون المجمع . وقوله : والنهج للآخرة يسلك .
وقوله : ولافتهم الآخرة بما نورا .

وكتاب الفصول والغايات طافع بما يدل على الآخرة وما فيها كقوله لله القلب
واليه المنقلب : وقوله . تارك العلاءة من صلاة السعير . وقوله : كفيتني رب
شقاء الدنيا فاكفني شقاء الآخرة . وقوله : الشقي من حضر عرصات القيامة .
وقوله : واجد ثوباً للآخرة تكتنيه .

وفي رسالة الملائكة تعدى في مواطن كثيرة لذكر الملائكة والجنة ونحوها
كقوله ص ٧ ام تراني أداري منكراً ونكيراً . وقوله : ص ١٦ قصرت أعمالهم
عن دخول الجنة وقوله : ص ١٧ فيقول رضوان وقوله ص ٢٠ يشربون ماء
الحيوان في النعيم المقيم

وقوله : ص ٢٣ وان كنت اهل الجنة ...

وأما رسالة القفران فكل ما فيها أدلة وبراهين على اقراره بالبعث والحشر والجنة والنار وما الى ذلك

ولم تخل رسائله الى اهله وأصحابه وغيرهم من ذكر الآخرة وما يتصل بها فقد قال في رسالة المتبحر ص ٩ : قبلدتنا جنان ٠٠ أم نشروا بعد ما قبروا أم جزوا الغرفة بما صبروا ...

وقال في رسالته الى خاله ص ٦٧ وترجع في الحشر وزنا . وفي رسالة ثانية اليه ص ٦٩ وحزني لتقدمها كنعم اهل الجنة وفي رسالته الى ابي عثمان النكفي ص ١٥٢ نقله الله ... من دار الثقاء الى دار النعيم والبقاء

وفي رسالة الى خاله ص ٢٠٩ فقد ورد مع الحور العين كأسماء كان مزاجها كافورا .. جاور ربه في دار الحيوان تلك النار الآخرة ...

وفي جوابه الى داعي الدعوة بمصر ذكر الآخرة وتعمد بالله من قول من أنكرها ولعن الوليد بن يزيد لقوله الذي انكر فيه البعث والجنة ، كما ذكر ذلك باقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ٢٠٠ و ص ٢٠٨

وأما لزوم ما لا يلزم فهو أكثر كتبه مظنة أن يكون فيه انكار أو شك لأنه اطلق للسانه فيه العنان وأعطى عقله فيه الحرية المطلقة وأوضح فيه عن كثير من آرائه الفلسفية وقد زعم صاحب الذكري ان ابا العلاء نفي البعث فيه أكثر من متين مرة ولكنه لم يبين مرة منها ولم يعين موضعاً لواحدة منها فيه كما قلنا

وأنا أقول ان ابا العلاء اثبت فيه الحشر وما يتعلق به مما يكون بعد الموت الى دور الخلود في أكثر من مائة موضع واستدل على امكان بعض منه وهذه امثلة من كلامه في ذلك

القبر وما فيه

خلصني من ضحك ما اتانيه واطرحني لمنكر ونكير
فهل هو خاش من نكير ومنكر وضغطة قبر لا يقوم لها نظم

الجزاء

لا يأسن من الثواب مراقب لله في الايراد والاصدار
قترى بدائع أنبات متحسماً ان الجزاء بغير هذي الدار

الصور

مضت قرون وتمضي بعدنا أنم والسر خاف الى ان ينفخ الصور

الصحائف

وجاءت صحائف قد ضمنت كبار آثامهم واللم

الحساب

وراعني للحساب ذكر وغرني انه بيد
وعن يميني وعن شمالي يصحبي حافظ قعيد

السرائر

وكان هذا الخلق أهل جهنم ولم من الموت الزوام سراط

الميزان

أكذب القوم بالميزان أن سمعوا ان القيامة فيها عادل يزن
وقد وجدنا مقال الناس ذا زنة فكيف ينكر ان الفعل يتزن

رضوان

وان كنتي عذاب الله مقترنة فما احاول منها فوز رضوان
مالك

يارضو لا أرجو لقاء لك بل اخاف لقاء مالك

طوبى

فان خرجت الى بؤمي فواخرجي وان قلت الى نعمي فطوبى لي

جنة الخلد

وما اظن جنان الخلد يدركها الا مامشر كانوا في التقي جهدا

جنة عدن

فان جنة عدن لا يجاد بها الا لصاحب دين في أذى عدنا

جنة النعيم

وما صرني اني اصبت معاشرأ بظلم وأني في النعيم مخلد

النار

أوسع في الدنيا كما هو عالم وأدخل نارا مثل قبصر او كسرى

مقر

ان عوضوا عن ذنوب اسلفت سقراً فلم ترمهم على علاتها سقر

السعير

أترجين من إفسك عفواً وتخافين في الحساب السعيرا

جهنم

جنان ورضوان الذي هو مالك لما عنك ينفي مالكا وجهنا

الهاوية

هاوية تفك ما ماعما فلتخش ان تلقى الى الهاوية

. . .

حي من الجهل علي ان آخرتي هي المال واني لا أراعيها

وان دنيائي دار لا قرار بها وما أزال معني في مساعيها

كيف لي ان اكون في داري الأخ ري معاني من شقوة مستريما

وقدرة الله حق ليس بمعجزها حشر خلق ولا بعث لأموات

بكر موتانا الى الحشر ان قال لهم بارئهم كروا

بحكمة خالقي طي ونشري وليس بمعجز اخلاق حشري

فيا ليتني في الثرى لا اقوم ان الله ناداكم او حشر

لا خير للمرء الا خير آخرة يبقى عليه فذاك العز والشرف

ولولا خشية الاطالة لأتينا على ذكر عدد عظيم من الشواهد من كلامه في

هذا الموضوع مما ذكره في لزوم مالا يلزم وقد ذكرنا في كتابنا التعريف بأبي العلاء أكثر من مائة بيت صرح فيها كلها بذكر الحشر وما فيه وليست في جميع ما في لزوم مالا يلزم بل هناك عدد كبير لم نذكره.

وبعد هذا يمكننا ان نستنتج مما تقدم أربعة أمور

الأول : ان ابا العلاء مؤمن بالحشر مقر بكل ما يتعلق به علي وفق ما جاءت به الشريعة الاسلامية وان ليس في كلامه تصريح بالشك او الانكار في جميع اطوار حياته وجميع آثاره التي ذكرناها

الثاني : ان بعض العلماء حكم عليه بالاحاد او انكار الحشر او نحوهما اما عن حسد او ثقل او طلب شهرة او متابعة لما قيل من غير ثبوت ولا استناد الى دليل ومثل هؤلاء مثل الرجل الذي مرّ في سوق يحمل باحدى يديه خبزاً وبالأخرى لبناً فرأى أناساً يضربون رجلاً فوضع ما كان في يديه وأقبل على المضروب فأشبعه ضرباً وسباً ثم عاد فحمل طعامه وأداه فقال له رجل : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : اني لا اعلم الرجل المضروب ولكني رأيت هؤلاء يضربونه فقلت لولا انه يستحق الضرب لما ضربوه فشاركتهم في عملهم

الثالث : ان الزمخشري والبناني لم يوفقا فيما تقولوا او تأولوا على ابي العلاء

الرابع : ان مانبه صاحب الذكرى الى المعري من الشك او الانكار قائم على الوهم المجرد وحسبنا ان نجتزئ بهذا القدر فان فيه مقنعاً للرتاب

سليم الجزائري

المرأة في عهد النبوة ، وفي عصرنا الحاضر

كان امر المرأة في تاريخ العالم القديم والحديث عجيباً ، كانت تشرى وتباع ، وتكره على الزواج والبقاء ، وكانت تملك وتورث ، ويتصرف فيها الرجل على هواه كأنها سلعة ، أو كأنها كرة بين أيدي الرجال ، ولم تكن الأم الأخرى أقل اضطهاداً لها ، أو استهانةً لها من عرب الجاهلية ، وليس هذا موضع تفصيل تاريخها عندهم وإنما الكلام فيما كانت عليه قبل الاسلام وفيما اriثت اليه بعده .

كان العرب في العهد الجاهلي فريقين : منهم من عبد المرأة بعد ان جعلوا الملائكة إناثاً ، وجعلوها بناتٍ لله ، ومنهم من وأدعا ، أو أبقاها فاضطهدها ، وما ورد في القرآن الكريم أصدق مثال للحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام ، فهو يقصرُ علينا كيف عبدوا الأنثى ، ومن آياته في ذلك قوله تعالى « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وقوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً : أشهدوا خلقهم ، متكتبٌ شهادتهم ويُسألون ، وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا بخرصون » فهم لم يعبدوا الملائكة حتى جعلوها بناتٍ ، وجعلوها إناثاً ، وقال في الفريق الآخر الظالم الآثم : « وإذا بُشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون » وقال : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت »

فهذه الطفلة التي كانت تعيش ذليلةً مهينةً ، أو متدسّسةً في التراب حيةً دفينهً ، ستقول : يارب ، قتلت بلا ذنب .

هذان طرفان ذهبيان من معاملة الأنثى في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أبطلهما معاً ، ومنحها حقوقها ، وعرفها واجباتها ، وأثّر لها المنزل الملائكة بها ، وآية « ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف وللرجال عليهن درجة » لا يوجد في أرقى الشرائع القديمة

والحديثه قانون أعدل ولا أجمع منها ، إذ قد سادت بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ولم تعين هذه الحقوق والواجبات لأنها تتبع العرف ، وتختلف باختلاف الطبقات ، والأشرائع والعادات ، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة إذ لا بد لكل جماعة أو أسرة من نظام ، ولا بد لكل نظام من رئيس منفذ ، والرجل أولى بتطبيق النظام المنزلي وتنفيذه ، لأن له من القدرة على الرعاية والحماية والكسب والإتقان ما ليس لها ، وهذا المراد من الآية الكريمة « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما اتفقوا من أموالهم » لكن هذه الرئاسة رئاسة شورية لا استبدادية ، ودليلاً من القرآن قوله تعالى في شأن الزوجين وطفلهما الرضيع وفطامه « فان أرادا فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » فهذا نص صريح في إقامة سنة الشورى بين أعضاء الأسرة الواحدة ، فالإسلام نهى عن عبادة المرأة ، ولم يستعبدها كما فعلت الأمم السابقة ، ولم يقلب نظام الطبيعة ليجعل منها رجلاً ثانياً كما فعل العصر الحديث ، فقد تخلّى عنها الأب والأخ والزوج والابن ، ودفعوها جميعاً في تيار العمل واللاهو خارج المنزل ، فاختل نظام البيوت ، ولا تزال نسمع الشكوى المرأة في الاذاعات العامة المرة بعد المرة ، من تقوض دعائم الأسرة والوطن .

أثر المرأة في الحروب الجاهلية والاسلامية

لم تفقد المرأة بعد الاسلام شيئاً من مكانتها الأدبية : لا شجاعتها الحربية ، ولكن الاسلام وجهها وجهة صالحة ، ونفخ فيها روحاً جديداً لم يكن لها من قبل .
كان القتال الجاهلي حروباً أهلية داخلية ، وكان فيها إضعاف للأمة ، وتقريب لوحدتها ، وهدم لقواها ، ومنهم من كُنْ يُصرح بأنه يشهد الوغى لا لفرض سوى شهود اللذات ، أو اليأس من الحياة ، كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى وان أشهد اللذات هل انت مخلد

فان كنت لا تطيع دفع منبتي فدعني أبادرها بما ملكك يدي

وعنزة الذي يتنزل بعبلة ويحاول ان يسترضيها بوقائه ومشاهده فيقول :

ولقد ذكرتكم والرماحُ نواهلُ مني ويضُ الحند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كـبـارق ثغرك المتبسّم
وكانوا إذا ساروا للحرب صحبوا نساءهم ابتغاء الخفيضة واتقاء الفرار، وأخذوا
معهم القبان والدفوف والمعازف والخمور، ومنه ما وقع في غزوة أُحُدٍ فإنه لما التحمت
الصفوف واشتدت الحرب قام النسوة وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويُشدّن
الأشعار تهيجاً لعواطفهم، وكان عليه الصلاة والسلام كما سمع نثيد النساء قال :
اللهم بك أجول، وبك أصول، وفبك أقاتل، حسي الله ونعم الوكيل»

ويظهر لنا الفرق واضحاً بين هذه الأهداف القاصرة وبين الهدف السامي الذي
جاء به الاسلام وهو اعلاء كلمة الله : أي نصرة الحق على الباطل، والفضيلة على الرذيلة،
والتوحيد على الوثنية، وابن ذكرُ عنبرة لعلبة حين اشتداد القتال من ذكر الله في
قوله « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »
فالثباتُ من أسباب النصر والظفر، وذكرُ الله قوة معنوية تثبت القلوب من
ناحية، وتبعثُ فيها الرحمة من ناحية أخرى، فالذاكر لله لا يقاتلُ ابداً ولا اعتداءً،
ولا يقاتل من لا يقاتل كائنساء والصبيان والشيوخ والمرضى ومن ألقى السلم وكفَّ
عن الحرب .

كان تألق نور الاسلام له اثر في تطور الحياة العربية الفكرية والاجتماعية
والأدبية والسياسية، وها نحن اولاء تقصر الآن على ذكر المرأة العربية في العصر
النبي بعد ان وصفنا عملها في الدور الجاهلي .

كان تعلم العلم الديني في عهد النبوة علماً للكبار والصغار والذكور والاناث،
فكان النساء يتدارسن القرآن، ويروين الأحاديث، ويحافظن على العبادات،
ويصلين صفوفاً في المساجد، ويستمعن الخطب والمواظع، ويحضرن صلاة الميدين في
المصلى العام، ويسافرن لأداء فريضة الحج والعمرة، بل كن أيضاً يشهدن الحروب،
ويبينن للمجاهدين الطعام، ويقنينهم الماء، ويغسلن الثياب، ويضمدن الجروح،
ويشتركن في الجهاد أحياناً .

نعم إن الشريعة لم توجب على المرأة حضور الجماعة والجمعة إيجاباً ، ولم تفرض عليها القتال مع الرجال ، وحماية الديار ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وإنما خصت الرجال بذلك كله لأن للمرأة من نظامها انطوري ، واختصاصها المنزلي ، ما يعوقها عن مشاركة الرجال في كل حين مثل هذه الأعمال ، ومن أكبر موانعها الحمل والولادة وحضانة الأطفال وإعدادهم رجالاً للمستقبل ، وإدارة شؤون المنزل .

وأما عملها الحربي الاسلامي ، فيظهر الفرق بينه وبين عمل النساء الحربي الجاهلي ، بما قامت به في وقعة أحدٍ نفسها بطلة الحروب والوقائع العربية الإسلامية ، الصحابة الجليلة . أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية الشهيرة ، واليك الحور الذي دار بينها وبين أم سعد بنت سعد بن الربيع ، قالت أم سعد : دخلت عليّ أم عمارة فقلت يا خالة : اخبريني خبرك ، قالت : خرجت اول النهار ، وأنا انظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انخرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس حتى خلعت الجراح اليّ ، فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت من أصابك بهذا ، قالت ابن قنثة أمّاء الله (اذله واصغره) : لما دلى الناس عن رسول الله اقبل يقول : دلوني على محمد فلا نجوت ان نجيا ، فاعترضت له انا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله فضر بني هذه الضربة ، ولكني ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان . وقد اتى الرسول على شجاعته فقال : ما التفت يوم أحدٍ يمينا ولا شمالاً إلا ورأيتها تقايل دوني .

شهدت يعة الرضوان ، ثم شهدت وقعة البامة فقاتلت حتى قطعت يدها ، وجرحت اثنتي عشرة جراحة . وكانت فوق ذلك كله محدثة جليلة روى عنها ابنها عباد بن نعيم ، ومولاتها ليلي ، وعكرمة ، والحارث بن كعب ، وأم سعد ، وحدثها في كتب السنن الاربعة .

وبمثل ما قامت به ايضاً خولة اخت ضرار بن الأزور الكندي التي كانت اشجع

نساء العرب في عصرها ، وكانت تشبه بخالد بن الوليد في حملاته ، بل ظنّها أناس في بعض وقائعها خالداً ، بل خالد نفسه كان معجباً بفرط شجاعتها ، وما ظهر من خلالها وشمائلها ، ولها اخبار كثيرة في فتوح الشام ومما حدث به الواقدي أنه لما أمر اخوها ضرار بن الازور في وقعة اجنادين سار خالد بن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاده . فينا هو في الطريق ، مرة به فارس معتقل رحمه ، لا يبين منه الا الحدق ، وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوي على ما وراءه . فلما نظره خالد قال : ليت شعري من هذا الفارس ؟ وايم الله إنه لفارس ! ثم اتبعه خالد والناس من ورائه ، حتى أدرك جند الروم ، فحمل عليهم ، وأمن بين صفوفهم ، وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كنائهم ، وحطم مواكبيهم ، فلم تكن غير جولة جائل ، حتى خرج وسانه ملطخ بالدماء . وقد قتل رجالاً ، وجندل أبطالا ، ثم عرض نفسه للموت ثانية ، فاخترق صفوف القوم غير مكترث ، وخامر المسلمين من القلق والاشفاق عليه شيء كثير . وظنه أناس خالداً . حتى إذا قدم خالد قال له رافع بن عميرة : من الفارس الذي تقدم أمامك ؟ فلقد بذل نفسه وميجه ، فقال خالد : والله لأننا أشد إنكاراً وعجباً لما ظهر من خلاله وشمائله ، وبيننا القوم في حديثهم ، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب ، والخييل تعدو في اثره ، وكلما اقترب احد منه الوى عليه ، فأنهل رحمه من صدره ، حتى قدم على المسلمين ، فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ، ورفع لثامه ، وناشده ذلك خالد ، وهو امير القوم وقائدهم ، فلم يجز جواباً ، فلما أكثر خالد اجابه وهو ملثم فقال : ايها الامير إني لم اعرض عنك الا حياة منك ، لأنك امير جليل ، وأنا من ذوات الخدور ، وبنات السور ، وانما حملني على ذلك اني مُحَرَّقة الكبد ، زائدة الكد ، فقال خالد : من أنت ؟ قالت انا خولة بنت الازور . كنت مع نساء قومي ، فأتاني آت بأن اخي اسير . فركبت وفعلت ما رأيت . هنالك صاح خالد في جنده ، فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها ، فاقبلوا على أعقابهم .

أدب المرأة وصبرها قبل الاسلام وبعده

كان لوجي الله المعجز سلطان على روح المرأة العربية ووجدانها ، وكان ايمانها عنيتها في الحروب والفجائع وعنادها ، فهو يفرغ على قلبها نعمة الصبر والثبات ، ويعدها اذا كانت فاقدة واجدة بالجزء في دار الرضوان ، وقد ظهر الفرق محسوساً بين حالتها في الجاهلية والاسلام . هذه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة التي كانت تقول في اول امرها اليقين او الثلاثة ، فلما قتل شقيقها معاوية بن عمرو وقتل اخوها لأبيها صخر ، اكدت من الشعر حتى سارت بقصائدها الركبان ، واشتهر نواحها على صخر حتى غدا مضرب الأمثال ، وصارت هي اشهر شواعر العرب فمن ذلك قولها فيه :

ألا يا صخرُ لا انساك حتى أفارق مهجتي وُيشق رَمِي
بذكرني طلوعُ الشمس صخرًا وأبكى لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي من المتفجعين قتلْتُ نفسي

ومن شعرها فيه :

ألا يا صخرُ ان ابكى عيني فقد اضحككتي دهرًا طويلاً
ذكرتك في ناء معولات وكنتُ أحق من ابدى العويلا
دفت بك الجليل وانت حيٌ فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيلٍ رأيت بكاءك الحسن الجيلا

وقد قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم ، فأسلمت معهم ، فذكروا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلحها الشعر فيعجبه شعرها وهو يقول :
هيه يا خناس ويومي يده ، حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال ، فوعظتهم ، وحرضتهم على القتال ، فلما أصبحوا باشرىوا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا فلبسها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمة

علم النساء في العصر النبوي

وكما كانت المرأة العربية في الحرب صاحبة سيف وستان ، وفي السلم ربة برهان وبيان ، كانت في حلقات الدروس تشاطر الرجل كل علم ، وتضرب معه بأوفر سهم ، وفي اوقات العبادة حمامة المسجد ، ومحدثات انشاء في عهد النبوة وما بعده كثيرات جداً ، وانك لتجد اسماء من مدونة في كتب طبقات المحدثين وغيرهم .

وقد استغرقت المحدثات المجلد السادس من مسند الامام أحمد بن محمد بن حنبل الا قليلاً ، ومسند السيدة عائشة - أي الاحاديث التي سمعتها وروتها - قد بلغ وحده اكثر من خمسين صفحة بعد المائتين [ص ٢٩ - ص ٢٨٢] . وقد تسلسل العلم في بعض البيوتات في السيدات حتى صارت الواحدة تروي احاديث النبي عن امها وجدتها ، ومن شواهد ذلك ما رواه الامام ابو داود في سننه قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد ، حدثني ام جنوب بنت نُميلة عن ام سويدة بنت جابر عن امها عقيلة بنت أسمر بن مضرس : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من سبق الى ما لم يسبق اليه مسلمٌ فيؤله قال : تخرج الناس يتعادون ويتخاطون ، اي كل منهم يسبق صاحبه بالخط ^(١) وهذا الحديث يوضح لنا كيف كانت المسلمات راويات محدثات وكيف كانت الفناة العربية المسلمة تحفظ السنة وترويه عن امها وجدتها وهي في العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والآداب وهذه العلوم النافعة ، كانت تعنى النساء والفتيات العربيات في عصور الاسلام الزاهية ، فهل نجد بذلك عهداً ونعید لنسائنا وبناتنا ما فقدنه من تراث ديني أدبي نلکم هي اوصاف العربيات المسلمات في عهد سلفنا الصالح ، وفي ظلال العلوم والآداب الاسلامية فما حال المجتمع الاسلامي اليوم ، وما شأن المرأة العربية في عصر المدنية الحديثة ؟

(١) يتخاطون : اي يسلمون على الارض علامات بالخطوط ، تسمى الخطط واحدها خطة ، وهي الأرض يخطها الإنسان لنفسه ، ويخط عليها خطأ ليعلم انه اختارها

المتعلقات في عصرنا الحاضر

لا يستطيع منصف أن ينكر النهضة الحاضرة فإن الفتيات في عصرنا هذا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية، ومنهن من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الآداب أو الحقوق أو الطب أو شهادة التخصص بالفلسفة والتربية، ولكننا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية ما يماثلها أو بدايتها في دروس الدين. فإن قيل وأين تخصص الفتاة الحاملة لشهادة العالمية أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية؟ فالجواب من وجهين:

(١) مطالبة الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت انشاء وجعله فرعاً للجامعة السورية، وتفتاته قليلة، وفوائده جزيلة، ومطالبتها أيضاً بإنشاء الكلية الشرعية الإسلامية التي اجمع طلاب المعاهد الدينية والمدنية على المطالبة بها، ثم أيدهم بمطلبهم هذا مؤتمر الجمعيات الإسلامية وعزّزته بكتاب بعث به إلى الحكومة ولعلها محققة للأمة هذا المشروع العظيم الذي يكون له إذا تم — كما قالوا — أثر الأثر في البلاد العربية وفي الشرق عامة إن شاء الله.

(٢) إن الأزهر الشريف قد انتعش كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء المسلمين عامة لا للمصريين خاصة، فمن السهل على بناتنا من حاملات (البكالوريا) ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصبحن بعض ذوي المحارم إلى مصر وينهلن من معين الشريعة الصافي ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح.

كان النساء في صدر الإسلام على علم بدينهن، ومالهن وعليهن، أما نساء عصرنا فهن يسألن ويستشكن مسائل كانت يرحى منهن اتقسن الجواب عنها مثل شهادة المرأة وميراثها ودينها، ومثل تعدد الزوجات (أو عدم المساواة كما يقال) ويسألن عن الحكمة في كون أزواج الرسول أكثر من أربع، وأمثال هذه المسائل، ونحن نحبب عنها بإيجاز:

شهادة للمرأة

المرأة إنسان كامل كالرجل لها من الحقوق مثل ماله وعليها من الواجبات مثل ما عليه كما تقدم . ثم ان للمرأة من طبيعة الأنوثة ونظام الفطرة أموراً خاصة بها ، كتدبير المنزل وإدارة شؤونها ، كما ان للرجل خصائص لا تشاركه هي فيها كاحتمال المشاق ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وبهذه الخصائص والمزايا التي انفرد كل نوع من الذكور والإناث ببعض منها ، كانت الأنثى أثنى ، والرجل رجلاً .

وان من المسائل التي لا تماثلها فيها مسألة الشهادة ، فانها تارة تكون شهادتها مثل شهادته ، وطوراً تكون أقل من شهادته ، وأحياناً تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال ، بل تعين عليهن الشهادة وحدهن ، وذلك في الأمور النسائية التي لا تعلم الا من جهتهن . وقد راعى الاسلام في ذلك كله الحكمة ، ومشى مع المصلحة العامة التي تراعى في كل زمان ومكان .

فأما مسألة الشهادة على المال فالأصل فيها آية المداينة وهي في أواخر السورة الثانية (سورة البقرة) « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » الى قوله : واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تبذل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » فقد علل إقامة الثنتين مقام الرجل الواحد بالخطأ الذي يعرض لمن فيها ليس من شأنهن أن يذكرنه ، لأنه شهادة على أمر مالي ، وليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ، ومن طبيعة الانسان أن يذكره لما يعني به ويهمه أمره ، ولا يرد علينا اشتغال بعض النساء في هذا العصر في الأمور المالية او في غيرها من أعمال الرجال كالمندسة والحقوق والزراعة والميكانيك وكالانخراط في سلك الحكومة ، فان هذا خروج على نظام الفطرة والأمره ، ونقصان لمصالح المنازل

والأزواج والأولاد ، كما هو شاهد محسوس ، وكما نسمع الشكوى المرة من يخطون في بحر ان هذه القوضى .

وأما ما كان من شأن النساء ان يذكرنه ولا ينسبته ، وهو من خصائصهن فقد قبل فيه رسول الله شهادة امرأة واحدة ، وثبت في الصحيح عنه أنه سأله عقبة بن الحارث فقال اني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فقالت انها أرضعتنا ، فأمره بفراق امرأته ، فقال : إنها كاذبة ، فقال : دعها عنك « فهذا الحديث صريح في قبول شهادة المرأة الواحدة وان كانت أمة وكانت شهادتها على فعل نفسها في أمر الرضاع ، والنبي لم يتهمها بالخطأ ولا بالنسيان على تراخي العهد وطول السنين .

وأيضاً فان الشريعة السمعة انتظمة لمصالح البشر تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال ، في الأمور الخاصة بين ، والتي لا تعلم الا من جيتن كالأعراس والمآتم والحمامات ، وكالولادة والرضاع ونحوها من الأمور التي تنفرد النساء بالحضور فيها والاطلاع عليها ، فان شهادة النساء وحدهن مقبولة فيما يقع في تلك المجتمعات ، حفظاً للحقوق وضبطاً للشؤون . ومتى كانت المرأة ممن يوثق بدينها وأمانتها كان المقصود بخبرها حاصلًا كما يحصل بخبر الرجل ، وقد نقل الثعرافي في ج ٢ من كتابه الكبريت الأحمر عن الشيخ محي الدين ان المرأة تلحق الرجال في الأبوة ، وتلحقهم أيضاً في بعض المواضع فتقوم مقام الرجلين ، ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين ، وذلك في قبول الحاكم قولها في مدّة عدتها ، وقبول الزوج قولها : ان هذا ولده ، فقد تنزلت هاتان مقام شاهدين عدلين ، كما تنزل الرجل في شهادة الدّين منزلة امرأتين ، فتدخل في الحكم ، فهذه تولية لها من الله

ميراث للمرأة

وأما الميراث فيقال فيه ما قبل في الشهادة أيضاً ، وهو انه يكون لها نصف ميراث تارة ، ويكون ميراثاً كاملاً كميّات الرجل تارة أخرى ، والباحث في

مسألة الميراث من الوجبة الاسلامية ينبغي ان يذكر قبل كل شيء ان الاسلام لم يجعل من المرأة رجلاً ثانياً ، فيحملها أعباء الحياة الخارجية ، بل حافظ على عملها الفطري ، ونظامها المنزلي ، وفرغها لتدبير مملكتها الداخلية ، وجعل الرجل كافلة لها ، فهي ليست مجبرة على الكسب والتفقة بنتاً ولا زوجاً ولا أمّاً ، بل الرجل هو الذي يتفق عليها زوجاً وأباً . وأما مالها الذي يتكوّن لها من الإرث والمير والامتنار فهو يبقى لها (رأس مال احتياطي) تنفق منه اذا اضطرت اليه .

ثم ان ميراثها الذي هو نصف ميراث الرجل هو في الحقيقة خير لها وأبقى من ميراثه الكامل ، فان نصيب الرجل يكون مقسماً بالنفقة ما بين زوجته وولده ، ويكون نصيبها لها وحدها كاملاً غير منقوص ، ولكن الاسلام لم يظلمه في ذلك لأنه هو العامل الكاسب ، أما هي فيعرفها عن الكسب تلك العوائق الزوجية كالحمل والولادة والأمومة والحضانة ، وأما مالها الخاص فقال احتياطي تنفق منه متى احتاجت اليه كما قدمنا . علي أنها أحياناً يكون لها مثل الرجل كما اذا خلف الميت ذكراً فأكثر ، وكان له والدان ، فلكل واحد منها السدس ، فعما سواها في هذه الفريضة لا يتفاضلان فيها ، وذلك لعظم مقام الام بحيث تساوي الأب بالنسبة الى ولدهما ، وان كانا يتفاضلان في الزوجية وغيرها . وكما اذا كان للميت أخ وأخت من أم فلكل واحد منها السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فعم شركاء في الثلث على المساواة التامة بين ذكورهم وإناثهم . والآيات الكريمة سيفه سورة النساء ناطقة بذلك كله .

وجملة القول ان المرأة تارة يكون نصيبها نصف نصيب الرجل ، وتارة مثله ، وهي على كل حال بنته او زوجته او أمه ، وعليه وحده المشقة والتفقة ، ولها الراحة والهناء ، وعليه الغرم ، ولها الغنم ، فأنى تكون مهزومة او مظلومة ؟ ووارحماء للرجل فلان حاله بقول قول المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أني بما أنا بك منه محسود !

دين المرأة

وأما عبادتها ، فهي مطالبة بأدائها كاملة كالرجال ، ومنها الصيام والحج والزكاة ، اللهم إلا الصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، فالشارع اسقطها عنها في حال تلبسها بعذرها الطبيعي الشهري ويمتد ألباماً وفي مدة النفاس في الولادات ايضاً وتمتد عشرات الأيام ، ولم يوجب عليها قضاءها بعد انقضاء تلك الأيام دفعاً للحرص عنها ، « وما جعل عليكم في الدين من حرج » « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » وهذا هو معنى نقصان دينها ، فما هو بالشيء الذي تستحق عليه الملام في الاسلام .

أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم التسع

اجمع المؤرخون وعلماء السيرة على ان محمداً النبي العربي (صلوات الله عليه) اكمل ناشئاً في قومه ، وأعف رجل فيهم ، وقد خطبته خديجة بنت خويلد زوجاً لها في مطلع شبابه وهي في الأربعين فتزوجها فصارت أم المؤمنين ، وماتت عنده عجزاً وقد بلغ الخمسين ، فكانت أولى نساءه وأم أولاده عدا ابراهيم (فانه من مارية القبطية) وكانت ذات حسب ونسب فاخترت الكنفؤ الكريم .

اقامت معه ربع قرن فلم يتزوج عليها احداً ، بل لم يجمع في مكة بين ثنتين ، بل لم يتزوج بكراً غير عائشة (رض) فهل هذا شأن من يريد الحياة الدنيا وزينتها ؟ ثم إن تعدد ازواجه في المدينة أسباباً خاصة وعامة ، وحكماً ومقاصد سامية ، ونحن نلخصها فيما يلي :

إن الجمع بين أمهات المؤمنين لم يكن إلا بعد هجرة النبي إلى المدينة في السنوات العشر الأخيرة من عمره صلى الله عليه وسلم وعددهن تسع ، خمس من قريش ، وهن عائشة بنت ابي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت ابي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أمية ، واما الأربع الباقيات فهن صفية بنت حيي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ،

وجويرة بنت الحارث المصطبة . والحكمة في تزوجه بعد هجرته الى المدينة يضع نسوة في بضع سنين هو العناية باصلاح البيوت ، وتهذيب النفوس ، ومصاهرة القبائل ، وكفالة الأراامل ، وتربية الأيتام ، وأن تكون ازواجه قدوةً حسنة لجميع النساء .
 وفي تلقي العلم والحكمة ، والبر والرحمة ، والتقوى والعبادة ، والتربية والتعليم وإليك اليبات :

(١) جعل الله تعالى من بيوت نساء النبي صلى الله عليه وسلم مدارس داخلية يتعلمن فيها الدين : عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه لا سيما ما يختص منه بالنساء فقال « وَقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » فالقرار في البيوت من اجل ان يتعلمن ما يحتاجن اليه ، وما يعظن به النساء والرجال ، ولهذا قال : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » وآيات الله : براهينه وكتابه ، والحكمة سنة نبيه المينة ما نزل اليه من ربه ، وانما نهى عن التبرج الجاهلي لأن الفتونات بحب الزينة لا يأتي منهن معلمات ولا مرييات ، ولأن الانغماس في المشتبهات ، والاسراف في اللذائذ يفسد بأس الدول القوية ، ويفقّر الأمم الغنية ، فكيف بالأمة الناشئة الضعيفة ، ونساء النبي انما وُجدن عند النبي لتربية الأمة وتعليمها ، وارشادها واسعادها .

(٢) لما طلبن منه التوسع في الطيبات ، وملابس الزينة والترف في المعيشة ، نزلت في حقن آيات التخيير ، « يا أيها النبي قل لأزواجك إِنْ كُنْتُنَّ تُردْنَ الحياءَ الدُّنيا وزينتها فتعالينَ أمتنعنَّ وأمرحكنَ سراحتاً جليلاً وإِنْ كُنْتُنَّ تردنَ اللهَ ورسوله والدار الآخرةَ فإنَّ اللهَ أعدُ للمحسنات منكنَّ أجراً عظيماً »

لما نزلت هاتان الآيتان بدأ بعائشة وكانت أحبهنَّ اليه ، كما كان أبوها أعز الرجال عليه ، فقال يا عائشة إني أحبُّ ان اعرض عليك أمراً أحبُّ ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابريك ، قالت وما هو يا رسول الله ، فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير ابري ، بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم

خيرهن كهن فاخترن ما هو خير لمن ، اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .
 (٣) أراد نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان يقمن حيث أقامهن الله ورسوله صالحات
 قانتات مرييات معليات ، مرشدات ومفتيات ، فاخترن الدار الآخرة ونعيمها الدائم ،
 ورضوان الله الاكبر ، على حظوظهن من هذه الحياة الدنيا ومتعها ومفاتها ،
 فأنابن الله كرامة لمن وجزاء على ما اخترن ورضين بأن قصر نبيه عليهن ، دون
 ان يتزوج او يطلق او يستبدل بين غيرهن فقال : « لا يحل لك النساء من بعد
 ولا ان تبدل بين من أزواج » الآية ، والحكمة في تحريم تطليقهن هو استدامة سماعهن
 ما بتلى في سيوت النبي من آيات الله والحكمة ، وذكر ذلك ونشره بين الناس لاسيما
 نساء الصحابة ، وآية فائدة ترجى لمن او لغيرهن من طلاقهن ، وهن أمهات المؤمنين
 تعظيماً وتحريماً على الرجال كالأمهات ، فأنت ترى ان النبي قد قصر على أزواجه
 الطاهرات ، وحرم عليه ان يبد عينيه الى غيرهن بالزيادة او التبديل ، بخلاف رجال
 أمته الذين أبيع لم التعدد بشروطه ، وكذا التطليق ، وان يستبدلوا بأزواجهم غيرهن ،
 فكان قصره على دائرة ضيقة من الأزواج ، وكانت الأمة في دائرة أوسع منها
 أهذا هو الذي يسمونه تمتعاً بالنساء أو الأزواج ؟

نساء كهن ثيبات (عدا السيدة عائشة) ومنهن من لما اولاد ، تزوجهن في سن
 الكهولة أو الشيخوخة ، وحين الحاجة الى التبليغ والتعليم ، وربما كان الزوج بين
 كهن قبل نزول آية التحديد بأربع نساء ، فهي قد تزلت في السنة الثامنة من الهجرة
 وكان تزوجه بأخرهن وهي ميمونة بنت الحارث الملالية في أواخر سنة سبع منها ،
 وحرم عليه تطليقهن لأنهن قد اخترن ما عند الله على زهرة الحياة الدنيا وزينتها ،
 على أنهن قد صرن أمهات للمؤمنين فما الفائدة من طلاقهن وهن حرام على الرجال ؟
 أولست الحكمة في بقائهن عند هذا الزوج الكريم ، والرسول العظيم ، متعلات
 معلات ومثلاً علياً في تهذيب النفوس وسائر الصالحات ؟

تعدد الزوجات والطلاق

ان تعدد الزوجات وانطلاق لم يختص بها الاسلام ، وانما كنا شائعين عند اليونان والرومان والعرب وغيرهم قبل الاسلام ، وقد اباحت القوانين الأوربية والاميركية تعدد الزوجات والطلاق واصبح ذلك عندهم مستحسناً ، من بعد ان كان مستهجنًا ، ولكن اتعددت في عرفهم يقصد به التنقل في اللذائذ والتمتع بأنواع الحياة والشهوات ، فكان ذلك من اكبر الدواعي لتناقص النسل ، لا لازدياده ، والسامة من الحياة الزوجية لا الرغبة فيها .

اما التعدد الصحيح فله ضرورات ، منها ان تكون الزوج عقيمًا لا تلد ، او عندها مانع من مرض ، او دخلت في سن اليأس ، وهذه أسباب شخصية ، واما السبب الاجتماعي العام في جميع الشعوب والأقوام ، فهو زيادة النساء على الرجال لا سيما بعد الحروب العامة التي يهلك فيها الملايين من المحاربين ، ويبقى الملايين من النساء بلا رجال فتعد الزوجات هنا ضرورة اجتماعية لتجديد النسل وتكثير الأيدي العاملة ، وهو من مصالح النساء التي تبقى محرومة نعمة الحياة الزوجية والأمومة ، ويجب أن نعلم يقينًا ان المناداة بالمساواة بين الرجال والنساء في تعدد الزوجات والأزواج هو ضرب من الاباحة أو الجنون ، لأن تعدد الزوجات يزيد النسل ، وتعدد الأزواج يفسد الحرث والنسل . وقد قال بعض الأوربيين الاجتماعيين في يات الفرق بين الرجل والمرأة في هذا المقام : لو أن الرجل قد تزوج بمائة امرأة في عام واحد لأمكن ان يكون له مائة ولد ، ولو تزوجت أنثى بمائة رجل في عام واحد لكان لها ولد واحد او لا يكون لها شيء .

آية التعدد

يظن كثير من الناس ان الآية المبيحة للتعدد بشرط العدل ، داعية الى الاستكثار من عدد الزوجات ، والاستمتاع بصنوف المشتبهات ، مستدلين على ذلك

بجملة منها ؛ وهي : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » غافلين عن أول الآية وآخرها ؛ وسياق الآيات التي جاءت معها وسبقها ؛ والأسباب التي أنزلت في شأنها ؛ لكن المعنى في معناها يعلم انها وردت في حفظ حقوق الضعفاء ، والتحذير من اكل اموال اليتامى والنساء ، وأولها : « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تبدلوا الخيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً . وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا » وقد نزلت في اسباب عدة وما تمّ تعارض بينها :

- ١ - في اليتيمة تكون في حجر وليها ، فيعجبه مالها ، فيريد ان يتزوج بها طمعاً في مالها او بدون مهر المثل
 - ٢ - في منع اليتيمة من التزوج ليبقى الولي حتمّاً بما لا ينارعه فيه الزوج
 - ٣ - في الاستكثار من النساء ، والإغارة على أموال اليتامى من اجل ذلك
 - ٤ - في ظلم النساء الكثيرات ، وعدم العدل بينهن .
- فجاءت الآيات قاضيةً بإبطال تلك المظالم ، التي كانت عليها الجاهلية في أمر اليتامى وأمر النساء ، أمراً بالتزوج بالمرأة الرشيدة ، إذا خيف من ظلم اليتيمة ، مبيحة الزيادة على الواحدة الى الأربع ، إذا دعت الدواعي إلى ذلك بشرط العدل بينهن ، فإذا خاف الرجل الظلم اكتفى بواحدة ؛ والأصل في معادة البيوت ألا يكون للرجل أكثر من واحدة بنعم نبيها ؛ ويتعاون معها على تربية نسلها تربيةً سالحة ؛ تعتز بها الأمة والوطن ؛ ولكن العوارض الطبيعية والاجتماعية هي التي تلجئه إلى التعدد كما تقدم .

الطلاق

الطلاق لا يكون الا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون الزوجان قانعين بأن لا ينيل لبقائهما على الحياة الزوجية لموانع جسمية أو نفسية ، تخلقية

او 'خلقية' ، تجعل صفو العيش كدراً ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ؛ فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة ؛ والزوجان سعيدان به لا شقيان « وإن يتفرقا بفن الله كلاً من سعة » وآية ذلك ان يكون الزوج في حال الطلاق عاقلاً مختاراً ؛ وان تكون الزوجة راضية مطمئنة ؛ فيمتها متاعاً حسناً بكسوة ؛ ويفارقها بإحسان . أما إذا لم يكن موجب للفراق ؛ فلا يحل له أن يضارها بالطلاق ، وعليه أن يذكر قوله تعالى « فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » فهذا ضمان وأمان لها من الله طول حياتها عنده ما دامت قائمة بواجبها .

أما طلاق النضبان والسكران والطلاق من أجل قضية اجنبية لا علاقة للزوجة بها فهو طلاق الظالمين لا تقسم ولا أزواجهم .

والحاصل ان مسألة الطلاق كتمدد الزوجات شرعت للحاجة اليها ؛ ولها شروط وقيود تثبت تقها وتمنع ضررها ؛ وليس لدينا وقت لا يبراد النصوص عليها ، على أنها معلومة مشهورة . أما الطلاق في أوروبا وأميركا فالظاهر انه لا يكون الا لأسباب تقع بين الزوجين خاصة ؛ ولكنهم يطلقون لأهول الأسباب وأيسرها ؛ كقص الشعر ؛ وخلق اللعينة ؛ ولباس السهرة ونحو ذلك ؛ ولذلك كثر عندم كثرة هائلة وليس لديّ احصاء عنه الآن وهو طلاق باعته السامة والملل ، وحب التنقل وله عواقب وخيمة ومنها ضياع النسل ، وقد نشرت جريدة الاهرام اول سنة ١٣٥٤ هـ وسنة ١٩٣٥ م اعتقاداً للقاضي لندي اشهر قضاة الطلاق في لوس انجلوس من ولاية (كليفورنيه) خلاصته ان الحياة الزوجية متزول من بلادهم (امريكة الشمالية) وتحل محلها الاباحة والفوضى في العلاقة بين النساء والرجال في زمن قريب ، وهي الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الاسباب خلافاً لهداية جميع الأديان ، إذ لا دين ولا حب يربطهما ، بل الشهوات ، والتنقل في وسائل المسرات

رسم خطة عملية لاصلاح البيوت

البيوت مؤلفة من رجال ونساء وبنين وبنات ، والرجل هو المسؤول عن زوجه

وولده ، وكل من يتصل به ، وفي الحديث الصحيح : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فيجب على الرجل ان يأخذ نفسه وأهله بأدب الدين الذي هو جماع الفضائل والآداب ، فان كان الرجل جاهلاً او ضعيفاً لا يستطيع ان يعلم هو بنفسه ، ولا ان يكون قدوةً سالحةً لغيره ، فعليه ان يستعين على ذلك برجال الأمة وهم عملاؤها العاملون الأطهار ، وعلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ان يقوموا بواجب التهذيب والتعليم ، اما اذا كان الرجل آثماً وحاول أن يدخل الفسق في بيته ، ويلوث طهارته وطهارة زوجته وولده ، فما على المحصنات في البيوت والأولاد البررة الا ان يأخذوا حذرهم ، ويتعاونوا جميعاً على نصحه ومنعه ، عملاً بالآية الكريمة « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »

وهذا الاصلاح الداخلي مطلوب من النساء لأنهن ربات البيوت ، ومربيات النفوس ، بل هن اميرات الداخل ، ومعاقل المنازل ، وما زلن اقرب الى القطرة ، وأعف من الرجال ، وابعد عن كل مسكر ومبسر ، وصائر انواع المفسد ، والمرأة الحق بأمر الرجل بالمعروف ونهيهِ عن المنكر ، ونظير يبتها من جرائم الفساد التي يحاول الرجل الأثيم ان يلقح بها عياله واطفاله ، فتفتك بهم عاجلاً او آجلاً كما فتكت به من قبل ، فعلى النساء ان يحذرن كل الحذر ، وان يعلنن حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يذكرن الآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فقد أعطت هذه الآية الكريمة هذا الحق للرجال والنساء على السواء ، ويدخل في هذا انكارهم حتى على الخلفاء والملوك والأمراء ، وقد كانت النساء يعلنن هذا في صدر الاسلام ويعملن به كالرجال .

وبعد فان لنا عتياً على المرأة الحديثة التي اخذت تعقد المؤتمرات في غير وطنها ، وتطلب حقوقها من غير دينها وأمتها ، وهي تدري او لاتدري أن لها في الاسلام من الحقوق ما لم تعطه امرأة قديمة ولا حديثة ، في شريعة من الشرائع الدينية او للمدنية ،

هي تطالب بحقوق لم تسلبها ، وتشكو أمة لم تظلمها ، وشريعة لا تزال تعيش في ظلالها ، وتستنير بنورها ، فيا ليت النساء العربيات الملمات يعقدن المؤتمرات النسائية في بلادنا ، ويحددن بها مكانة المرأة العربية أيام عصورها الذهبية ؛ فتعود عالة عاملة ؛ أمرة ناضجة ، كما فعلت تلك التي عارضت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مسألة المهور ، وهو واقف بخطب على منبر الرسول ، فاعترف بخطئه ، ورجع الى قولها عن قوله ، وأرى ان هذا اقرب طريق للإصلاح لأنه متى صلحت الأفراد صلحت الجماعات ، ومتى صلحت الأمرة صلحت الأمة ، والسلام .



محاضرة للأستاذ الشيخ محمد بهجة اليطار ألقاها في ردة المجمع العلمي العربي على الرجال — مساء الخميس الواقع في ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ للموافق ٢٢ أيار سنة ١٩٤١ .
وعلى السيدات : مساء الخميس الواقع في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ للموافق ٢٩ أيار سنة ١٩٤١ .

الطِرمَاح بن حكيم الطائي

(١)

حياته

هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن قنبر بن قيس بن جعدر الطائي . ويكنى
ابا قنبر و ابا ضيبة . ينتهي نسبه الى طيء . وبنو طيء من العرب القحطانية كانت
منازلهم باليمن فخرجوا منها بجاذنة سيل العرم فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من
بني اسد ، ثم غلبوا بني اسد على جبلي آجأ وسلمى من بلاد نجد فنزلوا ففرقا بجبلي
طيء ، ثم اترقوا في اول الاسلام زمن الفتح في الاقطار . ولهم بطون كثيرة في
الشام والعراق^(١)

كان قنبر بن قيس أحد أجداد الطرماح شاعراً ذكر له ابو تمام الطائي في الحماسة
هذين البيتين :

الا قالت مهبشة ما نغري أراه غيرت منه الدهور
وانت كذلك قد غيرت بعدي وكنت كأنتك الشعرى العبور
وكان قيس بن جعدر والد قنبر ابن خالة حاتم الطائي أسره بعض ملوك بني
جفنة بدمشق فدخل عليه حاتم فاستوجه اياه وقال :^(٢)
فككت عدياً كلها من اسارها فافضل وشفعني بقيس بن جعدر
ابوه ابي والام من أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومشري
وقيس بن جعدر هذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وورد اسمه في كتب
طبقات الصحابة^(٣)

والطرماح من فحول الشعراء الاسلاميين ولد ومات في العصر الاموي ، ولم

(١) صبح الاعشى لفتنندي ج ١ ص ٣٣٠ ولطوخ الارب له ص ٢٦٦

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٢٠ (٣) الأصابة في تمييز الصحابة ج ٥ ص ٢٤٨

ينص احد ممن ترجم له من المتقدمين على تاريخ ولادته او وفاته ولكن بعض اخباره
وأشعاره تعين على معرفة ذلك على سبيل التقريب .

ولد الطرماح في الشام وتثا بها كما نص على ذلك كل من ترجم له دون ان
يعينوا المدينة او القرية التي ولد بها . ولا يبعد ان يكون مولده حوالي منتصف
القرن الأول لما سيأتي . ونحن لا نعلم من احواله وهو في الشام شيئاً بل جميع ما روي
من اخباره كان بعد نزوحه عنها . ولكنه ظل يفخر بشاميته كما يفخر بقحطانيته قال :

ونجارك من أسد العراق كئائب لقحطان اهل الشام يوم استهل
بهم ينصر الله الخليفة كلها رأوا نعل صديد عن الحق زلت
وقال :

فبغزنا نصر النبي محمد وبنا ثبت في دمشق المنبر
وقال :

بماني تبوع . للساعي يداه وكل ذي حسب بماني
وانتقل من الشام الى الكوفة مع من وردوها من جيوش اهل الشام ، ولا
يعد ان يكون ذلك بعد سنة سبعين اذ قمع عبد الملك بن مروان بجيوش اهل الشام
نواثر العراق . وقد نكون غير مخطئين اذا قدرنا ان الطرماح وقثذ كان في العقد
الثالث من عمره كأكثر الجنود عادة . وتزل بالكوفة في تيم اللات بن ثعلبة وأخذ
عن شيخ منهم مذهب الخوارج كما سيأتي . ولكن لم يرو عنه انه حارب مع الخوارج .
وبالكوفة صحب الكمي ابن زيد الاسدي الشاعر وتوثقت بينهما عرى الصداقة
على اختلاف احوالهما . قال صاحب الأغاني : « كان الكمي بن زيد صديقاً للطرماح
لا يكادان يفترقان في حال من احوالهما فليل للكمي لاشي اعجب من صفاء ما بينك
وبين الطرماح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد هو شامي قحطاني
(خارجي) وانت كوفي تزاربي شيعي فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العداية ؟
فقال اتفقنا على بغض العامة » (١)

(١) انظر أيضاً اليان واليتين للباحظ ج ١ ص ٥٤ .

وذهب من الكوفة الى بلاد فارس وذكر عدة مواضع منها في شعره مثل بم
وكرمان وفتح الريج والقائزان وقزوين قال :

ألا أيها الليل الطويل الا اصبح بم وما الاصبح فيك بأروح
لئن مررت في كرمات ليلى فربما حلا بين تلي بابل فالضبح
وقال :

طربت وشاقت البرق الياني بفتح الريج فتح القائزان
الم تر ان عرفان الثريا يهيج لي بقزوين احتزاني
وذكر الجاحظ في البيان والتبيين ^(١) ان الطرماح أقام بالري يشتغل بالتعليم .
وعاد الطرماح الى الكوفة واقام بها الى ان توفي . قال ابن شهرمة : « كان
الطرماح لنا جليلاً فققدناه ايماً كثيرة فقمننا بأجمعنا لتنظر ما فعل وما دهاه فلما كنا
قريباً من منزله اذا نحن بنعش عليه مطرق اخضر فقلنا ان هذا النعش فقيل هذا
نعش الطرماح فقلنا والله ما استجاب الله تعالى له حيث يقول :

واني لمقتاد جوادي وقاذف به وبخفي العام احدي المقاذف
لا كسب مالا او أول الى غنى من الله يكفيني عدات الخلائف
فيارب ان حانت وفاتي فلانكن على شرجع ^(٢) يعلى بخضر المطارف
ولكن قبري بطن نسر مقلبه يجر السماء في تسور عواكف
وامسي شهيداً ثاوياً في عصابة يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيطان ألف بينهم تقى الله نزالوت عند التراحف
اذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا الى موعود ما في المصاحف

ويقول ابو هلال السكري في جزء من كتاب التصحيح ^(٣) ان الطرماح بقي
بعد الفرزدق . والفرزدق توفي سنة اثنتي عشرة ومئة . فلا يبعد ان يكون مات
بعده بقليل لأنه ليس في أخباره أو شعره ما يدل على انه عاش طويلاً بعد
ذلك التاريخ .

ولم يرو عن الطرماح انه اتصل بأحد من خلفاء بني أمية او مدحهم ولكنه مدح من أمراء العراق يزيد بن المهلب وهو قحطاني وأشار الى مقتله يوم العقر سنة اثنتين ومئة بقوله :

كتائب من قحطان بالعقر اوقعت وقائع فيها أعظمت وأجلت
ومدح ابنه مخلد بن يزيد الذي توفي فتى في حياة ابيه حوالي سنة مئة^(١) كما
مدح خالد بن عبد الله القسري وهو قحطاني ايضاً (ولي العراق سنة خمس ومئة
وقتل سنة ست وعشرين ومئة) وكان خالد يجله ويؤثره . ورد في الاغاني : ان
الطرماح دخل على خالد فأنشده قوله :

وشيبني ما لا ازال مناهضاً بغير غنى اسمو به وايوع
وان رجال المال اضحوا ومالهم لم عند ابواب الملوك شفيح
احترمي ريب المنون ولم ائل من المال ما اعصي به واطيع
فأمر له بعشرين الف درهم وقال امض الآن فاعص وأطع .

ومدح الطرماح خالداً فأقبل على العريان بن الحيثم وقال له : اني قد مدحت
الأمير فأحب ان تدخلني عليه ، فدخل اليه العريان فقال له : ان الطرماح قد مدحك
وقال فيك قولاً حسناً . فقال مالي في الشعر من حاجة . فقال العريان للطرماح تراء له .
فخرج معه فلما جاوز دار زياد اذا بشيء قد ارتفع فقال يا عريان انظر ما هذا فنظر
ثم رجع فقال : أصلح الله تعالى الأمير هذا شيء بعث به اليك عبد الله بن ابي موسى
من سجنات فاذا حمز وبنال ورجال وصبيان ونساء ، فقال يا عريان اين طرماحك
هذا ؟ قال : ههنا قال : اعطه كل ما قدم به . فرجع الى الكوفة بما شاء ولم ينشده .
ووقعت مهاجرة بين الطرماح وبين الفرزدق كانت الطرماح موفقاً فيها كثيراً .
أما أهل بيت الطرماح فتعلم ان اسم زوجه سلى فقد ذكرها في شعره كما ذكر
ايضاً اسم ابنه صمصامة قال :

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٣٥٢

أيا سلم إن ارجع اليك قريباً رجعت وأمرى للمدى غير مفرح
أحاذر يا صمصام ان مت ان يني تراثي وإياك امرؤ غير مصلح
وورد في الأغاني ان له ابناً اسمه صبرة ولصبرة هذا ولد اسمه يحيى روى
عنه ابو عبيدة . ومن احفاد الطرماح امان بن الصمصامة بن الطرماح كان شاعراً
نحويّاً عاناً باللغة والشعر حافظاً للقريض وكان كتباً عند المهالبة في افريقية
فلما تولى افريقية ابراهيم بن الأغلب سنة أربع وثمانين ومئة وكان ينتسب الى بني تميم
اطرحه لأن جده الطرماح هجا بني تميم^(١)

ثقافته وصفته وأخلاقه

كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلم الأدب وقد
يكون اول من تتقف من الشعراء الاسلاميين على ميل الطلب والدرس . وهو
معدود في الخطباء الفصحاء كما هو معدود من فحول الشعراء . قال الجاحظ « ومن
الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي وكنيته ابو تقرر^(٢) » وقال ايضاً « وكان
الكيت والبعيث والطرماح شعراء خطباء^(٣) » ولكن خطب الطرماح لا تزال مرآ
مكتوماً في صدر الزمان .

أما حسن تعليمه فقد قال الجاحظ ايضاً : « قال عبد الأعلى رأيت الطرماح
مؤدباً بالري فلم أر احداً أخذ لعقول الرجال ولا اجذب لأسماعهم الى حديثه منه
ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء^(٤) »

وفي الأغاني^(٥) ان الكيت أنشد قول الطرماح :

إذا قبضت نفس الطرماح اخلت عرى المجد واسترخت عنان القصائد

فقال اي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة .

(١) مقدمة ديوان الطرماح عن معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٣٦١ وبنية الوفا للسيوطي ص ٢٠٠

(٢) اليان والتيين ج ١ ص ٥٤ (٣) اليان والتيين ج ٣ ص ٢٧٢ (٤) اليان والتيين ج

٢ ص ٢٥٧ (٥) ج ١٠ ص ١٢٩

وما وصل إلينا من شعر الطرماح مع بعض أخباره يدل على استقامة وجد وحزم وتقوى شأن أكثر الخوارج ، فلم يكن يميل إلى العيث واللهو بل يغلب عليه الجد والتعاون كما أنه كان بعيداً عن مداراة الأمراء ومداجبتهم يرى نفسه أكبر من أن يقف بحضرة أمير وينشده الشعر . قال صاحب الأغاني : « وفد الطرماح بن حكيم والكيت بن زيد على محمد بن يزيد المهلي فجلس لهما ودعا لهما فتقدم الطرماح لينشد فقال له أنشدنا قائماً فقال كلا والله ما قدر الشعر أن أقوم فيحط مني مقامي وأحط منه بضراعتي وهو عمود التخر وبيت الذكر لما أثر العرب فقبل له فتبع . ودعي الكيت فأثد قائماً فأمر له بخمسين ألف درهم فلما خرج الكيت شاطرها الطرماح وقال له : أنت أبا خبيبة أبعد همة وأنا أطف حيلة »

والطرماح مع علو همة وأتقته فخور بياه يفخر بنسبه وقسه ويتعصب للقحطانية على العدنانية ويعتز بقيلته وإسلاميته وشأبيته ، وأشعاره في ذلك غير قليلة . قال صاحب الأغاني : « مرَّ الطرماح في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته فقال رجل من هذا الخطار فسمعه فقال أنا الذي أقول :

لقد زادني حباً لنسي اني بغيض الى كل امرئ غير طائل
واني شقي باللاثم ولا ترى شقيقاً بهم الا كريم الثمائل
إذا ما رأي قطع الطرف بينه وبينني فعل العارف المتجاهل

مذهبه

« لما ذهب الطرماح من الشام إلى الكوفة نزل في تيم اللات بن ثعلبة وكان فيهم شيخ من الشراة له سميت وهيئة ، وكان الطرماح يحالسه ويسمع منه ، فرسخ كلامه في قلبه ودعاه الشيخ إلى مذهبه فقبله واعتقده أشد اعتقاد وأصح حتى مات عليه » . هكذا يقول صاحب الأغاني . ويقول ابن جرير الطبري ^(١) أن القعقاع بن قيس عم الطرماح كان يرى رأي الخوارج . فلا يبعد أن يكون الطرماح كنم

مذهبه وهو في الشام خوفاً من اخطائه فلما ذهب الى الكوفة أعلنه . ويقول صاحب الأغاني انه كانت يعتقد مذهب الازارقة من الشراة ويجعله الجاحظ^(١) من الصفرية وكنا الفرقتين من اخطارج وأصولهما واحدة واختلافهما في الفروع غير ذي بال^(٢) والازارقة أكثر تشدداً والصفرية ألين جانباً . ولعل ما قاله الجاحظ هو الصحيح لأنه لم يرو عن الطرماع انه قاتل مع اخطارج بل مدح بعض امراء العراق من قبل بني أمية وذكر خلافهم بخير . وشعره يدل دلالة واضحة على انه يعتقد مذهب اخطارج اصح اعتقاد من ذلك قوله :

لقد شئت شقاء لا انقطاع له ان لم أفر فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها أحد الا التيب بقلب المخلص الشاري
وقوله :

لله در الشراة انهم اذا الكرى مال بالطلا أرقوا
يرجعون الحنين آونة وان علا ساعة بهم شهقوا
خوفاً تبیت القلوب واجفة تكاد عنها الصدور تنفلق
كيف ارجى الحياة بدم وقد مضى مؤسئاً فانطلقوا
قوم شحاح على اعتقادهم بالفوز مما يخاف قد وثقوا
ولكنه لم يكن خشناً ولا متزماً وصداقه للكيت بن زيد الشيعي دليل على
دمائه ولين جانبه .

شعره

الطرماع من فحول الشعراء الاسلاميين تغلب عليه الجزالة حتى تنتهي به في كثير من شعره الى الغريب والعويص ، ويظهر على شعره أثر الاسلام والايمان بما أتى به والرغبة فيما دعا اليه والخوف مما نهي عنه فهو من هذه الجهة يشبه الفرزدق ويزيد عليه بالجد والتعاضد وخلو شعره من الميث والمجون والغزل القاحش .
نقرأ شعر الطرماع قترى نفس شاعر فارس جم المروءة حي الأنف كبير النفس

(١) البيان والبيان ج ١ ص ٥٤ (٢) انظر كتاب الفرق بين الفرق ص ٦٢ و ص ٧٠

حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل التكسب والزلفى بل يرسله معبراً عما
يختلج في نفسه من بواعث الشرف فيصف ويتنزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق
بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها
أحداً ولم يرث بها أحداً فأذا لرجه الشعر فثنى نفسه في زمن كثير فيه المداحون المستجدون
أما وصفه فهو أشبه بوصف شعراء الجاهلية يصور البادية ومجانيها وطبيعتها
وما في أرضها وسماؤها على أنه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس وأقام بها
ولكن إلهام البادية في وصفه أظهر وعزيف جنبها أوضح يعبق فيه الشيع والقيصوم
ويلعج السراب وترغو الابل وهو في جملة وصف دقيق فيه حياة متحركة يتناول
الدقيق والجليل ولكن غرابة اللغة في كثير منه تجعله غريباً عن الأذواق .
وأما غزله ففيه حنين يبعث الحنو وتشوق يثير الوجد ولوعة تفتري عاطفة شريفة
يرسله ألقافاً حري من غربته في بلاد فارس الى سلى التي ملكت قلبه وشغلته
عن سواها ، وسلى هذه هي امرأته وما أعجب قوله فيها :

كأن فؤادي بين أظفار طائر	إذا سجت ذكراك من غير منسج
وذكراك ما لم تسف الدار بيتنا	تباريح من عبس الحياة المبرح
أيا سلم ان ارجع اليك قريباً	رجعت وامري للعدى غير مفرح
أصمصام ان تشفع لأملك تلقها	لها شافع في العدر لم يتبرح
هل الحب الا انها لو تعرضت	لذبحك يا صمصام قلت لها اذبحي

«وصمصام هذا ابنه» ولا شك في ان الغربة ارهنت عاطفة حب الأهل والبنين
والوطن في نفسه وجعلته مشفقاً من حوادث الزمان يخشى ان تغتاله المنية وهو بعيد
عنهم قال :

أحاذر يا صمصام ان مت أن يلي	تراثي واباك امرؤ غير مصلح
إذا صك وسط القوم رأسك صكة	يقول له الناهي ملكت فأسجع
وناصرك الأدنى عليه ظمينة	تميد اذا استعبرت ميد المرج

مفجعة لا دفع للقيم عندها سوى صفحان الدمع من كل صفح
 اذا جثتها تبكي بكث وتذكرت مع الحزن صولات امري غير زمح
 وأما فخري فمن ابواب شعره الجيدة ينم على اعتداده بنفسه وزهوه بها وافتخاره
 بفضائله الخاصة وكرم قبيلته وما أثرها واحتقاره للطبقة الدنيا من الناس وعدم احتفاله
 بالعامه وما أعرف فخراً احلى تنجيبة من قوله :
 « لقد زادني حباً لنفسي أني » الأيات

يتبع

خليل مردم بك

كلمة (فند شمع)

(من أين جاءت ؟ وكيف استعملت ؟ وشي من تاريخها)

أضع اليوم رسالة بعنوان (مكتبة آل المغربي بطرابلس الشام . وصفها وتاريخ جمعها وذكريات عنها) وقد كنت في الكتابة في هذا الموضوع رصيني الاستاذ الفيكت فيليب دي طرازي . لأنه مزعم تأليف كتاب باسم (خزائن الكتب العربية) وهو الكتاب الذي نوّه به الاستاذ رئيس الجمع في الجزء الأول من السنة الماضية . وبينما انا استعرض كتب خزانتي اذا كتاب من مخطوطاتها عنوانه (كتاب شرح ديوان ابي العلاء المعري لابن الدرة) (كذا بالماء ذات النقطتين في آخرها) وتحت هذا العنوان عنوان آخر هذا نصه (سقط العقيان والحلى لعروس ديوان ابي العلاء . بل ضوء الفند . من سقط الزند . للمرحوم الشيخ محمد الدرا) (كذا بالألف في الآخر بدل الماء) وهو أحسن شروحه اه وقد قال المؤلف في مقدمة شرحه مانصه (وقد كنت حين الشروع في هذا الشرح سميت (سقط العقيان والحلى لعروس ديوان ابي العلاء ثم اني بعد الفراغ منه والاطمئنان . رأيت في عالم الخيال والتمائم . اني استفدح زنداً . واستصبح منه فنداً . فعبرت ذلك ان سميت : ضوء الفند . من سقط الزند) ثم قال المؤلف في خاتمة الكتاب إنه فرغ من تأليفه في جدة سنة ١٠٦٤ هـ ويض المؤلف منه اربعة كرايس الى ان قدم بلده دمشق . وتوفي فيها سنة ١٠٦٥ هـ وقام بعده ابن اخيه عبد الحق بن علي الدرا فأكل ياض الشرح في سنة ١٠٩٥ هـ ولعل مخطوطة خزانتي هي نفسها التي كتبها عبد الحق . وقد بحثت عن نسخة أخرى سواها لدى آل الدرا وفي المكتبة الظاهرية وفي فهرست دار الكتب المصرية فلم اظفر بشي . والسقط بالفاء المفتوحة وعاء الطيوب والجواهر ونحوها . اما تسمية الكتاب بالاسم الثاني اعني (ضوء الفند) فهو موضع تساؤل : من اين جاءت

كلمة (فند) الى لغتنا العربية واذا لم تكن عربية بل دخيلة معربة فكيف جاز للمؤلف ان يستعملها منذ ٣٠٠ سنة ؟

عهدي بكلمة (فند) وتضاف الى الشمع فيقال (فند شمع) — أنها عامية محضة وكنت من يوم نشأت اسمع الناس في طرابلس يقولون (فند شمع) ويريدون بالشمع الشمع الذي يستضاء به بل اذا انعمنا النظر في كلامهم نراهم يريدون به في اكثر الأوقات عدة شمعات تباع في غلافها اتخذ من الورق التخين الازرق . ويقال احياناً (دزدينة شمع) مكان (فند شمع) وقد راجعت عن كلمة (فند) كل ما عندي من كتب اللغة فلم اعثر عليها كما راجعت معجم شمس الدين سامي ومعجم لاروس والمعجم الانكليزي فلم أرها بين كلمات هذه اللغات وسألت اخواننا اهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا انهم لا يعرفونها . ولا سمعوا بها . فن أين وصلت الى مؤلف (ضوء الفند) وهو دمشقي النشأة والوفاة حتى صمى كتابه بها منذ ثلاثة قرون . ثم خطر لي ان اراجع معجم اليسوعيين (الفرائد الدرية) فوجدته يقول (فند الشمع وجمعه فتود Bougie. Cierge) وضبطاء (فند) بالكسر وعهدي بالطرابلسيين انهم ينطقونها بالفتح . وجمعها في الفرائد على فتود والاقيس ان تجمع على افتاد اذا صبح انها مكسورة الفاء . وقد وضعت أمامها العلامة التي تقيد ان الكلمة عربية عامية وان اكثر استعمالها بين عامة لبنان . لكنه (اي صاحب الفرائد) لم يشر الى المعلن التي منه نبت . وعنه اعتربت . فن أين جاءتنا اذن ؟

وأخيراً رجعت الى الحاج علي أكبر الشيرازي وهو شيخ معمر من التزلا . الايرانيين بدمشق وقد اعتدت ان استفيه في الكلمات الفارسية او الايرانية الحديثة فلعل (فندا) من هذه الكلمات وقلت له انها تدل على معنى الشمع فقال انه لا يعرفها . وانما يعرف كلمة (فندك) ويذكر أنه وهو صغير في شيراز كان يرى ادمه يتخذون اناء صغيراً من زجاج يملؤونه ماء ويصبون على الماء مذوب الشمع وعلى الشمع شمة او قبلة صغيرة يتفضيئون بها في الليل مكان البترول وانهم يسمونها (فندك)

هذا ما قاله فلعل كلمة (فندك) جاءت مع السلع التي كانت ترد إلينا من إيران في القرن الماضي وما قبله ثم حُرِفَت إلى كلمة (فند) واُطْلِقَتَا على الشمع . واثاء الاستصحاب الذي ذكره الحاج علي أكبر يسمي في دمشق (ادارة) وفي طرابلس الشام (نواصة) و (إرابة) وإذا لم يصح ان (فند) إيرانية وان أصلها فندك . كان لنا ان تبينها نحن معشر العرب وندعي عروبيتها حتى تقوم لغة أخرى فتستلحقها . ونقيم الدليل على نسبتها إليها :

(الفند) بكسر الفاء لها في اللغة العربية عدة معان لا يمكن ان يكون معنى (الفند) جاء منها . اللهم الا من معنيين :

(الأول) ان الفند يكون بمعنى (الطائفة من الليل) كما في نهاية ابن الأثير . فهل يسمع لنا أن نقول ان استعمال (فند الشمع) جاء من هذا المعنى على تأويل ان الظلمة تنجاب وتنكشف جور هذا الشمع . ولا انكر ان في هذا التوجيه تكلفاً : لأن الظاهر ان يقال : شمع الفند اي شمع الظلام لا فند الشمع اي ظلام الشمع (الثاني) ان (الفند) في اللغة يكون ايضاً بمعنى الغصن من اغصان الشجر . وفند الشمع او شمعاته هي شبيهة بأغصان تغرس ليلاً في المجالس . فيُجنى منها بدل الثمار نوراً يطرد الخنادس . فهل يوافقني قارئ الكريم على ان معنى (الفند) جاء من هذا المعنى المجازي ثم تسمى بالمرّة ان الفند بمعنى الغصن وصار يفهم منه معنى الشمع حتى صار الشمع معنى حقيقياً له . ومثله كثير في كلمات اللغة العربية : تكون الكلمة مجازاً ثم تصبح بيب تواتر الاستعمال حقيقة .

نرجع الى عبارة المؤلف (الدرا) في مقدمة كتابه وهو قوله (استقدح زندا . واستصبح منه فندا) فمعناه : استوري من الزند نوراً كنور الشمع . وقوله (سميت ضوه الفند من مقط الزند) السقط الشرر المتناثر من الزند . فيكون المعنى : سميت ضوه الشمع المستخرج من شرر الزند . مرعباً بذلك ان شعر ابي العلاء كالشرر

فهو (اي المؤلف) استخرج منه نوراً . ازداد به الشرر ظهوراً . لكن المؤلف لو قال
(على سقط الزند) مكات (من سقط الزند) لكان احسن
وقال ناسخ المخطوطة عبد الحق الدرا في آخرها مانصه (ولم تزل هذه التولية
(بمعنى كتاب خاله) في صدقة المسودة . تمضي عليها مدة بعد مدة . وهي كالنقاء .
يسمع اسمها . ولا يرى جسمها . حتى كادت تختفي . ونور هذا الفند يطنى . إلى
أن يسر الله تبييضها الخ

فانظر كيف ان كلمة (فند) قد مرنت عليها السنة الدماشقة في ذلك العهد .
الى هذا الحد . ويزيدك دلالة على ذلك ان المؤلف لم يفسر في كتابه لمن جاء
بعده معنى كلمة (الفند) مع انه فسر نحو الف كلمة من عويص الكلمات . ونسي هذه
الكلمة الواحدة التي جعلها اسماً لكتابه . ولا سيما انه سخط له الطف المناسب لتفسير
معنى (فند الشمع) . وذلك انه فسر لنا في تأليفه قول (ابي العلاء) يخاطب الدهر:
(تسأثر العقبان في جوها وتزل الأعصم من فنده)

فسر كلمة (الفند) بالقطعة من الجبل لكنه لم يفسر لنا كلمة الفند بمعنى الشمع .
ومن أية لغة جاءت ؟ ومن أية جانب على لغتنا دمرت ؟ ألا يكون هذا من
مواضع العجب ؟

ولقائل ان يقول ان المؤلف رأى كلمة (الفند) معروفة المعنى مألوفة الاستعمال
بين اهل زمنه ومثلها لا يحتاج الى تفسير . وهذا كما اذا قام احدنا والف رسالة
في تكذيب ما تناقلته العرب من أخبار الغيلان وسمى رسالته (إيقاد البترول على
أخبار الغول) أنراه يفسر اننا معنى كلمة (البترول) الأعجمية ؟ . وهكذا اشتهرت
كلمة (الفند) بمعنى الشمع بالنسبة الى الدماشقة في زمن المؤلف فأصبح تفسيرها
بما لا حاجة اليه

على ان كلمة (فند) ان كانت عادت فانت في دمشق فانها لم تزل حية — في ما
أظن — في طرابلس الشام وما يليها من مدن الساحل .

وتتبع تاريخ كلمات اللغة وتطورها بحث لغوي جديد يحتفل له علماء اصول اللغات من علماء اوربا . فينبغي للشغليين منا في علم اللغة ان يتنعموا هذا العلم الطريف جانباً من عنايتهم واهتمامهم

ويبذه المناسبة نقول : انه كان قديماً لصنع الشمع والمتاجرة به سوق رائجة في دمشق : أيام كان ركب الحج والحجاج يغدرون ويروحون بين الشام والحجاز وكان الحجاج واهلهم ومودعوهم يهدون وينذرون الشموع للمسجد النبوي والأضرحة الشريفة . وكان في دمشق معامل وعمال وعائلات ترتزق من صنع فتود الشمع . وما زال الى اليوم يسمى بعض هذه العائلات بالشماع . ففي هذا المحيط تولدت كلمة (الفند) بمعنى الشمع وكذلك تولدت مثل هذا التولد بين النصارى بالنسبة إلى الشمع الذي يهدي من مزارات القدس وإليها كذا أخبرني ليف من قساسة الروم الأرثوذكس .

* * *

والشيخ محمد مؤلف ضوء الفند ترجمه المحي في (نقحة الریحانة) وفي (خلاصة الأثر) (جزء ٤ ص ٢٤٩) وتكرر اسمه فيه بلفظ (الدرا) بالألف لا (الدرّة) بالهاء . وقال عنه : انه حضر دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي والنجم القزوي . ورحل الى القاهرة . وجاور بمكة . وعمل فيها شرحاً على (سقط الزند) ثم ادركه المرض ولم يكمل الشرح !! وجعل كتابه يرسم خزانة الشريف (زيد بن محسن) وقال : انه ولد سنة ١٠٢٨ هـ وتوفي بدمشق سنة ١٠٦٥ هـ ودفن بجبانة باب الصغير اه غير ان المحي اخطأ في قوله : ان المؤلف لم يكمل شرحه على سقط الزند بل قول انه اكمله تأليفاً . لكنه لم يكمله تبييضاً . فأكمل تبييضه ابن اخته (عبد الحق) كما قلناه عن مخطوطتنا في صدر مقالنا هذا .

لما ان اسم المؤلف (الدرّة) بالهاء او (الدرا) بالألف فأذكر خلاصة ما سمعته من الاخوان الدمشقيين في التفرقة بينهما قالوا : في دمشق اسرتان بهذا الاسم احدهما مقيمة في دومة احدى مدن القوطة . والاميرة الأخرى واقدة من حمص واوطنت دمشق منذ القديم . وزاد آخر فقال والاميرة الدومانية هي التي تكتب (الدرّة) بالهاء

على اسم الطائر المعروف الذي يسمنا صوتاً يحكي كلام الناس . اما الأميرة المحمية فيكتب اسمها (الدرّاء) بفتح الدال وبالألف المقصورة وزاد ثالث ان اصل (الدرّاء) (الدرّاء) بهزة في آخرها على وزن غرّاء فقصرت قال : وإنما لقيت هذه العائلة بالدرّاء لأن رجالها اشتهروا بخاصة جزيلة النفع إلهية الصنع : ذلك ان الموضع من النساء اذا خانتها درّتها . وخافت على طفلها . قصدت كبير بيت الدرّاء فيضغ يده المباركة على ثديها . ويتلو دعاء عجيباً توارثوه بينهم فيستدر لبنها . وتصبح (درّاء) غزيرة اللبن . بعد ان كانت (جدّاء) لا لبن في ثديها .

اقول : لكن اهل اللسان لا يعرفون كلمة (الدرّاء) بمعنى المرأة ذات الدر وانهم ربما يقولون في صفتها (درور) لا (درّاء) فقولهم (الدرّاء) اذن من مخترعاتهم وعلى هذا يكون معنى (بيت الدرّاء) العائلة المنسوبة الى المرأة (الدرّاء) التي ردّوا لطفها . وأرجعوا إليها درّتها . وهناك احتمال آخر وهو أن تكون كلمة (الدرّاء) معرفة عن (الدرّة) بمعنى لبن الموضع الذي يسيل من ثديها . وهو مؤلف (ضوء القند) من هذا البيت على ما يقال .

المغربي

المكتثرون من التأليف والمجودون فيه^(١)

من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان : كتاب الكواكب الدراري في تبويب مستند الامام أحمد على ابواب البخاري لجامعه ابي الحسن علي بن عروة الحنبلي من أهل القرن التاسع ، وكتاب تاريخ دمشق الكبير لواضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من أهل القرن السادس .

هذان السقران الجليلان آيتان ناطقتان على طول قس القدماء في التأليف ، وجد من الأول مجلدات كثيرة ضخمة الموجود منها اربعة وأربعون مجلداً متفرقة ، وما وجد منها المجلد الثاني والمشرون بعد المئة فلا يظن ان الكتاب بلغ أقل من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه وتراجم الخبابة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والأدب ، فهو معلمة اسلامية حقيقية ضمت بين جوانحها اشهر كتابات علماء الخبابة وكبار مجتهدى الأمة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام .

وأما تاريخ دمشق فمنه الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً . ولقد جرى ذكره في مجلس حافظ مصر زكي الدين المنذري وطال الحديث في امره واستعظامه فقال الحافظ : ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتعب . قال ابن خلكان : ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة . ويعتبر ابن عساكر على كثرة ما كتب من المجودين في تأليفه افتح اي كتاب من كتب التراجم ولا سيما تراجم أهل القرون الستة الأولى للإسلام ،

(١) من مسامرة للاستاذ محمد كرد علي انماها في مذياع الشرق في بيروت راجع المجلد الخامس والمجلد

الثامن من مجلة القنيس

تسقط على مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم على النفع ، وقد يظن ان معظم ماخلطوه من كتبهم هو ديني محض ولا أثر لهم في العلوم الدنيوية ، ولكن بعضهم جمعوا الدين والدنيا وكانوا يعتقدون بأن العلوم بأمرها نافعة .

هذا ابو محمد بن حزم الظاهري ، وأهل الظاهر نقاة القياس والتعليل ، وهو معدود في الطبقة الأولى بين علماء الدين ومع هذا تجدد له تأليف ممتعة فيما نعتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الاندلس ان تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والتحليل والمثل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين نحو من اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، فانه أكثر أهل الاسلام تصنيفاً فقد ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ ابي جعفر الطبري الكبير ان قوماً من تلاميذ ابي جعفر خلصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة ، ومن جملة تأليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو أصح التواريخ وأثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه : هل لكم أن أملئ عليكم كتاباً في التاريخ قالوا وكم يكون حجمه فقال : ثلاثون الف ورقة فاستعظموا ذلك وارادوه على الاختصار حتى أملاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كما رأينا اليوم احد عشر مجلداً ضخماً أملاه بهذا القدر وهو يحرق ويقول : ماتت الهم . لأن تلاميذه لم يوافقوه على جعل تاريخه ثلاثين الف ورقة . ومن أهم تأليف ابن حزم : كتاب « طوق الحمامة » وهو من أجمل ما كتب ادیب في العشق والغرام ، وما كان من المستغرب في عصره وعصره عصر زهو العلم في الاندلس ان يتحدث العالم الى الناس بشعوره وعاطفته .

وابن جرير في نظري وابن حزم في إكثارهما من التأليف كانا غاية الكمال

في الإجابة المجمع عليها مثل ابن تيمية من أهل القرن الثامن فقد قال فيه أحد واصفيه ان له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والأجوبة والرسائل والمصنفات ما لا يحصر ولا ينضب ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك ، مع ان تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج اليه ويراجعه من الكتب . وقال غيره : كان الامام يكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الأصول او من الرد على الفلاسفة الاوائل نحواً من أربعة كراريس او أزيد ، وما بعد أن تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد ، وجمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلداً وقيل ان تأليفه تبلغ ثلاثمائة مجلد . وكل ما كتبه وأملاه مجيد فيه للغاية كان على الأيام موضع اعجاب اوليائه واعدائه .

ومثله ابو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صنف في فنون عديدة وكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس . وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال انه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها . وهو من المعدودين في المجودين .

ومن المكثرين من التأليف المجودين للغاية ابن الهيثم الرياضي الطبيعي فقد عدد ابن ابي أصيبعة مصنفاته في زهاء اربع صفحات هذا عدا ما ضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قال : وما أظنها نقص عن مئة مجلد . ومثله الفارابي أحد فلاسفة الإسلام كان مكثراً من التأليف ، وقد اضاع أكثرها لأنه كان يكتب في رقاع كبنها اتفق ويختار الفلاة وبحاري الأنهار

للتأليف فنظير الاوراق التي يكتبها . والفارابي أحد فلاسفة الاسلام ذو فتوت شتى وفكر بديعة مخترعة .

ومثلهما ابو الريحان البيروني له في الرياضيات والتجوم اليد الطولى ، وكان مكباً على تحصيل العلوم منصباً على التصنيف ، لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر ، دخل عليه بعض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات القاسدة فقال : في هذه الحال قال : يا هذا اودع الدنيا وأنا عالم بها أليس خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها قال : فذكرتها له وخرجت ، فسمعت الصرخ عليه وأنا في الطريق . قال يا فتوت : واما تصانيفه في التجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تنوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرور في ستين ورقة . وقال بعض مترجميه : ان كتبه زادت على حمل بعير . ولم يبق منها سوى أربعة كتب طبعت في اوربا . وكل ما وضع من تأليفه في العلوم مما ترتفع به رؤوس أبناء هذه الأمة على كبر السهور والاعصار .

والبيروني أحد كبار فلاسفة العرب يجي في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر والفارابي ومثلهم الكندي فيلسوف العرب وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والارثماطيق والموسيقى والتجوم وغير ذلك وقد عدد اسماءها ابن النديم في ست صفحات . ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات الممتعة في الطب والعلوم العقلية والادب وهو الذي امتنار الفريون لأول نهضتهم بمصنفاته وأول ما طبع عندهم من تأليف العرب كتبه واجادته في تأليفه على كثرة ما كتب منها مما تنافخ به هذه الملة . ومن المكترين من التأليف والمتفوقين فيه حنين بن اسحق وثابت بن قرة وتأليفهما فلسفية علمية ومما مع الكندي من أئمة النقل من اليونانية الى العربية ومن المحسنين في توأليفهم ومن المكترين من التأليف الفزالي والماوردي وعمرو بن بحر الجاحظ والزخشي وهذان الأخيران من أئمة المعتزلة قيل في الأول ان تأليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تأليفه يكتنى بها في التفسير والحديث والتحرر واللغة وعلم البيان والأدب ولا يظن أن أحداً ألف من الكتب المتنوعة أكثر مما ألف الجاحظ ولا اجاد اجادته في

كل ما خاض عبابه وتآليفه بلغت ٣٥٠ أكثرها من المنقود ويا للأسف - ومن الكثيرين من أئمة المعتزلة القاضي عبد الجبار قيل ان تآليفه التي وضعها في كل فن اربعمائة الف ورقة . ومن أئمة المعتزلة كثيرون من جاوزت مؤلفاتهم المئة واثنان الف ورقة . وكتب المعتزلة بادت كلها بتعصب خصومهم عليهم ولم يبق منها سوى كتب تعد على أصابع اليد من ألوف ألقوها . وكان خلف بن احمد (٣٩٩) كما قال العتي في تاريخه مشي الجنب من أطراف البلاد لسمحة كفه وغزارة ميبه ، وأفضاله على أهل العلم وحزبه ، وقد مدح على السنة الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الآفاق طائر . وقد كان جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله تعالى لم ينادر فيه حرفاً من أقاويل المفسرين وتآويل المتأولين ونكت للمذكرين ، واتبع ذلك بوجوه القراءات وطل النحو والتصريف وعلامات التذكير والتأنيث ، ووشحها بما رواه الثقات الاثبات من الحديث . وبلغني أنه اتفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونه على جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار ونسخه بنيسابور موجودة في مدرسة الصابونية لكنها تفرق عمر الكاتب وتستنفد صبر الناصح الا ان يتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة .

قال شارح التاريخ المذكور الفاضل الكرمانى : تفسير خلف مشهور مذكور وهو مائة مجلد وبعض مجلداته نقل الى خزانة الكتب بالمسجد النبوي من مدرسة الصابوني بعد خرابها وهي الآن فيها قللة من ملك يعتني بأمر العلم دون من العلم ما يبقى له تذكرة على وجه الأيام .

ومن المؤلفين الأول الكثيرين من التأليف هشام الكلبي العالم بالنسب واخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ وكتبه تزيد على مئة وخمسين . ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ جاءت أسماء كتبه في نحو اربع صفحات . ومنهم المرزباني من أهل القرن الرابع قال ان تآليفه بلغت ألوفاً من الأوراق . ومن الفقهاء والحفاظ الكثيرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي ، وداود بن خلف الاصفهاني ، وابو العباس بن سريج المعروف بالباز الاشهب من أئمة الشافعية ، كانت فهرست كتبه تشمل

على أربعمائة مصنف ، وقيل ان تصانيف الخافظ أبي بكر ابن البيهقي تبلغ الف جزء .
ولأبي بكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريبا من مئة مصنف
وهو من المجيدين على اكثرهم . وللفني من كتب الاصول والفقه والحديث والأدب
والتاريخ ما يقرب من مئة مصنف . وكانت ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة .
وللأشعري خمسة وخمسون تصنيفا وهو باقتليل الذي انتهى اليه من كتبه بعد في
رأس المصنفين والمفكرين .

وكان أبو حاتم البستي من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال
ياقوت : وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب
التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها واصفها مصنفات أبي حاتم محمد بن
حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر الشجري ووقفتي على تذكروا باسمائها ولم
يقدر لي الوصول الى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا وانا اذكر
منها ما استحسنت سوى ما عدلت عنه واطرحته . وهنا عدها فجاءت زهاء مائتين وخمسين
جزءا والنموذج الذي انتهى اليه منها يعد غابة الكمال في التفكير الجيد والاحاطة
العظيمة بأطراف الموضوع . وبلغت مصنفات أبي بكر بن فورك المتكلم الاصولي
الاديب النحوي الواعظ قريبا من مائة مصنف .

ولأبي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام ، وهو الذي
ينسب اليه اليوم ظلما كل كلام فيه سفسة ومغالطة وكفر ، من التأليف نحو مائة واربعة
عشر كتابا مع انه لم يتجاوز الاربعين من عمره .

ولحي الدين بن عربي تأليف كثيرة ذكر في اجازة كتبها للملك المعظم انه اجازها
ان يروي عنه مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عدت نفقا واربعائة مصنف ،
والف رسالة عدد فيها كتبه كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم
ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة ان يهدس عليهم بعضهم ما لا يروقهم
ويقول فيهم ما ليس فيهم :

وابن سعيد الأندلسي المؤرخ من المكثرين من التأليف ومنها الموضوعان الغريبان

المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلي المغرب والشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتاباً يسمى المزمرة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والاختبارية الا الله تعالى .

ومن المكثرين من التأليف لسان الدين بن الخطيب وابو العلاء المعري ولهذا كتاب سماه الأيك والنصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المئة جزء . في الأدب قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف قال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد . ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : اخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد . وكان الحاجب النصور ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافطس أديباً جليلاً ومن تأليفه الكتاب المظفري المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً . وكتب عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف نحو مئة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو اربعين سنة في العراق والشام ومصر والروم وليس لنا منها اليوم سوى أوراق قليلة وكلها ممتعة .

ومن المكثرين من التأليف والمتوسمين فيه احمد بن ابان بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة ، وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مئة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة وله في العربية واللغة كتب أخرى . ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص والمحكم وغيرهما وهو من المكثرين من التأليف والحفظ المبرزين في تأليفهم وكتابه المخصص آية في بابه .

ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الاعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً . وبلغت تأليف محمد ابي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ - ٧٧ تأليفاً واللف عيسى ابن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه : جمعها بعض اهل البسار . وأنت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين .

ومن المكتوبين من التأليف عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي الشوفي سنة ٢٣٨ قال المقرئ رأيت في بعض التواريخ ان تواليغه بلغت ألفاً ومن أشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك . ولأبي عمرو الداني القرطبي من علماء القرآن مئة وعشرون مصنفاً . وكان يقول : ما رأيت شيئاً قط الا كتبه ولا كتبه الا حفظته ولا حفظته فنبهته ، طبع علماء المشرقيات بعض ما عثروا عليه من تأليفه فرأينا فيها عجباً من ابداعه . وآخر من له التأليف الكثيرة من ائمة الأندلس ابو الحسن القلصادي الشوفي سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والفرائض .

ومن عرفوا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله من الامامية فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف . ومن فقهاء الامامية ابو النصر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صفحتين . ومنهم الاسكافي بلغت تأليفه سبعين كتاباً وكلها جيد مفيد .

ويقال ان توالييف ابي جعفر بن النحاس تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب وذكروا ان محمد بن جماعة من أهل القرن الثامن كان اعجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الألف فان له على كل كتاب اقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصول والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبدع والمنطق والمهيشة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والديوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون أخر وعنه انه قال : اعرف ثلاثين علماً لا يعرف أهل عصري اسماءها .

ومن الذين اكثروا من التأليف احمد بن مكتوم من أهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من أهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من أهل القرن السادس وقي الدين السبكي من أهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من أهل القرن العاشر اطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورفان

وربما لا تقل عن اربعائة مجلد وفيها الجيد ، واتهم بأنه سلخ او مسخ بعض المؤلفات وادعاهما . ومنهم الصلاح الصفدي والمقريري وابن فضل الله وابن المكرم صاحب اللسان وكلهم من المكثرين من التصنيف والذين بلغوا غاية في الاجادة . ومنهم علي ابن زيد البيهقي من أهل القرن السادس ألف نحو ثمانين كتاباً بالعربية والفارسية .

وأعجوبة المؤلفين ابو موسى جابر بن حيان قال : ألفت ثلثائة كتاب في الفلسفة وألفاً وثلثائة كتاب في الخيل على مثال كتاب ثقاتر (?) وألفاً وثلثائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ، ثم ألفت في الطب كتاباً عظيماً وألفت كتاباً صغيراً وكباراً ، وألفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال : ثم ألفت كتاباً في الزهد والمواعظ وألفت كتاباً في العزائم كثيرة حسنة ، وألفت كتاباً في التبريجيات ، وألفت في الاشياء التي يعمل بنحوها كتباً كثيرة ، ثم ألفت بعد ذلك خمسمائة كتاب تقدماً على الفلاسفة ثم ألفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملك وكتاباً يعرف بالرياض .

* * *

التأليف في الأمم كالأشخاص منها العاقل والجيد والاجود ، والعاقل يقضى عليه ولا يبقى لأنه ساقط بطبعه ، والجيد قد يدوم لفائدة قليلة فيه ، اما الاجود فباق بقاء الأيام ، وكما ذكر اسم صاحبه حلا في الأقواء وتطلعت نحوه العيون . كانت المجودون من المؤلفين في القرون الأولى للإسلام أكثر من المجودين في القرون الأخيرة ، لأن العلوم كانت أرقى والملوك يحرسون عليها ويأخذون بأيدي أهلها والأمة تبع للملوكها في باب العناية بها وبأهلها .

وانا اذا قلنا صفحات التاريخ ، نجد في كل عصر العشرين والثلاثين من الرجال المبرزين ، وهؤلاء يجب أن يشاد بذكورهم كل حين . فمنهم ابو بكر بن مجاهد العارف بالقرآت وعلوم القرآت وهو آخر من انتهت اليه الرئاسة بمدينة السلام (توفي سنة ٣٢٤) ومنهم الخليل بن احمد (١٧٠) وهو أول من استخرج العروض وغاية في استخراج مسائل النحر وتصحيح القياس . ومنهم صاحب ميبويه قال ابن النديم وعمل كتابه الذي

لم يسبقه الى مثله أحد قبله ولم يلحق به بعده . قرأت بخط أبي العباس ثعلب اجتمع على
صنعة كتاب سيويه اثنان واربعون انساناً منهم سيويه والاصول والمسائل للخليل .
ومنهم ابو عبيدة (٢١٠) والاصمعي (٢١٠) وابو حاتم السجستاني (٢٥٥) والمبرد (٢٧٩)
والزجاج (٣١٠) ومنهم ابن دريد (٣٢١) وابو سعيد السيرافي (٣٦٨) وابو الحسن الرماني
وابو علي الفارسي (٣٧٠) والكسائي (١٩٧) والفراء (٢٠٧) والمفضل الضبي وابن الاعرابي
(٣٣١) وابو عبيد القاسم بن سلام . وابن السكيت (٢٤٦) وابن قتيبة قال صاحب
الفهرست انه كثير التصنيف والتأليف وكتبه في الجبل مرغوب فيها . وابو حنيفة
الدينوري وابن خالويه ٣٧٠ وابن جني ٣٩٢ وابن اسحق صاحب السيرة قال ابن النديم
وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميه في كتبه اهل العلم الأول (١٥٠) وحشام
الكبي قال اسحق الموصلي : كنت اذا رأيت ثلاثة يرون ثلاثة يذوبون علوه اذا
رأى مخارقاً وابا نواس اذا رأى ابا العتاهية والزهرري اذا رأى هشاماً (٢٠٦) والواقدي
وهو الذي خلف بعد وفاته ستائة قنطار كتباً كل قنطار منها حمل رجلين وكان له غلامان
مملوكان يكتبان الليل والنهار وقبل ذلك يبع له كتباً بالنسي دينار (٢٠٧) والمدائني
(٢٢٥) والبلاذري صاحب كتاب البلدان واحد النقلة من الفارسي وابو الفرج
الأصبهاني (٣٦٠) وعبد الله بن المقفع .

قال ابن النديم الكتب المجمع على جودتها عهد ازديشروكليلة ودمنة ورسالة عمارة
ابن حمزة الماهانية والنيمة لابن المقفع ورسالة الحسن لأحمد بن يوسف الكاتب وسهل
ابن هرون وكان ابو عثمان الجاحظ يفضل ويصف براعته وفصاحته . وقدامة بن جعفر
والمرزباني (٣٧٨) والصابي وابوزيد البلخي كان فاضلاً في العلوم القديمة والحديثة
تلا في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة الا انه بأهل الأدب أشبه . واسحق الموصلي
وبشار بن برد وابو نواس وابن الرومي والبحتري ومالك ابن أنس والشافعي وابو حنيفة
وابن حنبل وابو يوسف والزرقي وداود بن علي وابو عبد الله البخاري وابن جرير الطبري
ويحيى النخعي ومقي بن يونس ويحيى بن عدي وابن زرعة وبنو موسى بن شاكر وثابت
ابن قرة وابراهيم بن سنان وعمر بن الفرخان ومحمد بن موسى الخوارزمي قال ابن النديم

وكان منقطعاً الى خزائن الحكمة للأمرن وهو من اصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجيه الاول والثاني ويعرفان بالسند هند . وبنو الصباح محمد وابراهيم والحسن قال في الفهرست والجميع من حذاق التجميع بعلوم الهيئة والاحكام والبتاني صاحب الزيج وحنين بن اسحق العبادي ، وقسطا بن لوقا البعلبي ويوحنا بن ماسويه واسحق بن حنين وجابر بن حيان .

ومنهم ابن وحشية وابن السيد البطليمي قال ابن خلكان وهو مجيد في كل ماصفه . وكمال الدين بن يونس (٦٣٩) قال ابن خلكان تبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضة وكان أهل النمة يقرؤون عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان في كل فن من الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه . واحمد بن الطيب السرخسي كان متقناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب حسن المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان ملتحص التصنيف والتأليف (٢٨٦) وثابت بن قرة لم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع اجزاء الفلسفة وله تصانيف مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومنهم ابو سعيد ابنه منان وابو الحسن ثابت بن منان . وابو علي بن زرعة وعلي بن العباس المجوسي مصنف كتاب الملكي في الطب وابو الفرج بن الطيب وابو الحسن بن بطلان وابن الثيل البغدادي وابن رضوان وسعيد بن حبة الله وابن جزلة وامين الدولة بن التلميز والبديع الاسطرلابي وابو الخير الحسن بن موار وابو الفرج ابن هندو والرئيس ابن سينا وابو الفرج بن الطيب احيا من علوم الحكمة والمنطق مادثر وابان منها ما خفي وقد نلذ له جماعة سادوا وأفادوا منهم المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان . قال ابن بطلان : ان شيخنا ابا الفرج بن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها وهذا يدل على شدة حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه . ولعلمهم لقبوه بالمفسر لاستغراثه في تفسير ما بعد الطبيعة . ونظر الدين الرازي وابن جليل والناقبي الاندلسي قال ابن ابي أصيبعة وكتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبه له في معناه . وامية بن ابلت

وابن بلجة وابو العلاء بن زهر وابن رشد وابن الرومية والمبشر بن فانتك وله تصانيف جليلة في المنطق وغيره من اجزاء الحكمة وهي مشهورة فيما بين الحكماء . و الخطيب التبريزي والقطب الشيرازي والامام القزويني والجوهري وابن الحاجب ونصير الدين الطوسي وابن دقيق العيد وسيف الدين الآمدي واليضاوي وابن الينطار وهؤلاء الثلاثة خلدوا بما صنفوا وأجادوا وأفادوا . وابن مجي الموصلي وابن فلوس المارديني وابن مسكويه والمسعودي وابن خلدون وابن الاثير وابو الفدا وهؤلاء الخمسة اكبر الدعائم في تاريخ العرب كتبت لم الاجادة التي ليس بعدها اجادة . وفضل الدين الخونجي قال ابو الفرج بن العبري وفي هذا الزمان اي في النصف الأول من القرن السابع كانت جماعة من تلامذة الامام فخر الدين الرازي سادات فضلاء أصحاب تصانيف جليلة في المنطق والحكمة كزين الدين الكشي وقطب الدين المصري بخراسان وفضل الدين الخونجي بمصر وشمس الدين انطروشاهي بدمشق واثير الدين الابهري بالروم وتاج الدين الأرموي وسراج الدين الأرموي بقونية . وعبد النعم الجلباني وابن الصلاح وموفق الدين ابن المطران وشرف الدين بن الرحي والصاحب امين الدولة السامري وابن عبد ربه والبديع الممذاني والحسن بن رشتي القيرواني . وابو هلال العسكري وابن جنبي وما طبع من كتبها يأخذ بمجامع القلوب لما حوى من تحقيق وتدقيق .

وعمل حسان بن مالك بن ابي عبدة الوزير احد ائمة اللغة والآداب ومن اهل بيت جلالة ووزارة مثل كتاب ابي السري سهل بن ابي غالب الذي ألف في أيام الرشيد كتاباً سماه بكتاب ربيعة وعقيل قال ابو محمد ابن حزم وهو من اصالح ماليف في هذا المعنى وفيه من اشعاره ثلثائة بيت وكان سبب تأليفه إياه انه دخل على المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر وبين يديه كتاب ابي السري بمجب به فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب وفرغ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأراه اياه فسر به ووصله عليه .

ومنهم صاعد بن الحسن الربيعي وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار . ومنهم
الراغب علي بن الحسين الاصمعي والشريف المرتضى والقاضي الجرجاني وعلي بن
عبيدة وابو حيان التوحيدي وابن القفطي والقلقشندي والتويري والحصري وابو علي
الفارسي وابو العلاء المري وابن العديم والحري . وابن الصائغ والقاضي ابو الفرج
المعاني قال ابن خلكان كان فقيهاً أديباً شاعراً عالماً بكل فن وله عدة تصانيف
ممنوعة في الأدب وغيره وكتاب الجليس الانيس تصنيفه أيضاً (٣٩٠) وواصل بن
عطاء وياقوت الحموي ويحيى بن اكرم وابن السكيت وابن عبد البر وابن ابي الحديد
شارح نهج البلاغة . وابن الانباري وعبد القاهر الجرجاني وابو اسحق الاسفرايني
قال ابن خلكان اخذ عنه الكلام والاصول عامة شيوخ نيسابور وأقر له بالعلم اهل
العراق وخراسان وله التصانيف الجليلة (٤١٨) وابو اسحق الشيرازي قال ابن خلكان
انه صنف التصانيف المباركة المنيدة (٤٩٦) وابو حامد الاسفرايني (٤٠٦) وابن زيدون
وابو الفضل الميداني (٥١٨) والثعالبي صاحب اليتيمة والقاضي عياض قال ابن خلكان:
صنف التصانيف المنيدة قال وبالجمل فكل تواليفه بديعة . والقاضي الباقلاني وابو الحسين
البصري له التصانيف الفاتحة في أصول الفقه وانتفع الناس بكتبه والحاكم النيسابوري
قال ابن خلكان امام اهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق الى
مثلها (٤٠٥) وابن دريد صاحب الجمهرة . وابو بكر الانباري (٣٢٨) والمسيحي (بالباء
لا بالياء) صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات (٤٢٠) وابو العباس القرطبي
انتفع الناس بكتبه واجاد فيها وعيسى بن دينار الاندلسي صاحب كتاب الهداية
الذي يقول فيه ابن حزم انه ارفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن
القاسم واجمعها للمعاني الفقية ومالك بن علي النهري صاحب القصي وابو عبد الرحمن
بقي بن مخلد صاحب التفسير الذي قال فيه ابن حزم انه الكتاب الذي اقطع قطعاً
لا استثنى فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري
ولا غيره وان تأليفه قواعد الاسلام لا نظير لها .

ومن الاندلسيين أيضاً القاضي منذر بن سعيد وابو محمد قاسم بن اصبع ومحمد
ابن عبد الملك بن أيمن ويوسف بن عبد البر وابو الوليد الفرضي وابن سعيد المؤرخ
والقاضي محمد بن لبانة والقاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق واسماعيل بن القاسم
وابن القوطية وابن التبانى واحمد بن فرج وابو الحسن الكاتب واحمد بن محمد بن
موسى الرازي وحسين بن عاصم واسحق بن سلمة الليثي وابو مروان بن حيان صاحب
التاريخ الكبير في أخبار اهل الأندلس نحو عشرة أسفار قال ابن حزم هو أجل
كتاب ألف في هذا المعنى وله كتاب التين في التاريخ وهو في ستين مجلدة ومحمد
ابن عاصم . قال ابن حزم وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب
حساب رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني وهي كتب
رفيعة حسان وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عياش الزهراوي ولئن قلنا انه
لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن . وفي
الفلسفة كتب سعيد بن قثمون البرقسطي المعروف بالحمار وابي عبد الله محمد بن
الحسن المذحجي . وفي الأزياج سلمة وابن السمع واحمد بن نصر ومحمد بن عطية
الفرناطي والحليدي والباجي وابن بشكوال وابن بام صاحب التبخيرة . وابو القاسم
صاعد بن أحمد الطليطلي وعريب بن سعيد القرطبي وابو محمد عبد الله بن ابراهيم
الحجاري صاحب كتاب المسهب في فضائل المغرب لم يصنف في الأندلس مثل
كتابه . وابو عبد الله بن ابي الخصال الثقوري صاحب مراجع الأدب وابن عصفور
الاشبيلي النحوي . وابن الطراوة والسبلي وابن خروف وابو عبيد البكري الاوني
صاحب كتاب معجم ما استعجم والمسالك والممالك . وابو علي الشلوين وابن طنبيل
صاحب رسالة حي بن يقظان المقدم في علم الفلسفة وابن جبير صاحب الرحلة وابو
علي القسالي صاحب الأمالي قال الضي وكانت كتبه على غاية التقيد وال ضبط
والاثقان وقد ألف في علمه الذي اختص به (اللغة والأدب) تواليف مشهورة نزل
على سعة روايته وكثرة اشرافه وقالوا لئن كان كتاب أبي العباس المبرد (أي

الكامل) أكثر فحواً وخبراً فأن كتاب أبي علي (التوادر) أكثر لغة وشعراً
ومن كتبه في اللغة البارع كاد يحتوي على لغة العرب وكتابه في المقصور والممدود
والمهموز لم يؤلف في باب مثله وتوفي سنة ٣٥٦
هذا ما أمكن جمعه من أسماء المؤلفين من العرب والمجودين فيه وما ذكرناه
نمذج يتيسر التوسع فيه فيكون منه جزء مهم يقرأ دليلاً على سعة فضل العرب
وبعد نظرهم في خدمة الدين والدنيا .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الذخيرة في علم الطب

تأليف

ثابت بن قرة

هو ابر الحسن ثابت بن قرة الحراي المولود يوم الخميس في ٢١ صفر سنة ٢١١ هجرية الموافقة لسنة ٨٢٥ مسيحية والمتوفى سنة ٢٨٨ هجرية الموافقة لسنة ٩٠٠ مسيحية عن سبعة وسبعين عاماً في زمن الخليفة العباسي الموفق بالله . وكان طبيباً شهيراً من أعظم أطباء العصر العباسي كثير التصنيف والتأليف فوضع من الكتب الطبية ما يزيد عن الخمسة والثلاثين مجلداً . وكان فيلسوفاً كبيراً من أعظم فلاسفة عصره ورياضياً بارعاً وفلكياً قديراً وله في الفلك والرياضيات عدد من المخطوطات التي لا تزال محفوظة في المكتبة الاهلية بصر . وكان يجن اللغة السريانية وسواها من اللغات الشائعة في عصره فترجم منها شيئاً كثيراً الى اللغة العربية . وروى ابن أبي أصيبعة عنه في كتاب طبقات الأطباء انه دعى في صدره شتى العلوم فألف في الفلك والدين واللغات والموسيقى وغير ذلك .

وكان من صابئة حران حيث اشغل في اول عهده جلياً للضرائب . ثم انه صحب محمد بن موسى حين ترك بلاد الروم فراه وافر الذكاء وقدمه الى جماعة المنجمين الذين كان جلهم من الصابئين في بغداد مدينة السلام . وتروى عنه حكايات كثيرة وردت جميعها مفعلة في كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . وكان من أخص تلامذته عيسى بن اصيد المسيحي فلزم هذا أستاذه وتقل باشرافه عدداً من الكتب السريانية الى اللغة العربية .

وكتاب الذخيرة ألفه ثابت بن قرة لولده صائب الذي كان طبيباً عالمياً نظير أبيه . وذكر ابن القنطري في كتابه تاريخ الحكماء مانعه « وفي ايدي الناس

كناش عربي جيد يعرف بالذخيرة» وقال عنه ابن أبي أصيبعة « كناشه المعروف بالذخيرة ألفه لولده منان بن ثابت » . ويبدأ الكتاب بهذه العبارة : هذا كتاب الذخيرة الذي يشتمل على ما يحتاج اليه من علم الطب في وصف الداء والدواء على اوجز ما يتيسر ان يكون تجزية امام زمانه (ثابت بن قرة) في العلوم الطبيعية جمعه أيام حياته (لابنه منان بن ثابت بن قرة) وهو واحد وثلاثون باباً .

والكتاب الذي بين يدينا طبع في مصر ونشره الدكتور ج . صبحي أحد أساتذة الجامعة المصرية نقلاً عن مخطوطه الاصلية بمناسبة الاحتفال المئوي لمستشفى قصر العيني في القاهرة وقد صدره بمقدمة باللغة الانكليزية ليستطيع الأطباء الانكليز من حضروا الاحتفال المذكور الاطلاع على موضوع الكتاب والوقوف على اساليب المداواة التي كانت شائعة عند العرب . ثم ان الناشر اتبع المقدمة بمعجم عربي انكليزي حوى جميع ما ورد في الكتاب من الألفاظ الطبية وأسماء العقاقير فهل مطالعته على الأطباء العرب والمستشرقين . وذكر الناشر ان وضع هذا المعجم كان على جانب عظيم من الصعوبة لأسباب منها ان العدد الكبير من اسماء الأمراض والنباتات الواردة في الكتاب معرب من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية وان تحقيق اللفظة الواحدة كان يتطلب في كثير من الأحيان مراجعة عدد كبير من المؤلفات . وأعلن الناشر انه تمكن من الحصول على مخطوطة الكتاب من خزانة كتب المقبور له كيرلس الثامن بطريرك الاقباط وان هذه المخطوطة ذات شأن كبير لأنها الفريدة الباقية . ولأنها لم تنشر قبلاً باللغة العربية ولم تترجم الى إحدى اللغات الأجنبية .

وأورد الناشر في مقدمته لمحة موجزة عن تاريخ الطب العربي فذكر ان العرب نقلوا جله عن اليونانيين وأضافوا اليه بعد ذلك شيئاً يسيراً مما اخذوه عن الفرس والمصريين وانهم وان لم يزيدوا من عتدم شيئاً مما اقتبسوه من الأمم الأخرى فلم الفضل في أنهم تمكنوا من الاحتفاظ بالتراث القديم فصانوه من الضياع . وم

الذين تناولوا من يد اليونانيين مشعل الطب الذي أخذ بالانطفاء فلم تمجد ناره في أيديهم بل صانوه طيلة خمسة قرون ثم سلموه الى من جاء بعدهم وهو اشد اشتعلاً وتألقاً .

وعقب الفتح العربي في القرن السابع نبضة فكرية عجيبة بلغت اوجها في القرنين الثامن والتاسع حين امتدت الدولة العربية من الدجلة الى ضفاف الوادي الكبير في الأندلس وأولع الخلفاء باقتناء المخطوطات النفيسة القديمة فكانوا يبدلون كل ما في وسعهم للحصول عليها لنقلها الى العربية ، حتى ان احد الفاتحين منهم حين املأه شروط الصلح على خصمه الامبراطور البيزنطي طلب ان يكون من حقه جمع المخطوطات اليونانية .

ثم ان الناشر يحاول ان يثبت ان اليونانيين نقلوا الطب عن العلوم المصرية حتى ان بعض الروايات تشير الى ان جالينوس تلقى علومه في مصر . على ان الأقدار شاءت ان لا يصل اليها من العلوم المصرية الا النزر اليسير ولو ان ما بلغنا منها كافٍ اذن لكان تاريخ الطب القديم غير ما هو عليه ولكننا نجد بين صفحاته من أسماء الأطباء المصريين القدماء غير اسم جالينوس وابقراط اليونانيين . واذا كانت مصر الحديثة تأخذ علومها عن اوروبا فان هذه ترد اليها الآن ما اقتبسته منها في الازمنة الخالية حين كان العلم مستقراً في هليوبوليس والاسكندرية .

وقسم ثابت بن قره كتابه واحداً وثلاثين باباً بعض منها يتناول حفظ الصحة ولا يزيد عن اربعة ابواب والباقي يبحث في ما كان معروفًا من الأمراض الباطنة والظاهرة والجراحية وهي مرتبة بحسب اسبابها او بحسب الأعضاء التي تصيبها . ويبي كل مرض كيفية معالجته وفقاً للنظريات الشائعة في ذلك الحين ، والوصفات الطبية المستعملة في مداواته ومعظم هذه الوصفات مأخوذة عن جالينوس . والقليل منها عن ابقراط او اسراه من قدماء المؤلفين وبذكر المؤلف في بعض المواضع نتائج تجاربه ومشاهداته الخاصة . وفي الجملة

فان كتاب التخييرة مؤلف طبي كتب للطبيب الممارس ليكون مرجعاً له في اعماله اليومية وهو مبني على النظريات الطبية اليونانية وتسيطر عليه نظرية الاخلاط والاربع ان هذه النظرية وضعت في مدرسة الاسكندرية ثم تبناها جالينوس ونقلها عنه اطباء السريان الذين نقلوها بدورهم الى اطباء العرب .

وخلاصة هذه الفكرة كما كانت تفهمها العرب ان الجسد مركب من الجواهر الأربعة وهي الأرض والنار والماء والهواء ونسبها فيه مختلفة . والادوية مركبة من هذه الجواهر الاربعة ذاتها وتكتب منها العناصر الاربعة الباردة والحر والرطوبة واليبس . ومن النادر ان تتوازن الجواهر الاربعة في الجسد ليحافظ على اعتداله بل ان احدها او اثنين منها يتغلبان فيصبح بارداً او رطباً او يابساً او حاراً ، او انه قد يكون في الوقت ذاته يابساً وحاراً او رطباً وحاراً . وقد لا تتساوى درجات هذه الصفات في الجسد فيصبح الشخص خليطاً لاثباتها فيه بدرجات متفاوتة او ان يتغلب فيه العنصر الواحد على سائر العناصر . وهكذا الحال في الادوية فالمسك حار ولكنه اقل من الثوم والخردل ، والخبازي باردة ولكنها اقل من النيلوفر . ولكل من الحر والبرد والرطوبة واليبس اربع درجات ولكل من هذه الدرجات المختلفة طائفة من الادوية . فيقال ان كذا او كذا دواء حار في بدء الدرجة الثانية او يابس في نهاية الدرجة الثالثة وقس عليه . فالصفات العامة للادوية تألف اذن من اجتماع طبائعها الأولية . وفضلاً عن ذلك فللادوية بعض الطبائع الخاصة . ثم ان اسباب الأمراض تستتج أيضاً من هذه العقيدة العنصرية فيكون سببها الحر او البرد او الرطوبة او اليبس فتداوى بالادوية ذات الطبائع المعاكسة .

ومع ان ثابت بن قرة عاش في القرن التاسع فان المخطوطة التي نقل عنها الناشر مكتوبة في السنة ١٢١٠ بعد المسيح اي بعد وفاة المؤلف بثلاثمائة وعشر سنين وهي تنتهي بهذه العبارة «تم كتاب التخييرة بحمد الله ومنه والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه الاكرمين وقع الفراغ من نسخه يوم السبت سابع جمادى الأولى سنة

سبع وستمائة» انتهى

مرشد خاطر

م(٦)

المختار

أحب الدكتور طه حسين بك في تقديمه الجزء الثاني من كتاب «المختار»
 ان يجعل بين الشيخ عبد العزيز البشري وبين صاحب الأغاني نسباً في اللغة ، اما
 انا فاني أحب ان أذهب مذهباً أبعد ، اتي أحب ان أجعل هذا النسب بين صاحب
 «المختار» وبين الجاحظ نفسه ، فالشيخ عبد العزيز البشري قد انسحب على أذبال
 الجاحظ في بعض فنه ، فان له تصرفاً في مفردات اللغة غير يسير ، ولقد زاد في
 محاسن تصرفه صفاء ذوقه ، واذا شئت ان أجمل الرأي في فن الشيخ عبد العزيز
 البشري فلا أجده عبارة أصح من عبارته في الشيخ سيد درويش ، فهو يقول فيه :
 وللرجل أذن موسيقية ، وله حس مرهف ، وفيه ذوق تام دقيق .

ولئن صدقت هذه الصفات في الشيخ سيد درويش فانها في الشيخ عبد العزيز
 البشري أصدق ، ولعل هذه الأذن الموسيقية هي التي مكنت صاحب «المختار»
 من إرسال ما أرسله من الكلام في فريق من رجال الموسيقى ، الذين حضر مجالسهم ،
 حتى استطاع ان يذوق محاسنهم ، وان ينبذ على مقابحهم ، وان يذهب في الإشارة
 الى ترديدهم وترنيمهم ، والى ترجيعهم وتنظيمهم هذا المذهب الذي ذهب ، وما أظن
 ان قلماً من الأقلام في هذا العصر يستطيع أن يجري في وصف رقيق الاصوات
 وأجشها ، أو في وصف فنون النغم بمجامعها مجرى قلم الشيخ عبد العزيز البشري .
 ولا ريب في أن هذه الأذن الموسيقية التي خلقها الله لشيخنا البشري هي
 التي أعانتها على تهذيب ذوقه اللغوي ، واذا جعلت بينه وبين الجاحظ نسباً في اللغة
 فاني لا أرمي الكلام على عواهنه فان له مقاطع في كلامه على الشيخ علي يوسف
 او على الشيخ سيد درويش ، او في مواطن غير هذه المواطن ، تظهر عليها آثار
 بلاغة الجاحظ .

واذا كان الشيخ عبد العزيز البشري نسيج وحده في شيء ، فانه نسيج وحده
 في تصوير الرجال ، فقد أعطاه الله كثيراً من خصائص التصوير ، فلا يكاد يتعاضده

شيء من الكلام على حيات المصورين ، وعلى عقولهم وعلى قلوبهم ، وله في هذا الباب لهجة خاصة تباغت القارئ قتليه وتسره ، وهذه اللهجة انما هي صر الصنعة في التصوير فلا يكاد يتفلت منه لفظ في هذا المجال ، ولو انصرف الشيخ عبد العزيز البشري ، وقد اختصه الله بما اختصه به من دقة اليان وطبعه على مثل ما طبعه عليه من التهكم ، الى مراقبة اخلاق اهل عصره ، على نحو ما فعله الكاتب الفرنسي « لايروير » : في القرن السابع عشر ، ودون نتائج هذه المراقبة في كتاب منفرد ، غير كتابه : في المرأة ، من دون ان يشتت رأيه في طائفة من الرجال لما ذهب اثر كتابه سجين الليالي !

ولقد حملته قدرته في يمانه على التجوز في بعض الأحيان في أمر من أمور النحو أو اللغة وهذا شأن كثير من أكابر الكتاب ، فانهم يتجوزون في طائفة من مواضع يانهم في مذاهب النحو واللغة اعتقاداً منهم ان هذا التجوز تغطي عليه حسناتهم . فهل يضر شيئاً الجليل ان يقول في بعض كلامه : قد لا يكون . . . وهو يعلم . العلم كله ان « قد » هذه متصلة بالفعل المتصرف ، الخبري ، المثبت ، المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ، لا يفصل بينها وبينه فاصل ، اللهم الا القسم . وهل يضر شيئاً الجليل ان يدخل : معها ، على الفعل الماضي ، فيقول : معها كان ، ومما استحدث . . . وهو يعلم العلم كله ان « معها » من الجوازم ، ويحيط الاحاطة كلها بمعانيها الثلاثة : معها تأتينا به من آية . . . على ان البحري أغضى قديماً على دخول « معها » الفعل الماضي ، ولم يذهب هذا الإغضاء بسحر شعره ! أم هل يضره ان يأتي بالتركيد المعنوي قبل المؤكد ، فيقول في بعض كلامه : في نفس اليوم ، بدلاً من ان يقول : في اليوم نفسه ، وهو يعلم العلم كله ان التركيد المعنوي يأتي بعد المؤكد !

أم هل يضره ان يتعمل فعلاً بتعدى بالحرف ، فيستتي عن هذا الحرف ، فيقول : ثم تقبل على صيغه ، تفتشها وتقرأها ، وهو يعلم انه يقال : قرء الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ما سنها ، وقرء عن الأمر ، بحث عنه .

ان هذا كله لا يذهب بحسنات الشيخ عبد العزيز البشري ، فله أن يجمع صديقاً على صدقان اذا شاء ، وله أن يستغني عن جمعها على أصدقاء وصدقائه ، وله أن يقول : مضعوف البدن من أضعفه الله ، يعدل عن : ضعيف البدن ، ان هذا كله صحيح ، وكله فصيح ، غير ان تباعد الشيخ الجليل عن أشباه هذا المألوف من الجمع ، واسرافه في تنخله بعض ألفاظه ، مثل قوله : زلت له هذه الخلة ، بدلاً من قوله : جاءته .
يقبحانه في الذي نسيبه التنطع في انكلام وقد نزهه الله عن كل تنطع وتنطس .
على اني ارجو ان اكون قد أخطأت في هذه النظرات العجيبة ، فان الشيخ عبد العزيز البشري يعرف في البلاغة من بحر لا تكدره امثال هذه المكدرات .

سفيان مبري



كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

طبع في القاهرة بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩

قيل ان المؤرخ الكبير نقي الدين احمد بن علي المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ مؤلف هذا الكتاب قد زادت تصانيفه على مئتي مجلد كبار . ومما كان هذا العدد مبالغاً فيه فالمقرئ بلا جدال من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . وقد طبع بضعة منها حتى الآن وأهمها « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو السفر الذي اصبح اكبر مرجع الكل من يريد البحث في عمران مصر وتاريخها منذ القديم الى عصر المؤلف . ومما طبع له « التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم » (ليدن) « ذكر ما ورد في بني أمية وبني العباس » (فينا) « الدرر المفيدة في تاريخ الدولة الاسلامية » (كبردج) « النور الاسلامي » (الاستانة) « انماط الحنفا

بأخبار الخلفاء» (القدس) وطبع في مصر «اليان والاعراب عما في ارض مصر من الأعراب» «الأوزان والمكاييل الشرقية» «الطريقة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة»

ومما أبقت عليه الأيام من كتب المقرئ «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك» وهو تاريخ مفصل للملوك الأكراد الأيوبيين والسلطين المماليك التركية والجركية . وفيه تراجم مختصرة لبعض المشاهير الذين توفوا في كل سنة . وقد كتبه مؤلفه على نظام الحوليات وتنوّق فيه واخذ من المصادر المعتبرة التي يكاد بعضها يكون الآن في حكم المفقود . ولم يحاول ان يربط بين الحوادث فيجعل المتماثلات في ناحية معينة كما فعل ابن خلدون وابن الأثير بل اطلق عنان قلمه في التدوين على النين والشور .

ويقع الباحث في هذا السفر الجليل على حوادث مهمة قد لا يجدها في الكتب المطبوعة في فن التاريخ العربي ، ويقرأ في حوادث الأيوبيين والمماليك وأخبار ملوكهم وأمرائهم وما تحلل تلك العهود من الوقائع ما يظن نفسه معه امام قصص وروايات سرد فيها الدقيق والجميل من الحوادث بحيث لم يبق قول لمستزيد .

لاجرم ان في نشر السلوك نعيم صلة اخبار دولتين حكمتا مصر والشام وما اليها اعواماً ، وكان لها طابعها الخاص وميزاتها واذا أحب المؤرخون بعد الآن التوسع في الكلام على تينك الدولتين فيجدون المواد اللازمة لهم في كتاب السلوك مما كان بعضه مجهولاً .

ويقول الناشر الاستاذ محمد مصطفى زيادة من اساتذة التاريخ في الجامعة المصرية : ان كتاب السلوك على ايجازه احياناً قد حوى من الحقائق والاشارات ما لم تحوّه مطولات المعاصرين كابن الأثير وأبي شامة وابن شدّاد وابن واصل وابن أبي الفضائل والنويري ويبرس المنصوري وأبي الفداء ، وان المقرئ كتب كتابة مستوفاة وزاد على هؤلاء المؤرخين ما انتقاء من مراجع أخرى . واستخدم الناشر تاريخي ابن واصل ويبرس المنصوري من المخطوطات للتصحيح في جملة ما استخدمه من التواريخ والمطان

وذكر ان المقريري اتفرد بأشياء لم يسبق أحد إليها ومنها كلام السلطان العادل الأول بشأن وراثة الملك في الدولة الأيوبية (ص ١٥٢) ومنها الإشارة المبهمة الى لفظ «البحرية» (٢٢٣) اذا قرنت الى الممالك ، وقد ظنه جميع المؤرخين مشتقاً من بحر النيل وان فرقة الممالك البحرية التي تفرعت عنها دولة الممالك الأولى بمصر قد سميت بذلك الاسم ومنها غير ذلك .

ولاحظنا ان الاستاذ الناشر اعتمد على بعض علماء المشرقيات الذين خدموا كتاب السلوك او نقلوا عنه او نشروا قسماً منه اكثر من اعتماده على الأصول العربية ، ويشير في هوامشه المقيمة الى ذلك مكثفياً بالاسم الافرننجي كأن المفروض ان يكون كل من يطالع كتاب السلوك ملماً باللغات الأجنبية ، وكان الأولى ان يترجم الاسم العربي كل مرة ويضع بجذائه الاسم الافرننجي .

* * *

صدر القسم الثالث من الجزء الأول من كتاب السلوك هذه السنة وقد صدر القسم الأولان (في سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٦) مطبوعين في مطبعة دار الكتب المصرية وبنفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر . وبلغ مجموع صفحات الأقسام الثلاثة مع الفهارس المستعدة ١١٢٨ ص بالحجم الكبير . ولأول نظرة في الكتاب يتبين للقارئ مبلغ عناية ناشره وما عاتاه في رد هذه المخطوطة الى الصواب وما رجع اليه من المراجع العربية والافرنجية ، وما علقه في أسفل الصفحات شرحاً وبياناً لما ورد في المتن من الغوامض والمشكلات فدل بذلك على مبلغ تحقيقه واستحق ثناء الباحثين . ويقول الاستاذ انه صرف ثماني سنين في احياء هذا الكتاب وتأسف ضمناً أن صده هذا العمل عن التأليف في ابحاث تروقه وتهمه ونحن نقول له ان نشر مثل هذا الكتاب الجليل يمثل هذا التحقيق من الاستاذ زيادة هو تأليف وزيادة . ونرجو ان يطول به العمر ويدوم له التوفيق ليم الكتاب على ما يجب ويجب له كل محب للتاريخ

وقد وقعت للصدیق الناشر بعض هنات في الاعلام الثامیه لا تقدح في كتاب ضخم كهذا اذا عرفنا كيف كان الأصل المنقول عنه من السقم والخلل ، وما خلا كتاب للقضاء حتى الآن من اشیاء كثيرة من هذا القبیل ، عدت على ناشره فما قلت مكانة عمله ، وانكامل من عدت سقطاته .

من ذلك (ص ٨٤) حبان (هكذا شكها وقال في الهامش انها بغير ضبط في س) والصحيح انها حبان بالضم قال ابو الفداء في تقويم البلدان (طبعة رينر ودي سلان ياريز) والبقاء احدى كور الشراة وهي خصبة وقاعدة البقاء حبان بضم الحاء وسكون الين المهملين وفتح الباء الموحدة ثم الف ونون في الآخر وهي بلدة صغيرة .

(ص ١٧٤) ضيفة خاتون ابنة العادل شقيقة الكامل — ضيفة خاتون سميت ضيفة لأن أمها ولدتها بينما كانت أمها ضيفة في غير بيتها ، ومدرسة ضيفة خاتون ملزالت باقية الى اليوم في الفردوس من ربض حلب . وضيفة خاتون كانت كشجرة الدر من النساء اللاتي حكمن في مصر والثام في الدولتين الأيوبيه والمماليك

(ص ٢١٩) ابو المظفر يوسف بن كزوغلو — ابو المظفر يوسف بن قزاوغلو اي ابن البنت اي البسط

ص ٢٣١ تبين وفي الصواب وما ورد في الفهرس بثنين غلط

ص ٢١٣ نهر قزل ايرمك — ايرمق

ص ٥٣٢ بيزين — اخنها تيزين (بعد الزاي ياء ساكنة ونون) قرية كما قال ياقوت في المعجم من نواحي حلب كانت تعد من أعمال قنسرین وصارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها

ص ٥٤٦ جسر يعقوب — جسر بنات يعقوب

ص ٧٣٥ قرية حرزما — فسرها الناشر بأنها بلدة بين ماردين ودينير من

أعمال الجزيرة والصحيح أنها حَزْرَما بتقديم الزاي ثم راء وهي قرية لا تزال معروفة في أول المرج مرج دمشق على مقربة من أقصى حدود الغوطة الشرقية

ص ٧٦٩ قرية شعرعمر - قرية شفرعم ٤ وهي قرية بينها وبين عكا بساحل الشام ثلاثة أميال وكانت منزلة صلاح الدين في حروب الاقربنج كما قال ياقوت . وفيها تل المبشوح - تل المشوخ نسبة لنهر المشوخ شمالي شرقي عكا . وفيها قرية الفرج - قرية الفرج شمالي عكا وهي على مقربة من قرية القيسية . ومنها قرية طبرية - ترجح أنها الطيرة

ص ٨١٧ بخوسية قرية على مسافة ستة فراسخ من حلب - الصحيح من حمص لا من حلب .

ص ٨٧١ فأقامت الأفراح في الأردوا - تكررت لفظة الأردوا بهذا الرسم في التسم الثالث وحقيقتها الأردو اي الجيش بدون الف في آخرها كما وردت في ص ٥٦٩ وقال انها لفظة مفولية معناها المعكر

ص ٨٧٥ وافليس وبلادها - واير قيس وبلادها ٤ وهو حصن مقابل شيزر ويقال لها اليوم سيجر قرب حماة

وفي الصفحة نفسها - كفردنين - كفردُبين ٤ حصن بنواحي أنطاكية كما في ياقوت وأقرب الى الوضوح ما أورده ياقوت في مكان آخر وصف به هذه القلعة قال : شفيف دُبين : قلعة صغيرة قرب أنطاكية ودين خيعة كالربض لها

ص ٩٠٢ الدرزية او الدروز قال الناشر انهم احدى فئات أهل لبنان وهم منتشرون أيضا في جبل كسروان المتصل بسلسلة جبل لبنان - تقول ان جبل كسروان داخل في جبال لبنان وهو منها في الصميم والدروز يسكنون فيه قليلاً ويكثرون في الشوف والتمن من عمل لبنان كما ان منهم ألوفاً في اقليم البلان من سفوح جبل الشيخ (جبل الثلج او حرمون) ووادي التيم تيم الله بن ثعلبة (حاصبيا وراشيا) وفي جبل حوران وبعض قرى عكا وقرى حلب وقرى دمشق

ص ٩٢٢ عقبة شجورا — وفي تقويم البلدان الشحورة عقبة بين دمشق والكسوة
ص ٩٢٣ و ٩٢٨ ارداد (جزيرة رودس) والصحيح ان ارداد جزيرة صغيرة
تجاه طرابلس وقرب انطرحوس كما يظهر من المتن نفسه اما جزيرة رودس فالتألب
انها هي التي رأيتها في بعض المصادر «رود»
ص ٨٧٥ وقراها الرحلية والجبليّة — فسر الناشر الرحلية بقوله ولعل المقصود
بالقري الرحلية ما كان منها على طريق القوافل والرحلة . وهو تخرج بعيد والصواب :
السيلة والجبليّة .

ص ٩٦٨ و ٩٨٧ شقيف تلمنس وهو حصن قرب معرة النعمان
ص ٩٧٦ وعيدوا واعماها — وعيدو واعماها وعيدو قلعة بنواحي حلب
ص ٩٨٧ قسmon — قسطن ، حصن كان بالروج من أعمال حلب
ص ١١٤٩ قصر ام الحاكم — ام الحكيم وهو يبرج الصفر من أرض دمشق
ص ٢٨ ١ باب الفراديس — باب العمرة — الصحيح باب العمارة وهو معروف
الى اليوم .

محمد كرد علي

كتاب شرح أسماء العقار

تأليف الشيخ الرئيس ابي عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي
نشره وصححه وراجعه على النسخة الوحيدة الدكتور ما كس مايزهوف « المجلد الحادي والاربعون
من مذكرات المجمع العلمي المصري »

لعلماء العرب والعريّة عشرات من كتب مفردات الأدب فاع معظمها على
تعاقب الأيام والسنين ، وأشهر ما طبع منها مفردات ابن اليطار . وما ظل مجهولاً
الى زمن قريب مفردات الغافقي التي كانت أكبر مصدر نقل عنه ابن اليطار ،
ومفردات الشريف الادريسي ، وكتاب شرح أسماء العقار لموسى بن عبيد الله
المعروف بابن ميمون القرطبي .

وقد عثر الدكتور مايرهوف ، أحد أعضاء التجمع العلمي المصري ، في خزنة جامع أبي صوفيا في اسطنبول ، على نسخة من الكتاب الأخير هي حتى اليوم وحيدة في بلدها ، فاستنسخها وترجمها الى الفرنسية وحقق موادها الأربع مائة والخمسة ، مع مترادفات كثيرة لتلك المواد من عربية وسريانية ويونانية واسبانية وغيرها . ونص على الأسماء العلمية والفرنسية لهذه العقاقير ، وأشار الى الصفائف التي ذكرت فيها في ترجمة كتب ديوسقوريدس وابن سريون وابن اليطار ، وتحفة الإحياء في ماهية النبات والأعشاب ، وكشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب لعبد الرزاق الجزائري ، وفي معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ، وغيرها من كتب النباتات الطبية القديمة والحديثة .

وذكر المدلولات القديمة والمدلولات الحديثة لأسماء النباتات الواردة في الكتاب ، ورد كثيراً من تلك الأسماء الى أصولها فقال عن بعضها انها من أصل عربي ، وعن أخرى انها من أصل يوناني او فارسي او سنسكريتي او سامي مع ذكر أشباهها في الآرامية والآشورية والعبرية والسريانية . والذين عانوا بحث أسماء هذه العقاقير بدركون الصعوبة في ضبط تلك الأسماء ومدلولاتها .

وقدم الدكتور مايرهوف للكتاب مقدمة بالفرنسية جود بها كثيراً ، فبحث عن إجلال العرب لكتب ديوسقوريدس في المفردات الطبية ، وعن جعلها أساساً لأبحاثهم ، وعن اضافتهم عقاقير كثيرة عليها مما كان يجهله اليونانيون . ثم تكلم على أشهر المؤلفين العرب في مفردات الأدوية كابن مسرجويه والرازي وابن سينا وابن ماسة والبيروني والفاقي وعبد اللطيف البغدادي وابن الصوري وكوهين المطار واسحق بن عمران والادريسي وابن اليطار وغيرهم كثير حتى بلغ داود الأنطاكي من علماء القرن العاشر فبعد الرزاق الجزائري من أطباء القرن الثاني عشر للهجرة . ولم ينس الإشارة الى أصحاب كتب النبات والمهمات وكتب اللغة من غير الأطباء كإبي حنيفة الدينوري والأصمعي والقزويني والثوري وابن سيده والفيروزآبادي وغيرهم . وفي الحقيقة لقد جاءت هذه المقدمة التي بلغت ٤٠ صفحة كبيرة تاريخياً موجزاً او صورة جميلة لتاريخ النباتات الطبية عند العرب .

وبعد ان ملأ انناشر ١٣ صفحة في حياة ابن ميمون القرطبي وفي مؤلفاته الطبية ، انتقل الى ذكر النسخة الخطية من كتابه « شرح اسماء العقار » ثم الى الكتب التي استعان بها في تعيين المدلولات لأسماء العقاقير وفي فحص المترادفات وثبيتها . وعندما انتهى من ذلك تناول الأسماء المذكورة واحداً واحداً أولاً في شرحها أكثر من ٢٠٠ صفحة كلها من القطع الكبير ، ثم عقب عليها بفهارس او مسارد عديدة منها واحد بأسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في تضاعيف الكتاب ، وثان في الأسماء اللاتينية اي العلمية للعقاقير ، وثالث في الأسماء الفرنسية ، ورابع في الأسماء الايبيرية اي التي كان العرب يسمونها (عجمية الأندلس) ، وخامس في الأسماء اليونانية ، وسادس في الأسماء المصرية القديمة والقبطية ، وسابع في الأسماء الآكدية والآشورية ، وثامن في الأسماء العبرية والآرامية ، وتاسع في الأسماء العربية والمعرية وهو بأحرف لاتينية ، وعاشر في الأسماء البربرية ، وحادي عشر في الأسماء السنسكريتية واللهجات الهندية ، وثاني عشر في الأسماء الفارسية .

أما القسم العربي من كتاب الناشر فقد اشتمل على نص كتاب « شرح أسماء العقار » وعلى فهرس في أسماء العقاقير المذكورة فيه . وطبع الكتاب في مطبعة المهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ، على ان يكون المجلد ٤١ من المذكرات التي تقدم الى المجمع العلمي المصري ، فتشتر برعاية جلالة الملك فاروق .

ولا شك ان ابراز الكتاب الذي نحن في صددده على هذا الشكل الجليل ، وبهذه الحلة القشبية ، وشرح مفرداته هذا الشرح العلمي الواسع المضبوط ، لهو دليل على ما لبعض المستشرقين من الأيادي البيضاء على لغتنا الفاضلة .

ولا بد لي من لفت نظر الدكتور مايرهوف المحترم الى بعض ملحوظات لاحظتها أثناء مطالعتي لكتابه الثمين وهي :

أولاً : استنكر ورود لفظة العقار مفتوحة العين في معظم المعاجم العربية (ص ٦٢ من المقدمة) ، واوجب ان تكون بالضم . ولا نرى وجها لاستنكاره لأن العرب عندما عربوا الألفاظ العجمية أياً كانت أصولها ، لم يتقيدوا بعدم مسها بل غيروا بعض حركاتها حتى بعض أحرفها . والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى .

وقد ذكر الدكتور كثيراً منها في تفاسيف كتابه - فيجب اذن قبول هذه الألفاظ على علاقتها - أما مالا يجوز اليوم قبوله فهو ما يخالف العلم الحديث في تلك المعاجم - مثاله خلط بعض المواليد ببعض كتعريفهم الأرز والعرج والصنوبر والسرو الواحد منها بالثاني ، على حين ان كلا منها جنس نباتي مستقل عن الآخر ، وكتعريفهم اللوز بالبندق ، والكرب باللق ، والآس بالرند ، والأوز بالبط الخ . (انظر مقالي في عيوب المعاجم العربية في عدد اكتوبر ١٩٤٠ من المتتطف)

ثانياً - شك الدكتور في لفظة (القرينة) وهي نوع من الجلبان البري (ص ٤٣ و ٤٢) وظن انها من الكرسة - قلت انها القرينة لا الكرسة فقد ورد في المخصص (م ١١ ص ٦٢) : « ومنها الجلبان واحده جليانة ويقال للبرية منها القرينة ولا تؤكل لمرارة فيها » وهي على ما أظن احد انواع *Lalbyrus* الكثيرة التي تنبت في الطبيعة في بلادنا وفي الأندلس -

ثالثاً : ورد في القاموس النفاذة والنقذة من اسماء الكزبرة - فلفظة النفاذة اذن ليست خطأ خلافاً لما أشار اليه في حاشية الصفحة ٩١ -

رابعاً : تسمية الجنبه *Groseiller* بالرياس هو خطأ على ما اعتقد - فالرياس في كتب المفردات هو *Rheum ribes* ليس غير - وهو معروف تنبته الطبيعة في جبل الشيخ وجبل لبنان - وتجلب اضلاعه فباع ويصنع منها شراب لذيذ - وقد وصف ابن اليطار الرياس وصفاً لا يدع مجالاً للشك فيه ، مع العلم بأن هذه اللفظة تطلق اليوم في الشام على النبات المذكور كما ألمت اليه - ولم اعثر على دليل يجوز اطلاق لفظة الرياس على أنواع *Groseiller* وهي *Ribes rubrum* و *R. uva crispa* و *R. nigrum* فهذه الأنواع الزراعية الثلاثة لا تزرع في بلادنا ولا تنبت برية فيها - ولم يذكرها فورسكال ولا شويغرت ولا بوست ولا تيبول ولا احمد ندا - ومنابتها شمالي اورية كما هو معروف - وعندما راجعت ما كتبه عنها في معجمي المسمى (معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) الذي لا يزال مخطوطاً وجدت ان اسم الجنس العلمي *Ribes* ليس من رياس العربية بل من *Ribs*

الدغركية او Risp السويدية ، على ما رجعه دو كندول في كتابه أصول النباتات الزراعية « ص ٢٢١ من الطبعة الخامسة » .

ويتضح من ذلك ان لفظة الرياس لم يطلقها العرب على هذه الجنبه . وهي في الاصطلاح الحديث تسمى الكشمش وان تكن هذه اللفظة في المعاجم تدل على عنب لا نوى له .

خامساً : جاءت لفظة الكنكر في القاموس (مادة حَرْشَف) مفتوحة الكافين بينهما نون ساكنة فيجب قبولها كما جاءت سواء اكان أصلها الفارسي بالضم ام بالفتح . وهي تدل على البقل الذي نسميه بعامة الشاميين إنكار وارضى شوكي Artichaut ومن أمثاله الحرشف البستاني وسقوليموس وقنارة وهما يونانيتان .

سادساً : من أسماء التمر الهندي الصَّار بالتشديد والحوَّس (القاموس)

سابعاً : اعتقد ان Ononis antiquorum هو الشُّبارق المذكور في المخصص . اما تسمية الشاميين له بالشيرقي فسيبه اختلاط اللفظتين المتقاربتين على العامة . ثامناً : وردت لفظة البَيْش بهاء ساكنة في القاموس المحيط وفي غيره . ولم أجدها مفتوحة الماء . وهذه اللفظة العربية تطلق على نوع او اكثر من أنواع البلوط كما تطلق على القل مادام رطباً .

تاسعاً : أورد لفظة الشنجار بالفتح على حين ان القاموس قد ضبطها بالكسر عاشرآ : ذكر القاقلة غير مشددة اللام . والصحيح انها بلام مشددة . وهي تطلق على انواع من الهال تنسب الى الأجناس الثلاثة Amomum و Aframomum و Elettaria . وقد ذكرت أم هذه الأنواع في معجمي المخطوط

أما القاقلي بألف مقصورة فهي نبات آخر ذكره ، فلا وجه إذن للالتباس بين اللفظتين . وهما منفصلتان في المعاجم .

حادي عشر : ذكر الكبابه Piper cubeba ياء مشددة . وفي القاموس الكبابه كسابة الخ .

ثاني عشر : اورد لفظة الثلثان بالضم (وهي عنب الثعلب *Solanum nigrum*)
وضبطها الفيروزآبادي بقوله الثلثان كالتضريبان الخ .

هذا جانب من الملحوظات التي دوتها ولعلي مصيب في ذكرها . واما يكن
فكتاب الدكتور مايرهوف يعد من خير الأعمال التي يأنبها العلماء المستشرقون في
خدمة لغتنا العربية .

مصطفى الشهابي

—

كتاب ابن حزم الأندلسي ورسائله في المفاضلة بين الصحابة

تأليف الاستاذ سعيد الأفغاني

طبع بالمطبعة الحاشية بدمشق سنة ١٣٥٩ هـ سنة ١٩٤٠ م من ٣٥٠ ماعدا التهارس

دل ما خلفته القرون ، وغفل عنه الخصوم ، من مصنفات أبي محمد علي بن
احمد بن حزم الظاهري أنه كان إماماً عظيماً ، مستقلاً مستدلاً ، معنّاً مفقداً ،
قويّ العارضة ، شديد المعارضة ، بل كانت مجديداً لعلوم الاسلام في القرن
الخامس ، ولكنه رحمه الله تعالى — على سعة علمه ، وشدة استحضاره ، وقوة
استدلّاله ، — كانت « تقع له المسائل المحررة ، والمسائل الواجبة » كما قال الحافظ
الذهبي ، فقد أخطأ في أول مسألة ذكرها في أول كتابه المحلى الذي قال فيه سلطان
العلماء العز بن عبد السلام كلمته المشهورة : « ما رأيت في كتب الاسلام من العلم ،
مثل المحلى » لابن حزم ، وكتاب المفتي للشيخ موفق الدين — فجعل كلمة التوحيد
دليلاً على موجد الكون وعلى نقي تعدد الذات والتركيب ، كما تراءى في (ص
٤٤٣) وإنما يصح هذا في تفسير سورة الإخلاص ، وآيات غيرها لا في كلمة الشهادة ؛
أما معنى كلمة (إله) في لغة العرب وفي بيان القرآن ، فهو المعبود ، ولفظ الجلالة

علم على المعبود بحق ، فبين تعالى في هذه الجملة (لا إله الا الله) انه لا يستحق العبادة ، الا من تفرد بالايحاد والامداد ، وأهل الجاهلية مؤمنون بوجوده معترفون له بهذا التفرد ، فأقام عليهم الحجة بما أقروه من انقراذه بالخلق والتدبير ، على ما أنكروه من تخصيصه بالعبادة ، فكيف خفي هذا المعنى على امام أهل الظاهر ؟ أما الكتاب فيدخل في قسمين (الأول) في حياة ابن حزم ، والثاني في مفاصله بين الصحابة ، وفي الأول الكلام على عصره ، وأصله ونشأته وشبابه ، وطلبه وعمله ومصنفاته ، ومذهبه وأدبه وحبه ، وأخلاقه ومزاجه وحياته بين الناس ، ووفاته ، وهذه الترجمة — بقلم الأستاذ الأفغاني — قد استغرقت (١٥٠) صفحة وأما رسالة المفاضلة — التي هي القسم الثاني — فهي مجردة من كتاب « النصل » المطبوع المشهور ، ومقابلة على نسخة خطية محفوظة في المكتبة الظاهرية ، وقد أشير الى ما فيها من اختلاف وزيادة وتقص ، وهي تشمل على ثلاثة أبواب وخاتمة (الأول) في بيان الفضل والمفاضلة وعرض الآراء المختلفة ، (والثاني) في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الصحابة ، وفيه رد شبه واعتراضات على هذا التفضيل ، (والثالث) في أن أبا بكر الصديق أفضل الصحابة بعد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه تفضيل الخلفاء الراشدين على ترتيبهم في الخلافة ، (وأما الخاتمة) فهي بيان تسوية الاسلام بين الناس كافة ، وفيه بحث في القرابة ومناقشة في تفضيلها .

وقد زين الكتاب بتعليقات مفيدة ، وذيل بتراجم الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ، وختم بفهارس في الأعلام والجماعات والأماكن والكتب والآيات والأحاديث والأشعار والأيام المشهورة والموضوعات ومن ذلك كله تعلم ما بذله الأستاذ الناشر من جهد جيد ، ووقت ثمين ، أثابه الله تعالى .

محمد مبهجة السيطار

فهرس الجزء الاول والثاني من المجلد السابع عشر

الصفحة	
٣	اعضاء المجمع العلمي العربي
٤	الراحلون
٦	هل تمدنا ؟ للأستاذ محمد كرد علي
١٥	ابو العلاء الميري والحشر سليم الجندي
٢٩	المرأة في عهد النبوة وفي عصرنا الحاضر محمد بهجة البيطار
٤٨	الطير مآح بن حكيم الطائي خليل مردم بك
٥٧	كلمة (فند شمع) عبد القادر المغربي
٦٣	المكترون من التأليف والمجودون فيه محمد كرد علي
	مخطوطات ومطبوعات
٧٨	التسخيرة في علم الطب لثابت بن قرة
٨٢	المختار للشيخ عبد العزيز البشري
٨٤	السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرزي
٨٩	شرح اسماء المقار لابن ميمون القرطبي
٩٤	ابن حزم ورسالة في المفاضلة بين الصحابة

١٤٩٨
١٣٩٨

الجزء الثالث والرابع

المجلد السابع عشر

مَجْلَدُ الْمَجْلُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

آذار ونيسان ١٩٤٢ ربيع الأول وربع الآخر ١٣٦١

الشاميون والتاريخ^(١)

كان من أهم العوامل في ولوع العرب بالتاريخ منذ كان الإسلام حرصهم على الانتفاع بالصحيح من أحاديث رسول الله ﷺ وكما كثر الرضاعون والكذابين والضعفاء من ادعاء الحديث زاد العلماء عناية بالرجال ، متوخين في التعريف بهم الطرق التي ابتكروها في معرفة صحيح الحديث من مقيمه والمبالغة في جرحه وتعديله . قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لم التاريخ ، وقال حسان ابن زيد لم ننعن على الكذابين بمثل التاريخ . ورأينا المؤرخين في القرون الثلاثة الأولى من البعثة يجمعون في نقل الأخبار والآثار على طريقة المحدثين بالسند والرواية المتينة ، بحيث يتيسر لطالب التاريخ ان يعرف من الاطلاع على روايته مبلغه من الضعف والقوة ، وقلة كان المؤرخون يتفلسفون في التاريخ السياسي وتراجم الرجال واتفق ان نزل في الشام منذ الفتح اناس من كبار الصحابة وحلوا في حواضرها ونشروا حديث الرسول بين اهلها ، وتميز رواية الشاميين بفرط العناية بخدمة فقههم وعلمهم وعلو اسنادهم ، فكان من ذلك بعد القرن الثاني ان نبغ مؤرخون عظام كانوا اوفر عدداً ممن نبغ من أمثالهم في الأقطار العربية الأخرى . فاذا قلنا ان الشام اخرجت محدثين ومؤرخين وشعراء مجيدين اكثر عدداً وأعظم أثراً ممن ظهروا في الأقطار الأخرى لا نكون الى الغلو . ولذلك كان طلاب الحديث يقصدون رواية

(١) انما الاستاذ محمد كرد علي في راديو فلسطين بالقدس يوم السبت ٦ رمضان ١٣٦٠ (١ يوليو ١٩٤١)

الشاميين من الأقطار البعيدة ليأخذوا عنهم ما يهيمهم ويصلوا سندهم بسندهم كما يقصد اليوم طلاب الراحة والنزهة جبال الشام ليصطافوا ويتعموا .

بعد أول من دوّن التاريخ في الشام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان (رض) فانه استدعى من اليمن أيام خلافته عبيد بن شربة الجرمي ليحدثه بأحداث العرب وأيامها وأمر ان يكتب عنه كل ما يقول كما أنى بأمد بن أهد الحضرمي من اليمن أيضاً بقص عليه أخبار ملوك العرب والعجم ، فكان ذلك أول تدوين للتاريخ في الاسلام بالشام . وقد أخذ عن عبيد كثير من ومنهم علاقة بن عبد الكريم الكلبي من بني عامر بن كلاب أيام يزيد بن معاوية (رض) وعبيد هذا أحد من أخذت عنهم المآثر ، وحدثت الناس بالمشاقب ، على المثال الذي جرى عليه القصاص في التذكير بالمغازي والفتوح منذ جاء العرب فاتحين ، فكان في الجيوش القصاص بقصون على المخربين في ساحات الوغى وفي المساجد والجوامع أحداث من شأنها تقوية القلوب وجمعها على الطاعة للخليفة وآله ورجاله .

كانت بعض ما يروى بدوّن في الأسفار منذ القرن الأول وفي القرن الثاني اشتدت العناية بالتدوين كثيراً . ومن أثر عنهم انهم كتبوا في التاريخ عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي البيروتي (المتوفى سنة ١٥٢) نقلت عنه رسائل سياسية وغيرها وكانت مع فقهه وانتشار مذهبه في الأقطار بعد كتابه لا يجارى . وما بقي في الكتب من كلامه يدل على عقل راسخ ومعرفة بطبائع الامة والدول ، ويشهد له بعد النظر في السياسة . واشتهر في هذا القرن الوليد بن مسلم الأموي (١٩٤) عالم أهل دمشق صنف التصانيف والتواريخ . قال النحوي وعني بهذا الشأن أتم عناية وكانت بارعا في حفظ المغازي كما اشتهر مكحول عالم أهل الشام واسمه ابو عبد الله ابن مسلم الهذلي (١١٣) .

ولم يعلنا من أخبار أصحاب هذا الشأن سوى أخبار بعض من اشتهروا لقربهم من السلطان ، وقربهم منه يهيء لهم سبيل الوقوف على الحقائق . ونبلغ في القرن

الثالث محمد بن عائذ صاحب المغازي والفتوح والصوائف (٢٣٣) او (٢٣٤) وكان ولي خراج القوطة في أيام المأمون والغالب ان كتاب الملوك وأخبار الأمم والمغازي من تأليفه وكذلك محمود بن سميع (٢٥٩) صاحب الطبقات . واشتهر ابو مسهر عبدالاعلى الفسافي الدمشقي بمعرفة أيام الناس وأنساب الثاميين (٢١٨) وكان راوية لسعيد بن عبد العزيز التنوخي وغيره من أهل الشام .

وولد في الرقة محمد بن عبد الله بن أحمد وثناً في مصر ومن كتبه التاريخ على النين وتاريخ الصحابة . وقام حافظ الرقة علي بن سعيد القشيري الحراني (٣٧٢) وله تاريخ الرقة ، وجاء غيره ولكن لم تصلنا أسماؤهم . وفي القرن الرابع قام الحافظ شمس الدين ابو الحجاج يوسف الدمشقي (٣٥٤) وله تاريخ وجاء في هذا القرن المطهر بن طاهر المقدسي صاحب البدء والتاريخ المطبوع ، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي وله كتاب في التاريخ ومحمد بن احمد بن أبي بكر البناء المقدسي (بعد سنة ٣٧٥) الجغرافي الرحالة صاحب أحسن التقاسيم جاء كتابه في التاريخ والجغرافيا . ومعظم ما كتبه أهل القرون الأربعة الأولى دخل في الكتب التي وضعها المؤرخون في القرون التالية على ما نرى ذلك ظاهراً في تاريخ دمشق لابن عساكر وغيره من الكتب المبسوطة ، يروونها عنهم ويعتمدون على رواياتهم .

ومن مؤرخي القرن الخامس ابو الخير مبارك بن شريعة الطيب الكاتب الحلي النصراني كان له جرائد مشهورة يجلب عند أهلها يحفظونها لأجل الخراج المستقر على الضياع وله تاريخ حلب توفي في حدود سنة ٤٩٠ وقام ابو غالب همام بن الفضل بن المذهب صاحب التاريخ المشهور وهو من تلامذة ابي العلاء المعري .

ومنفردة مؤرخي الشام في القرن السادس الحافظ ابن عساكر (٥٧١) فانه وضع تاريخ دمشق في ثمان مائة جزء تدخل في ثمانين مجلدة وذييل عليه ولده القاسم ولم يكمل ، وذييل عليه صدر الدين البكري وعمر بن الحاجب . ومن هذا القرن بدأت العادة بأن يذيل الخلف على ما وضعه السلف من التواريخ . ولتاريخ ابن عساكر

مختصرات منها ما اختصره ابو شامة التمشقي (٦٦٥) وهو مختصران صغير و كبير ،
 وذيل عليه الحافظ علم الدين البرزالي (٧٣٨) وذيل عليه حمزة بن أسد ابو يعلى بن
 القلانسي وتاريخه مطبوع . ومن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن
 مكرم صاحب لسان العرب (٧١١) واتبعه والعيني (٨٥٥) وانتقى منه السيوطي وغيره .
 ومكذ الخال في تاريخ حلب فان كمال الدين ابن العديم (٦٦٠) اول من كتب
 في تاريخ حلب بعد مبارك بن شرارة قال اليونيني في الذيل انه يكون يياضه
 في اربعين مجلداً ثم ذيله الجبريني الشهير بابن خطيب الناصرية (٨٤٣) وسماه الدر
 المنتخب وذيل عليه الحافظ ابن حجر (٨٣٦) ثم ذيله ابو ذر الشهير بسبط ابن العجمي
 (٨٨٤) وسماه كنوز الذهب وهو ذيل المنتخب والذيل على كنوز الذهب للمسي
 بدر الحب لاين الحنبلي (٩٧١) ولاين حبيب الحلبي (٨٠٨) تاريخ متزع من تاريخ
 ابن العديم سماه حضرة التديم من تاريخ ابن العديم ، ومن تواريخ حلب معادن
 الذهب لابن ابي طي يحيى بن حميدة (٦٣٠) وله طبقات العلماء وشعراء الشيعة ،
 ومعادن الذهب في الأعيان الذين نشرفت بهم حلب لاين عمر العرضي ، ومن تواريخ
 حلب كتاب ابي عبد الله محمد بن علي المظبي ، وأخبار الدول لبدر الدين حسن
 ابن عمر بن حبيب الحلبي (٧٧٩) .

وفي القرن السادس كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم الياسي (٥٩٦) تاريخه
 مرتباً له على السنين وهو من المفقود ، وفيه قام محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧)
 صاحب التصانيف والتعليق . والعماد الكاتب صاحب الفتح القدسي والخريدة .
 وابن شداد صاحب سيرة صلاح الدين .

وكثر في القرن السابع عدد المؤرخين فقام فيه عبد الرحمن بن اسماعيل
 المقدسي ثم التمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٨) وكتب كتاب الروضتين في أخبار
 الدولتين التوربية والصلاحية وذيل هو عليه وذيل عليه بعده الحافظ البرزالي سماه المتقني
 وذيل عليه ابو بكر بن قاضي شبة وكل هذه الذبول في مجلدات . وقام في القرن

السابع أيضاً ابن أبي أصيبعة البغدادي (٦٦٨) فكتب طبقات الأطباء وقام به في حلب ابن الفقهي (٦٤٦) فكتب أخبار الحكماء وقام في طرابلس أبو الفرج بن العبري (٦٨٥) صاحب مختصر الدول ، ولأبن عتير الشاعر (٦٣٠) تاريخ العزيزي . وجاء فيه ابن منقذ صاحب كتاب الاعتبار وبعد في الثاميين أيضاً ياقوت الحموي (٦٢٦) صاحب المعجمين (معجم البلدان ومعجم الأدباء) وغيرهما لأنه نشأ في الشام ومات فيه ونبغ في هذا القرن جمال الدين بن واصل الحموي (٦٩٧) وله كتاب مفرج الكروب في دولة بني أيوب ، ولأحمد بن إبراهيم الحنبل كتاب اسمه شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ومن المؤرخين فيه شهاب الدين بن أبي اللص الحموي له التاريخ المظفري في الملة الإسلامية وقع في ستة مجلدات . والحافظ التروي وله طبقات الشافعية وتهذيب الاسماء واللغات .

ومن أقدر رجال التاريخ في هذا القرن ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم) (٦٨١) صاحب وفيات الأعيان وكتابه من الكتب المنقعة الخالدة لا يستغني عنه باحث .

* * *

كان القرن الثامن من أيرك العصور على التاريخ في الشام قام فيه جلة المؤرخين الذين لا يستغني اليوم أحد عما خطته أناملهم ودونته في الصحف ، منهم الحافظ التميمي (٧٤٨) صاحب تاريخ الإسلام وقد جاء في أكثر من عشرين مجلداً وسير النبلاء وهو في بضعة مجلدات ودول الإسلام والمشتهر والعبر وقضاة دمشق وطبقات القراء وله ذيل على كل منها . وذيل على العبر ابن شبة في ست مجلدات كبار وقام فيه علم الدين البرزالي (٧٤٠) وعماد الدين بن كثير (٧٧٤) ، وجمع أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم بين رجال الحديث والحوادث فتقيل أثره ابوشامة في الروضتين والتبيل عليه والبرزالي في التبيل والتهمي ، وعماد الدين بن كثير في البداية والنهاية قالوا وقد صار الاعتماد بعدم في مصر والشام في نقل التواريخ عن هؤلاء الحفاظ الثلاثة البرزالي والتهمي وابن كثير .

وقام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨) المشقي ، وقل أن كتب لأحد مثله من الأعلام استخراج عبر التاريخ اللهم الا أن يكون ابن حزم الأندلسي فان كتبها تتم عيا رزقا من معرفة ثاقبة في التاريخ الديني والمدني . أما ابن خلدون فصاحب الشان الاول في فلسفة التاريخ .

وفي هذا القرن كان محمد بن محمود بن اسحق القسبي (٧٧٦) صاحب تاريخ القدس ، وتواريخ القدس التي كتبت بأبدي المقادسة في عصور مختلفة كثيرة منها اتحاف الاخضا بفنائل المسجد الاقصى وانس الجليل بتاريخ القدس واخليل والجامع المستقصى في فنائل المسجد الاقصى ، وباعث النفوس الى زيارة القدس المحروس ، وفنائل بيت المقدس ، وفروح بيت المقدس ، ومثير الغرام الى زيارة القدس والشام . وللملك المنصور محمد بن الملك المظفر ثقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب صاحب حماة المصنف في التاريخ وله طبقات الشعراء . وقام في هذا القرن احمد بن فضل الله العمري المشقي (٧٤٩) صاحب ممالك الابصار والتعريف بالمصطلح الشريف ، وهو آية من آيات الله في الياسة والتاريخ والادب وكثرة العلم . ونبغ صلاح الصفدي (خليل بن ابيك) (٧٦٤) صاحب الوافي بالوفيات وفيه خمسة عشر الف ترجمة وقد جود فيه من وراء الغاية ، وله مقدمة لا يكاد يعرف لمؤرخ ما يبدانها كما انه وضع كتاب نكت الهيمان وجود في مقدمته ما شاءت له الاجادة الى غير ذلك من تأليفه .

ونبغ أيضاً الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢) مؤلف التاريخ المعروف ومحمد الاكل بن مفلح (٧٦٤) ومحمد بن شاكر الكتي (٧٦٤) صاحب التذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان وماء قوات الوفيات وله كتاب عيون التواريخ . وقام أيضاً عمر بن الرودي (٧٤٩) او (٧٥٠) وقام ابن ابي العثائر (٧٨٩) والف تاريخ تفسرين و كانت قسرين مثل كفرطاب والمرة مثابة علم وادب كما كانت طرابلس على عهد بني عمار ، وحلب أيام سيف الدولة بن حمدان .

وجاء القرن التاسع قويت ملكة المسخ والنسخ والسلخ في المؤرخين ، ومع ذلك لم يخل هذا القرن والقرن الذي بعده من محققين انقنوا فنيهم ، وعملوا له ببسدين في الجملة عن مؤثرات الامراء والملوك ، ومنهم ابو بكر احمد بن قاضي شبة صاحب الطبقات وغيره (٨٥١) والحافظ احمد بن علاء الدين حجي الحسباني الدمشقي صاحب كتاب الدارس في أخبار المدارس ، ولعله الأصل لكتاب النعمي في الدارس وله ذيل على تاريخ ابن كثير . وقام ابن الجزري (٨٣٣) فكتب طبقات القراء ، واحمد بن عريشاه ، فوضع عجائب المقدور في أخبار نيمور وكتب ابراهيم البقاعي في الرجال . و خليل بن جمال الدين الدمشقي عدة مصنفات في التاريخ (٨١٥) ومحمود الميني (٨٥٥) له عدة مصنفات في هذا الفن ، واحمد المقدسي المشهور بابن زوجة ابي عذبية (٨٥٦) صاحب تاريخ دول الاعيان ، واحمد بن حجر العقلائي (٨٥٢) صاحب الدرر الكامنة وانباء الغمر في ابناء العمر وعلاء الدين بن خطيب الناصرية الحلبي (٨٤٣) وزين الدين بن الشحنة الحلبي (٨٢٥) ومحمود بن الشحنة (٨٩٠) صاحب الدر المتخب في تاريخ حلب . وصالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (اواسط التاسع) .

وجاء القرن العاشر فتبع في دمشق يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩) وهذا على كثرة تأليفه على ناحية مهمة من التاريخ وهي تاريخ العمران ، فكتب في الجوامع والمساجد والحمامات والخانات وغيرها ، وجاء يطرنس على أثره عبد القادر النعمي (٩٢٧) الف في تاريخ مدارس دمشق واختصر عبد الباسط العلموي بعض كتبه وزاد عليها ، وجاء ابن سكيكر الدمشقي (٩٨٧) وله كتاب زبدة الآثار فيما وقع لجامعة في الاقامة والاسفار وجاء محمد بن يوسف الباعوني ومؤلفاته اراجيز تاريخية كمؤلفات غمه . ونشأ بدر الدين الغزي المؤرخ (٩٨٤) في دمشق وعبد الرحمن ابن فرفور الدمشقي (٩٩٢) ورضي الدين الحنبلي (٩٧١) صاحب تاريخ حلب ، ومن أعظم مؤرخي دمشق في هذه الحقبة ابن طولون الصالح (٩٥٣) كتب كتاباً

سماه ذيل التتبع بالاقتران وذخائر القصر في تراجم نبلاء مصر وغيرهما كثير في
الخطط والآثار والتاريخ على اختلاف ضروبه . وجاء حمزة بن احمد الفقيه العاليبي
(نسبة لعاليه) المعروف بابن سباط (٩٢٦) وكتب تاريخاً في الرجال

وختم هذا القرن بالمؤرخ شرف الدين موسى بن يوسف بن ايوب الدمشقي
(١٠٠٠) القاضي وله تاريخ في مجلد وتذكرة في مجلدين وغير ذلك .

وما خلا القرن الحادي عشر من مؤرخين محققين في الجملة منهم التجم محمد
الغزي (١٠٦١) صاحب الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة وذيله واحمد بن
سنان القرماني (١٠١٩) صاحب آثار الدول وعبد الكريم الطاراني (١٠٤١) والحسن
البوري (١٠٢٤) له تراجم الأعيان في ابناء الزمان واحمد الصفوري (١٠٤٣)
وابن العماد (عبد الحلي) (١٠٨١) صاحب شذرات الذهب المطبوع . ونور الدين بن
برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلية (١٠٤٤) وثقي الدين التيمي (١٠١٠)
صاحب تراجم الخفية ، واحمد بن محمد اخالدي الصندي صاحب تاريخ الأمير
نور الدين بن معن .

وظهر في القرن الثاني عشر محمد امين الحلي (١١١١) صاحب خلاصة الاثر
في تراجم أهل القرن الحادي عشر والدوبيي صاحب تاريخ الطائفة المارونية (١١١٦)
ومحمد الغزي المؤرخ النسابة (١١٢٦) وعبد الله البصري (١١٢٠) ومحمد بن عيسى بن
كنان (١١٥٣) ومكاربيوس الحلبي صاحب الرحلة الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا .
وابو المراهب بن ميرو الحلبي (المتوفى قبل المئتين بعد الألف) وابن شاشة (بعد سنة
احدى عشرة ومائة وألف) .

وفي القرن الثالث عشر كان المرادي صاحب ملك الدرر (١٢٣٢) والشدياق
(١٢٧٦) صاحب أخبار الأعيان في جبل لبنان ومشافة والامير حيدر احمد
الشهابي (١٢٥١) وكال الدين الصمادي (١٢٠٩) وكال الدين الغزي صاحب
التذكرة الكمالية (١٢١٤) وتقولا الترك صاحب تاريخ حملة الفرنسيين على مصر والشام
ومجد ارسلان صاحب التاريخ .

وفي القرن الرابع عشر الأخير قام مؤرخون مختلفون بدرجات معارفهم ومذاهبهم منهم فاندريك وبورتر ولامنس من الفرنسيين المقيمين في الشام ومنهم أناس من اللبنانيين والدمشقيين والخليين والفلسطينيين كرفيق العظم ورؤيد الدحداح ويوسف الدبس ونوئل نعمة نوفل وبطرس البستاني واسكندر ايكارديوس وسليم شحادة والجزائري وجرجي زيدان وشيخو والبرغوثي وطوطح والفزي والطباخ ومخلص والصابوني وبني واليطار والقاسمي والبحري ومعلوف وشقير والزين وألوف وغيرهم .

سيداتي سادتي !

ربما لاحظتم من مجرى هذا الحديث ان معظم من تشاؤوا من المؤرخين في الاسلام كانوا من أبناء دمشق ومن سكنوا دمشق ، والسبب في ذلك ان مادة التاريخ ، الناس والجماعات والحكومات والمواصلات ، وهذه الامور لا تكون في غير العواصم ، وعاصمة الديار الشامية (دمشق) واذا قلنا الشام فهي البلاد الواقعة بين العريش او رفح ونهر الفرات وشبه جزيرة العرب من الجنوب وهذا مصطلح للعرب صاروا عليه منذ حلت رعايتهم في هذا الوطن العزيز .

الأوهام العائرة

(١)

١ - تصدير

الأوهام العائرة هي من قولهم : عارت القصيدة اي سارت بين الناس . والقصيدة هنا للتمثيل والتنظير ، لا للتقيد ولا للحصر . - فالأوهام العائرة هي السائرة بين الناس ، ولا سيما بين حملة البراع ، وأرباب الصحف والكتب والمجلات . وقد ألف كثيرون في هذا الموضوع منذ صدر الاسلام ، بل منذ تأناته الى هذا العهد . وسوف يكتب بعدنا جماعات في نفس هذا البحث الى ان تقوم الساعة . وآخر من أحسن تثقيف مثل هذا الأود النفوي الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي . ثم جاء بعده من عني بطبع تقديراته في كراسة قائمة برأسها فم تقمها ؛ ثم جاء آخر فاختصر عبارتها وزاد عليها من عنده ، فكانت أقواله في بعض للمواطن من تلك الكراسة كالرقعة البالية في الثوب الجديد ، وخطب فيها خطب عشواء ، بل خطباً شنيعاً مدعياً ادعاءات فارغة تضحك الشكلى ، وتبكي الفرحى ، وسماها (مغالط الكتاب ومناهج الصواب) ثم ظهر بعد الاستاذ اليازجي كثيرون من الادباء واتحلوا تقديراته غير خجلين من هذه السرقة الدنيئة ، ونشروها بأسمائهم في طائفة من الجرائد والتأليف وهم أصلب من جوزتين في غمرارة .

ونحن ان كنا نعود الى هذا البحث ، فلأنا نريد ان ننبه هنا بعض من يهمهم الأمر على عقد وعجز وعجز لم يذكرها احد قبلنا . فنقول :

٢ - الملاحظات لا للملاحظات

كنا قرأ في كتب الادب قولهم : « فلان يلاحظ كذا وكذا في ما يقف عليه مثلاً » . وله ملاحظات كثيرة على ما جاء في الكتاب الفلاني » . - والآن قرأ في صحف وكتب جمة قول بعضهم : « فلان يلاحظ كذا وكذا في ما يقف

عليه نظره ، وله ملحوظات كثيرة على ملجاء في الكتاب الفلاني» — ونحن لم نعثر على مثل هذا الاستعمال لهذا الفعل عند حذاق الكتاب وبصراء المؤلفين . والذي أفتناه من استعمالهم انهم يقولون لاحظ ولاحظه ولم تلتف من جرى مجرى آخر ، مع ان تلت معنى لحظ الحقيقي الى المعنى المجازي غير محظور . قال في الكليات : « النظر ملاحظة المعلومات الواقعة في ضمن تلك الحركة » (ص ٥٠٥ من طبعة الاستانة) . وقال ابن جني : « ولو لاحظت اول احوالها لكنت قلقت ... (الخصائص ج ٢ : ٢٥٤) .

٣ — المائة لا القرن ولا الطبق

كنا نستعمل (القرن) بمعنى المائة سنة ، اثنياً بكثير من كتاب العصر . وقد لاحظنا قبل نحو من سنة او اكثر ، ان استعمال القرن بمعنى المائة سنة غير وارد في كلام فصحاء الاقدمين ، فهو من اوضاع مولدنا المتأخرين . أما لنويونا فقد شرحوا القرن بقولهم : « القرن : زمن معين ، او اهل زمن مخصوص . واختار بعض انه حقيقة فيما . واختلف هل هو من الاقتران ، اي الأمة المقترنة في مدة من الزمان ، من قرن الجيل ، لارتفاع سنهم ، او غير ذلك . واختلفوا في مدة القرون ، وتحديدوها ، فقليل : أربعون سنة ، عن ابن الاعرابي ودليله قول الجعدي :

ثلاثة اهلين أفنيتهم وكان الاله هو المتأما

فانه قال هذا وهو ابن مائة وعشرين ، او عشرة^(١) ، او عشرون ، او ثلاثون ، او خمسون ، او ستون ، او سبعون ، او ثمانون . نقلها الزجاج في تفسير قوله تعالى : الم يردكم اهلكنا قبلهم من القرون . والاخير نقله ابن الاعرابي أيضاً . وقالوا : هذا مقدار المتوسط من أعمار اهل الزمان ، او مائة ، او مائة وعشرون . وفي فتح الباري : اختلفوا في تحديد مدة القرن من عشرة^(١) الى مائة وعشرين ؛ لكن لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة^(١) وما عدا ذلك فقد قال به قائل .

(١) كذا في الاصل ، ولعل الصواب [أو عشر] لأن للتدرج [سنوات] وهي مؤنثة .

والاول من القولين الأخيرين اصح . وقال ثعلب : هو الاختيار لقوله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، لعلام بعد ان مسح رأسه : عَشْرَ قُرُونًا ، فعاش مائة سنة . وعبارة المصنف 'مؤممة لأن أول الأقوال التي ذكرها هو اربعون سنة . قائل . وبالأخير فسر حديث ابن الله يبعث على رأس كل قرن لهذه الامة ، من يجدد أمر دينها ، كما حققه الولي الحافظ السيوطي ، رحمه الله تعالى . وقيل : القرن : كل أمة هلكت فلم يبق منها احد ، وبه فسرت الآية المذكورة . وقيل : الوقت من الزمان ، عن ابن الاعرابي « اهـ بحروقه عن التاج .

ولما كان الشك قد طرق معنى القرن ، كان الاقدمون يقولون في مكانه المائة ، من باب الاطلاق . ومنه كلام المؤرخين : جرى هذا الحادث في المائة الاولى ، أو الثانية ، أو الثالثة للهجرة ؛ ولم يقولوا القرن الاول ، أو الثاني ، أو الثالث . ومنه أسماء بعض الكتب : كالدرر الرائعة في شعراء المائة الرابعة ، والدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة ، والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي ، والدرر الكائنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، والكواكب السائرة بتناقب أعيان المائة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي . الى ما لا يحصى عدده . وقال المولدون مستعملين القرون لمائة سنة : انسان العيون في مشاهير سادس القرون ^(١) . والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، والنور السافر في أخبار القرن اعاشر ، وخلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحيي ، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر وغيرها . والذي يظهر لنا ان القرون جمع قرن معرب من اليونانية قرونس *Khronos,ou* أي الزمان ، أو الوقت من الزمان . ولما عرّبوا القرون توهموا ان مفردهما (قرن) لأن اغلب المجموع الواردة على 'فعل يكون مفردهما فعلاً بالفتح .

ومن الكتاب من حاول ان يقول في مكان القرن : الطبق وذلك لأنه قرأ في كتب اللغة : الطبق ، كسب ، . القرن من الزمان ، او عشرون

(١) نفل أن هذا العنوان من وضع بعض التأخرين ترويحاً للكتاب .

سنة ، (القاموس) . لكن الطبق أيضاً معرب من اليونانية ابق *Épōkhé* بهذا المعنى عينه . يبداهُ كيف (ابق) صارت (طبق) ، اي كيف حوت الحمزة الى طاء ، ذلك من أسرار الالة العربية . فقد كانت قوم من الناطقين بالفساد يجعلون الطاء في مكان الحمزة ، فقد قالوا : أر الدابة أي ساقها ، وأفر الظبي بمعنى وثب ، وأفلت الشمس بمعنى غابت ، وأن الأبل اي ساقها ، وألاً بالو أي قصر وإبطاً . وكانت آخرون يقولون بالطاء اي : طر الدابة ، وطر الظبي ، وطفلت الشمس ، وطل الأبل ، وطلا يطلو . إذن فالأبق والطبق من هذا القبيل .

٢ - فلان بن فلان لا فلان فلان

يقول المعاصرون مثلاً : محمد بن حيدر ، وهم يريدون محمد بن حسن بن حيدر . وذاك لا يجوز في لغتنا ، لأن اللفظ اخلص في نسبهم والنسب في لسانهم لم يقولوه البتة ؛ لأن الاسم المضاف عندهم دون المضاف اليه شرفاً وقدرًا . فقولهم كتاب الملك مثلاً ، يدل على ان الكتاب دون الملك قدراً وشرفاً . وكذلك بيت الملك ونحو ذلك . وأما الابن في نظرم ونظر كل عاقل فهو بضعة من أبيه ، فهو في درجة القدر والشرف مساوٍ لأبيه دون أدنى فرق . ولهذا قال الأقدمون : محمد بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب . ولم يضيفوا أسماءهم الى آبائهم . اما إذا اشتهر الرجل بلقب ، ذكروا اسمه وارادوه بلقبه ، فقالوا مثلاً : عامر ماء السماء ، والمندر المعرور ، والنعمان الأكبر . او كنوه بالكنية التي اشتهر بها فقالوا : ابو يعفر علقمة ، وابو طالب شيخ الباطح ، وابو بكر الصديق . وان لم يعرف الاب واشتهرت امه نسبوه الى امه فقالوا مثلاً : عيسى بن مريم او ابن مريم ، وابن الحنفية^(١) ، وابن القوطية ، وابن حنزابة ، الى غيرهم . أما اضافة أهل هذا العصر اسماءهم الى اسماء آبائهم ، فنشأ من اتصالهم بالترك العثمانيين وذلك ان مشاهير الترك كانوا في الغالب من المالك ، أخذوا صفاراً ،

(١) [المجم] للاب الهزم وام في ما قال لأن أبا ابن الحنفية أشهر من ان يعرف وانما نسب الى امه لينبذ من أخواته من أبناء فاطمة عليها السلام وربما كان غيره ممن ذكرهم كذلك .

ولم تعرف آبائهم ، فتنسبوا الى مالكيهم ، ثم صاروا وزراء او باشوات . فقالوا سليمان باشا عتيق أحمد باشا ، وعلي آغا مملوك أحمد باشا ، وعبد الله الخزندار ، مملوك سليمان باشا الكبير ، الى نظائرهم . ثم تركوا هذه التسمية الطويلة المملة ، واقتصروا على ذكر اسم الشخص نفسه سر دؤوقا بلقب شرف ، فقالوا : حسن افندي ، وعمر بك ، وداود باشا ، وهذا هو الأكثر والأشهر ، لا سيما في الايام الاخيرة . وأما الافرنج ، على اختلاف قومياتهم وعناصرهم ، فانهم يعدون الأولاد أغصاناً لدوحة نسبهم ، فيقولون : سلتستر دسامي *Sylvestre de sacy* وكومن دي پرسفال *Caussin de perceval* وجورج ولهم فريتغ *G.W. Freytag* وغستاف فلوغل *G. Flügel* ور . دوزي *R. dozy* وادورد لين *Ed. lane* ، الى غيرهم وليس في هذه الأسماء اضافة البتة .

٥ - الدهن لا الزيت

العرب لم تسم (زيتاً) إلا دهن الزيتون . وسموا دهن يزر الكتان (زيتاً حاراً) وما عدا ذلك لم يقولوا مثلاً زيت الحجر ، ولا زيت البترول ، بل اطلقوا الدهن على كل مادة جمادية ، او نباتية ، او حيوانية . فمن الأول تقل ابن السطار البتروليت (أي البترول) الى دهن الحجر . ومن الثاني قول الاطباء وعلماء النبات واللغويين : دهن البان ، ودهن الخردل ، ودهن الزنبق ، ودهن الخروع ، الى ما لا يحصى عدده . ومن الثالث قول اللغويين : «مخرط الطائر : اخذ الدهن من مدعنه يزمكاه» . فقول أصحاب الجرائد : الزيت بمعنى النفط ، او الدهن ، خطأ صريح لا شبهة فيه . فالدهن يقابل الفرنسية *Huile* ، والزيت *Huile D'olive* ، والنفط ودهن الحجر يقابل البترول *Pétrole* .

٦ - النضج لا النضوج

ويقول كثيرون من أرباب الصحف والمجلات : النضوج كالجلوس ، وهذا لم يرد على أسلة كاتب فصيح ، انما الوارد هو النضج بالتحريك ، لكن الكتاب اعتبروا النضوج مصدراً للآزم فعدوا مصدره كصدر قعد وجلس وبكر ، ولكن

نسوا ان هذه الأفعال وأشباهاها مفتوحة العين في الماضي ، ونضج مكسورها ، وما كان من هذا الباب قصده على فعلٍ بالتحريك ، كما قال ابن مالك :
 وقيل اللّازم بابهُ فَعَلْ كَفَرَحَ وَكَجَوَى وَكَشَلْ
 ويقال أيضاً النضج بفتح وسكون والنضج بضم وسكون ، وهما اسماء مصدر .
 إذن لك أن تقول نَضَجَ وَنَضَجَ وَنَضَجَ وهذه بالتحريك . لكن لا تُفْجِجَ .

٧ - يحاربُ فلاناً لا يُحارب مع فلان

ومن غريب سوء تصرفهم في معاني الألفاظ العربية ، انهم يقولون مثلاً :
 المانية تحارب الآن مع روسية . وهذا خلاف ما يرمون اليه من المعنى . والصواب
 ان يقولوا : المانية تحارب روسية . وأما قولهم مع روسية ، فمعناه ان المانية قد
 صادقت روسية وهي الآن تحارب مع صديقتها هذه عدواً لها . ولهذا يقال : المانية
 تحارب مع ايطالية ، روسية او دولة الروس . وكذلك لا يقال : المانية هي في
 حرب مع روسية بل المانية في حرب لروسية واما المانية في حرب مع روسية فهذا كلام
 معناه ان المانية متفقة مع روسية لتحارب دولة أخرى هي عدوتها .

٨ - دولة كذا وكذا ، لا دولتنا كذا وكذا ، ولا ما أشبه هذا التعبير

شاع اليوم بين الكتاب قولهم مثلاً : « ذكرت « دولتنا » المانية وايطالية ، ان
 في « شهري » شباط وآذار ، يعقد في « مدينتي » برلين ورومة ، مؤتمر يذكر فيه
 « قانوناسنتي » كذا وكذا » الى ما أشبه هذا التعبير المولد للمقوت ، اي انهم
 « يشنون المضاف لورود متضمنين مفرقين بعده . وهذا لم يقره إلا قسرون ، ولم
 ينطق به الفصحاء ، ولا البلغاء ، بل يقولون المضاف مفرداً في جميع هذه التراكيب
 وأمثالها ، كما قال الخدّاق من السلف في عصر العباسيين : جزيرة الرجال وجزيرة
 النساء ، وقال الصرفيون اسم المكان والزمان ، وظرف الزمان والمكان . ولم
 يقولوا : جزيرة الرجال والنساء ، ولا اسماء المكان والزمان ، ولا ظرفا الزمان
 والمكان . وفي سورة المائدة : « على لسان داود وعيسى بن مريم » ولم يرد « على

لساني داود وعيسى بن مريم» . ولما اذا ثبت المضاف فهذا معناه ان للمضاف
الثنى مضافين اليه لا مضافاً اليه واحداً . فتوكل كتابا الملك والأمير معناه ان
الملك كتابين وللأمير كتابين ، وأنت لا تريد هذا .

٩ - أيضاً فصيحة ولم تأتِ « كذلك » بمعناها

أخذ بعض الكتاب منذ نحو خمسين سنة يتحاشون عن قولهم « أيضاً »
اعتقاداً منهم ان هذه الكلمة اعجمية الأصل ، ولم يستعملها فصحاء الكتاب في
كلامهم ، وان أعجميتها هي Item ، وأما عربييتها فهي « كذلك » - قلنا : وهذا
في معنى الغرابة . لأن معنى الواحدة غير معنى الآخرة . فمعنى « أيضاً » : عوداً
وتكراراً ، او ما أشبه هذا المعنى . وانكئة مفعول مطلق لفعل « آض بثيض » اي
عاد يعود عوداً . قال في الكليات : « أيضاً ، مصدر آض ، ولا يستعمل الا مع شيئين
بينهما توافق ، ويمكن استثناء كل منهما عن الآخر ؛ فخرج نحو جاءني زيد أيضاً ؛
وجاء فلان ومات أيضاً ؛ واختصم زيد وعمرو أيضاً ؛ فلا يقال شيء من ذلك .
وهو مفعول مطلق حذف عامله وجوباً مبالغاً ، كما نقل ومعناه : عاد هذا عوداً على
الحيثية المذكورة ؛ او حال من ضمير للتكلم ، حذف عاملها وصاحبها ، اي أخبر
أيضاً ، او أحكي أيضاً ، اي راجعاً . وهذا هو الذي يستمر في جميع المواضع »
اه بحروفه . (وقد نقل هذه العبارة بطولها وعرضها صاحب محيط المحيط بصرف
قليل ، ولم يشر الى مأخذه . وكذلك نقلها ابن عابدين في رسالته الفوائد العجيبة ،
في اعراب الكلمات الغريبة في ص ٤ ولم يشر الى هذا المصدر نفسه) .

فأين هذا التعليل الفلسفي ، المنطقي ، التحويي ، من قول الأديب المصري انه
مغرب من اللاتينية ؟ وقد وردت الكلمة عشرات لا تحصى في كلام الجاحظ وهو
من أقدم الكتاب ، وأفصحهم ، وأبلغهم . وُلد في سنة ١٦٣ للهجرة وتوفي سنة
٢٥٥ . (راجع مثلاً الجزء الأول من كتاب الحيوان . البابي . ص ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦

٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ الى غيرها . وزد على هذا ان معنى (كذلك) مثل ذلك ، لا أيضاً . فكيف تقوم الواحدة مقام الأخرى في معناها ^(١) .

ثم لو اجتمعت (أيضاً) و (كذلك) في عبارة واحدة — وهذا ما يدل على أن معنى الكلمة الواحدة غير معنى الكلمة الثانية — فكيف 'تنزع' (أيضاً) من مكانها وكيف يوضع في محلها كلمة أخرى . فقد جاء مثلاً في كتاب الحيوان المذكور (١ : ١١٥) هذه العبارة : « وقد توجد المرأة ذات رجليه ، وقد رأيتُ » ذلك » وأكثر ما رأيتُ في عجائز النهاقين ، و « كذلك » النعب والشارب ، وقد رأيتُ « ذلك أيضاً » . فهذه الكلمات الثلاث لا تقوم الواحدة مقام الأخرى . وجاء في كتاب الفروق اللغوية لأبي حلال العسكري ، وقد ألفه سنة ٣٩٥ للهجرة ، فذكر في ص ٣٢٥ من طبع القاهرة هذه العبارة : « والدهر » أيضاً « لا يكون إلا ساعات قليلة » ويكون الحين « كذلك » انتهى .

وقد استعمل الجاحظ « كذلك » عشرات لا تحصى لمعني كذلك راجع مثلاً كتاب الحيوان . البابي ١ : ٢١ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٩١ الى آخر ما هناك فهل يقال بعد هذا ان (أيضاً) غير عربية ، وان عربيته (كذلك) ؟

الأب أنستاس ماري الكرمللي

يتبع :

(١) قال الأديب المصري في ما قرأناه قبل نحو أربعين سنة أن القل آض أيضاً لم يرد في الآيات القرآنية .

قلنا : هذا صحيح لكنه ورد في حديث الكسوف في قوله : [حتى آضت الشمس ، أي رجعت . قال : آض يشي أيضاً ، أي صار ورجع] (النهاية لابن الأثير) . وقد وردت أيضاً على يراعة سيويه ، (للتوفي سنة ١٨٠ هـ) وهو تلميذ الخليل بن أحمد ، سهاراً لا تحصى في كتابه من ذلك في ١ : ٢١١ من طبة مصر : [ومن ذلك (أيضاً) قوئك : إن تأتني ، إذن آئك] وفي ١ : ٢٨٢ : [ومع هذا (أيضاً) انه قد كثر في كلامهم حتى حذفوا فيه (إاء) و (إاء) لا تحذف في غير فا] انتهى . ولا زيد أن نحن في ذكر النواهد ، إذ هذا من باب تحصيل الحاصل ، وليس هناك جدوى أكثر مما ذكرنا .

بقايا الفصحاح

أعني ببقايا الفصحاح طائفة من الألفاظ التي استفاضت في العامة وأصلها فصيح ،
الا انها مع تعاقب السنين عليها تباعد عنها فربق من الكتاب فذهب وحمنا الى انها
عامة ، وهذه الألفاظ على ما أعتقد قوة غريبة في حياتها ، فقد خلفها الماضي وتداولتها
العامة ، فلم تفقد شيئاً من حياتها ، على الرغم من اختلاطها بالفاظ أعجمية انحدرت
اليها من الأمم التي انبسط سلطانها على هذه البلاد او على بلاد العرب عامة ، ففي كل
بلد من بلاد العرب طوائف من هذه الألفاظ ، ولكل طائفة منها حياة قوية ،
ولقد عُنيت بها من سنين فاجتمع لي مقدار منها أرجع اليه من حين الى آخر
فتطوي لي أحقاب بعيدة ، فأرى في تضاعيف هذه الالفاظ حياة بلد بأجمعه ،
اذ أنها تفصح لي عن ناحية من نواحي الاجتماع او الاقتصاد او عن معنى من المعاني
النفسية أو المادية او غير هذا كله ، وهذه الألفاظ في الادب منزلة رفيعة ، وسلطان
قوي لصلتها بالعامة على تراخي السنين ، ولا متزاجها بالسنتهم ، واذا لزمنا ان نخطب
الناس على قدر عقولهم حتى يكون لكلامنا تأثير في هذه العقول ، فيلزمنا ان
نخطب العامة بالفاظهم التي يأنسون بها ، فالكلمة التي تأنس بها تعمل في قلبك
أوفي عقلك أوفي نفسك غير العمل الذي يعمل ما تستوحش منه من الكلام ،
وقد كان سيد الكتاب أي الجاحظ تغفل الى روح العامة ، فمال الى مصطلحاتهم ،
وانبسط الى تعابيرهم ، فما كان ينقبض عن استعمال الفاظهم في اضعاف كتاباته ،
كالخطراتي والكأغاني والبانوان والقرمي والمثعب وما شاكلها ، ولقد ذهب مذهباً
أبعد ، فما كان يستنكر الحكاية عن بعض الناس بقول ملحون ، فانه يرى ان
الأعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب ، وكان يقول
اذا دخلت على هذا الأمر الذي انما أضحك بسخفه وبعض كلام المعجمة التي فيها
حروف الأعراب والتحفيف والتثقل وحولته الى صورة الفاظ الأعراب الفصحاء وأهل

المروءة والنجابة اقلب المعنى مع انقلاب لفظه وتبدلت صورته ، وقال في مقام آخر :
وان وجدت في هذا الكتاب لحناً او كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته
فاعلموا انما تركنا ذلك لأن الإعراب يفيض هذا الباب ويخرجه عن حده ،
الا ان احكي كلاماً من كلام متعالي البخلاء وأشحاء العلماء ، كسهل بن
هارون وأشباكه .

علي أنني لم استشهد بكلام الجاحظ للتحريض على استعمال الألفاظ العامية او
على الخروج على قواعد الإعراب في بعض المواضع فما يجوز للجاحظ لا يجوز لي
ولا لغيري في هذا الباب فهو سيد اللغة يحذاقها ، لا تفلت منه لفظة منها ، وانما مدار
كلامي على إحياء طائفة من الألفاظ العامية التي لها اصل فصيح ، فها أنا أورد في
مقالى هذا فريقاً من بقايا الفصح التي تدل على بعض معاني اجتماعية او اقتصادية
او مادية أو نفسية ، أو غير ذلك ، وأقتصر على ذكر يسير منها لأن المقام لا يتسع
لذكرها كلها ، وقد حافظ قسم من هذه الألفاظ على معناه الأول ، فلم ينشأ
تفاوت في المعنيين : اللغوي والعامي ، وقسم منها عدل بعض التعديل ولكن النسبة
بين المعنيين مستحكة على الرغم من هذا التعديل .

* * *

من هذه الألفاظ ما يفصح عن معنى من معاني الاجتماع ، فمن الألفاظ
المتشقة قولنا : فككت فلانة ، بالتشديد ، فقد كانت سيدات دمشق لسنين
خلت يسهرن في دورهن ، ويجتمع بعضهن الى بعض في هذه السهرات ، فيلمبن
لبات مختلفة كلمة التريز مثلاً او تغني احداهن اذا كانت حسنة الغناء ، أو
تضحك رفيقاتها اذا كانت خفيفة الروح ، فاذا كانت هذه الخفيفة قد أضحكت
أهل الدار حتى بالغت في اضحاكهن قالت رفيقاتها بعد انقضاء المجلس : ان
فلانة فككت البارحة .

وفي القاموس المحيط للعلامة الفيروزآبادي ، وعليه اعتمدت في شرح بقايا الفصح :

فكت الجارية ، مجنت ، فأنت ترى أن أصل هذه المادة فصيح ، وأوردها الفيروزآبادي محققة ، واستعملت في دمشق بالتشديد ، وبين المعنيين ، اللغوي والعامي نسبة واحدة ، فلا فرق بين معناها اللغوي ومعناها العامي ، ولست أعلم كلمة تعمل عملها في هذا الباب ، فإنها خصبة الدلالة ، شديدة التأثير ، ولو خبرت بين استعمال هذه المادة وبين استعمال أخواتها الدالة على معناها لما فضلت عليها واحدة منها ، لشدة حياتها ، وعظم وقعها ، وقد تخرج في بعض الأوقات من الحقيقة إلى الخجاز ، فيقولون : فنك هذا الشتاء ، أي اشتد .

ومن بقايا الفصح الدالة على نمط من أنماط اللعب قولهم في دمشق : فلان لعبه جماش ، فهذه المادة كنا نستعملها في مدارسنا من ثلاثين سنة للدلالة على تليذ بلاعب رفيقه فيلظ له في الملاعبة ، فقد ير كله مثلاً ، أو بعضه ، أو يهشم له عظماً إلى غير هذا من أنواع اللعب الغليظ .

فن معاني هذه المادة في القاموس المحيط : الملاعبة ، فالجش الملاعبة كالتجيش ، ورجل جماش متعرض للنساء كأنه يطلب الركب الجيش ، فلم يورد الفيروزآبادي : لعباً جماشاً ، وإنما أورد المصدر الثلاثي الجش ، وبين المعنيين نسبة قوية ، فالجش في اللغة الملاعبة ، وهذا هو معناها عند العامة ، إلا أن العامة وضعت طرز هذه الملاعبة وخصته ، فهي ملاعبة شديدة ، غليظة والأصل اللغوي ليس فيه هذا التمييز ، وفي كل حال المادة واحدة ، ولكنها عدل معناها هذا التعديل .

ومن بقايا الفصح ما يدل على معانٍ تقية مثل قول العامة : نفش له قلبي ، أي أبسط إليه وأنس به .

وفي القاموس المحيط : وهو ينفش إليه ، أي يميل ، فهذه مادة لم تنقد شيئاً من صلتها بأصلها اللغوي ، فما زالت على معناها الأول ، دون أن يدخل عليها شيء من التعديل .

ومن هذه الألفاظ ما يدل على معانٍ اقتصادية مثل قول العامة : فلان بعزق

مال أيه ، او فلانة بعزقت السمن في الطبخ ، وفي الأصل اللغوي : بعزق الشيء أي فرقته وبدّده .

فهذه المادة حافظت أيضاً على أصل وضعها .

ومن بقايا الفصح ما يدل على معانٍ مختلفة ، ومذاهب شتى ، مثل قولنا : فرتكها فلان ، أي أفسدها والضمير يرجع الى خطئه او الى سيامته أو الى غير هذا ، وفي الأصل اللغوي : فرتك عمله أي أفسده .

فلم يتغير شيء من معنى هذه المادة في أصلها .

ومن كلام العامة في دمشق : العططة ، فإذا كان لوالد ولد وترك هذا الولد داره في الليل أو في النهار ، وعاد في منتصف الليل مثلاً فيقول له أهله : أين كنت تعطط ، على سبيل التويخ ، ومن معاني العططة في اللغة حكاية صوت الحجاب إذا قالوا : عيط ، عيط ، وذلك إذا غلبوا قوماً .

فهنا لم تحافظ العططة على معناها اللغوي ، وإنما تباعد المعنيان بعض التباعد ، ولكن على الرغم من هذا التباعد قد يكون معنى أصلها العامي نظير معنى أصلها اللغوي ، ثم دخل هذا المعنى تحريف على السنين فضاع الأصل اللغوي وبقي الأصل العامي .

ومن بقايا الفصح ما يدل على لون من الألوان ، فمن كلام العامة : باخ الثوب ، وهم يريدون بذلك : ذهب يريقه ، وفي اللغة : باخت النار أي سكنت ، فالمعنيان متقاربان ، إلا أن العامة عدلت عن حقيقة معنى هذه المادة الى المجاز فيها ، فالنسبة بين ذهب يريق الثوب وبين ذهب لميب النار واحدة ، وقد وردت هذه المادة في شعر نهشل بن حري :

ويوم كان المصطلين بجره وان لم تكن نار وقوف على جمر

صبرنا لها حتى تبوخ وانما تفرج أيام الكريهة بالصبر

وقد رأيت قبل أن اختم هذا الاستشهاد أن أذكر مادةً عربية في العافية وهي :

العراضة ، والمقصود بها اجتماع فريق من العامة في يوم عرس ، أو في يوم فرح ،
أو في يوم عيد ، أو في أيام انقلاب سياسي ، كالاتقلاب الذي جرى في دمشق
سنة ١٩٠٨ ، ثم جولان هذه العامة في البلد ، يهزجون فيه وأمامهم وصاف يصف
وهم يرددون ما يصف ، وفي أيديهم سيوف أو خناجر أو عصي أو ماشابه ذلك ، وقد
كان هذا النوع من الاحتشاد فاشياً في دمشق ، ثم قلَّ وُبدِّل بنوع آخر وهو المظاهرة .
ومن معاني العراضة في اللغة : الهدية وما يحمل إلى الأهل وما يعرضه المائر
أي يطعمه من الميرة ، وجاء في الأغاني في كلام لصاحبه على ابن حمزة ابن
السري أمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار
يعرض بها أهله ، وقد فسر صاحب الأغاني قوله : يعرض بها أهله على هذا الوجه :
يهدي لهم بها هدية ، والعراضة الهدية ، قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك :
كانت عراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زكوة وسعالا

فها قد ضاعت النسبة بين العراضة العامة ، بفتح العين ، وبين العراضة اللغوية
بضمها ، واتسع مجال التأويل فهل أصل هذه العراضات الممشتية اجتماع فريق من
الناس لتقديم هدية في عرس أو ماشاكل ذلك ؟

* * *

هذا آخر ما أحبت أن استشهد به من بقايا الفصحاح ، على كثرة ما عثرت عليه
من هذه البقايا ، ورغبني في جمع هذه المواد التنيه على قوة حياتها ، فالكلمات على
نحو ما قال « اتاتول فرانس » إنما هي أفكار ، ولا سبيل إلى الاصابة في الحكم إلا بالتمكن
من النحوي والمفردات الصحيحة ، والشعب الأول في العالم هو الشعب الذي يملك
أحسن الأصول في النحو وتنسيق اللفظ ، فقد يقع في أغلب الحالات ان الرجال
يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتماثقوا
ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم ينفي ظلمة كل شيء !

نفس ميري

الطرمّاح بن حكيم الطائي

(٢)

هجاؤه

الهجاء والفخر هما الفتان اللذان زخر بحرهما وتفتن الشعراء بهما في العصر الأموي ،
وذلك لتيقظ روح العصبية بين القبائل ولاختلاف المذاهب السياسية . وهجاء الطرمّاح
من لاذع فيه تهكم وسخرية وألمعية ، من غير غش أو اقداع الا على التدرية . وهو في
الهجاء أكثر لباقةً وأوسع تصرفاً وأسلس لغة واحكم قافية وايرع ثنائاً منه في
جميع أبواب شعره . روى صاحب الأغاني بسنده عن الفضل قال : « اذا ركب الطرمّاح
الهجاء فكأنما يوحى اليه ثم أنشد له قوله :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها حوض النبي عليه الأزد لم ترد
او اتزل الله وحياً أن يعذّبها إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد
لا عن نصر امري اضحى له فرس على تميم يريد النصر من أحد
لو كان يخفى على الرحمن خانية من خلقه خفيت عنه بنو اسد»
والغريب انه في غزله أكثر منه جدّاً في هجائه . وشعر الطرمّاح المشتمل على كثير
من غريب اللغة وعويصها يكاد يخلو منها اذا كان هجاء كأنه أراد بذلك تقرّبه
من فهم الناصر كلهم لبسّل حفظه وتعم روايته . ولقد مرّق بهجائه بني تميم = على كثرة
شعرائها = تمزيقاً . وهجاؤه ونفره أجود ما قال من الشعر وهو فيها أكثر براعة
واحساناً وحسن تصرف منه في جميع أبواب شعره .

* * *

وأثر الدين واضح جلي في طائفة من شعره منها قوله : (١)
كل حي متكل عدة المـ رومور اذا اتقضى عدده
عجيباً ما عجبت للجامع المـ ل يياهي به ويرتفده

ويضيع الذي يصيره الله به فليس يعتقد
يوم لا ينفع الخوّل ذا اثر وة خلائته ولا ولده
يوم يؤتى به وخصمه وسطا بين والانس رجله وبده
خاشع الصوت ليس ينفعه ثم امانته ولا لده

لغته

الطرماح من اكثر الشعراء الاسلاميين تبعا لغريب اللغة وعويصها ، ولغته في قسم كبير من شعره اشبه بلغة الرجز الذين كانوا يباهون بالغرابة مثل العجاج وابنه رؤبة وابي التجم . قال محمد بن حبيب : « سألت ابن الاعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة يقول سيف نخيعهم لا أدري لا أدري » .

ولعل السبب في ذلك ان الطرماح لم يكن بدوياً بل أخذ اللغة على سبيل الطلب والتلقي واشتغل بالتعليم زد على ذلك ان رواة الادب واللغة وقتئذ كانت يعجبهم هذا النوع من الغريب يستشهدون به ويدونونه . فكأنه اراد ان يدل بسعة معرفته بلغة العرب وغريبها ، فجمع في كل قصيدة من غريب اللغة مالا تكاد تراه في ديوان لبتدارسه الطلاب ويستشهد به الرواة .

واقد كان يثقل عن معاني شعره في مجالس اهل الادب ويحتج علماء اللغة به ويمتنعون معرفتهم بمفرداته . وايائنه المثبوتة في المعاجم اللغوية كأساس البلاغة للزمخشري والقاموس للفيروزابادي ولسان العرب لابن منظور كثيرة . وذلك بالرغم من حملة الاصمعي عليه فقد كان لا يحتج به ولا بصاحبه الكيت ويقول : « الكيت نعلم النحو وليس بحجة وكذلك الطرماح وكنا يقولان ما قد سمعنا ولا نفهمه » .

ولقد اغرق الطرماح في تتبع الغريب واستعماله وسأل عنه وتكلفه قال المعجاج : « كان الكيت والطرماح يبالاني عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه سيف شعرهما وقد وضعاه في غير موضعه فتبيل له ولم ذلك قال لأنهما قرويان يصفان مالم

يرى فيضاته في غير موضعه وانا بدوي اصف ما رأيت فأضعه في موضعه^(١)». بل زعم بعضهم ان الطرماع كان يجمع الفاظاً نبطية ويقيدها ثم يعربها ويستعملها في شعره حباً بالاغراب. قال الأصمعي: «ذكر الطرماع عند أبي عمرو بن العلاء فقال رأيت بواد الكوفة يكتب الفاظ النبط فقلت ما تصنع بهذه قال أعربها وادخلها في شعري»^(٢).

ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماع لا يتكلف الغريب في كل شعره وانما في قسم منه تعلق اغراضه بالشاعر نفسه ولا تعداه الى سواه فترى القصيدة تشتمل على غزل ووصف ونثر وآراء خاصة لا علاقة لها بممدوح يصعب عليه فهمها او مهجو يأمن سيورتها لغراب لغتها وهذا القسم من شعر الطرماع أشبه بالمقامات التي عني أصحابها يجمع الفصح والشوارد وجعلوها لطلاب الادب والخاصة دون العامة. وهكذا ترى رواة الادب واللغة عنوان هذا النوع من شعر الطرماع اكثر من غيره ولا يبعد ان يكون هو نفسه كان يرويه تلامذته لأنه اشتغل بالتعليم.

وهناك قسم آخر من شعر الطرماع لا تفرق لغته عن لغة الشعراء المعاصرين له كالفرزدق وجبرير واكثره في الهجاء والفخر وبعضه في المدح والرثاء تغلب عليه الجزالة من غير اغراب ولا يحتاج القاري في تفهمه لاكثر مما يحتاجه في تفهم غيره من الشعر في العصر الأموي. واغراض هذا القسم من شعر الطرماع تستدعي عدم التعمق والاغراب لأن الهجاء اذا لم تكن لغته سائغة لا يسير بين الناس ولا ترويه العامة، والمدح بالعويس والحوشي أشبه بالنهم والسخرية وكذلك الرثاء والفخر. وقبل ان انتهي من الكلام على لغة الطرماع أريد ان أدل على بعض كلمات من لغة طي^٣ وردت في شعره ولا غرابية في ذلك فهو طائي. من ذلك قوله:

كجبة الساج فجأ بآبها صبح جلا خضرة أهدابها^(٤)
فجأ بابه اذا فتحه بلغة طي^٣. وقوله:

(١) الاغانى ج ٢ ص ١٧ (٢) للوشح لمرزبانى ص ٢٠٨ (٣) ديوان الطرماع ص ١٦٢

قد اخضل منها كل بالٍ وعَيْنَه
 العَيْن والعَيْن الجديد في لغة طي . وقوله :
 وغدا اذ بدت له الشمس يجتأ ب كشيأ أخلى له عَقْدُهُ (٢)
 أخلى له اي أخلى له وهي لغة طي .

ديوان الطرماح

في سنة ١٩٢٢ ميلادية تم طبع ديوان طنبيل الغنوي وديوان الطرماح بن حكيم الطائي (٣) في مجلد واحد بعناية المستشرق الفاضل الامتاذ ف . كرنكو عن النسخة المكتوبة في الأندلس سنة ٤٣٠ هجرية والمحفوطة في المتحف البريطاني في القسم الشرقي رقم ٦٧٧١ .

ويقول الامتاذ كرنكو ان نسخة الديوان المخطوطة المشتملة على شعر الطرماح وشرحه غير تامة وغير مذكور فيها اسم جامع الديوان ولكنه يظن انه الطوسي احد من جمع شعر الطرماح . ولذلك فان الامتاذ كرنكو اردف الديوان بنديل جمع فيه ما عثر عليه من شعر الطرماح في كتب الادب واللغة والتاريخ . ثم بعد ان تم طبع الأصل والنديل عثر ايضا على أشياء آخر من شعره في نسخة مخطوطة من كتاب معاني الشعر لابن قتيبة وغيره فألحقها بالنديل . وقد ترجم الديوانيين الى اللغة الانكليزية وجعل لها مقدمة وفهارس للقوائد والمقطوعات والاعلام والمراجع ومعجم للمفردات الديوانيين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تنم على علم وفضل وبراعة .

وماك وصفا موجزا لقوائد ديوان الطرماح واغراضها :

القصيدة الأولى ومطلبها :

ألا أيها الليل الذي طال أصبح - يَمّ وما الاصبح فيك بأروح -

نظمها في يم من بلاد كرمان بفارس وفيها حنين الى وطنه وتشوق الى زوجه سلى وولده

(١) الديوان ص ١٦٨ (٢) الديوان ص ١٢٢ (٣) انظر مجلة المجمع ١٦ ص ٤٦

صمصامة ووصف للفلاة والذئب والناقة والقطا وفيها فخر . ومن ابداع ما فيها عاطفته نحو
زوجته وولده وخوفه من ان يموت بعيداً عنها فتتزوج على غيره فيسي معاملته ابنه
صمصامة . ولهذا القصيدة ملحنتان عشر عليهما الاستاذ كرنكو فأثبتهما في آخر الديوان .
وعدد ايات هذه القصيدة عدا الملحقين أربعة وخمسون بيتاً .

القصيدة الثانية ومطلعها :

قلّ في شط نهر واث اغتماضي ودعالي حوى الميون المراض
وهي احدى القصائد المعروفة بالملحقات المذكورة في كتاب جمهرة اشعار العرب . وعدد
أبياتها في الديوان ثلاثة وأربعون بيتاً وفيها كثير من غريب اللغة . وقد ذكر فيها
الشاعر النهران وتذكر أيام الصبا ثم قال انه تاب وأتاب ووصف الفلاة والفخر .
القصيدة الثالثة وأولها ساقط من الديوان وما بقي منها اربعة وثلاثون بيتاً
تبتدي بهذا البيت :

يمسي بعقوتها الحبحق كأنه حبشي حازقة غدا يتهدد

ولكن ناشر الديوان عشر على ملحقين لهذه القصيدة اثبتهما في آخر الديوان . وفي القصيدة
تلطف على الظاعنين ووصف الفلاة وما فيها من خشاش ونعام مع وصف ثور الوحش
وصفاً حسناً ومطاردة الكلاب له ويختتمها بالفخر وهي أقل غريباً من القصيدة
الثانية الضادية .

القصيدة الرابعة ومطلعها :

شت شعب الحى بعد الثام وشجاك اليوم ربع المقام

يفتحها كما ترى بالتلف على الراحلين وما ثيره مازلم بعدم من الحزن وبأقي فيها على
ذكر الاطلال والدمن ويعصف الظبي واه كما يعصف سفر النساء على الابل وبذكر
محاسنهن ويعصف الفلاة وما فيها من وحش وطير ثم يعصف الناقة ويشبهها بثور الوحش
ثم يسترسل بوصف هذا الثور وكيف لحقه الكلاب ثم يشبه ناقته بأتان وحشية ويسترسل
بوصفها ووصف الصياد وعدد ايات هذه القصيدة تسعة وسبعون بيتاً .

القصيدة الخامسة ومطلعها :

طال في رسم مهدٍ أبدٍ وعفا واستوى به بلدة
يفتح بالوقوف على الطلل ثم يتخلص الى نظرات في الزمان فيها حكمة وعظة متأثران
بالاسلام ثم يفتخر بالكرم والمقامرة ثم يذكر سفر أحبابه على الابل في الفلاة وان
محبوبته من أهل الخضر لامن البدو (ص: ١١٦) ثم يصف الناقة ويشبها بالنعام ويترسل
بوصف النعام ثم يصف ثور الوحش وكيف هاجته الكلاب وفيها كثير من غريب
اللفة وعدد آياتها خمسة وسبعون بيتاً .

القصيدة السادسة ومطلعها :

الا من لعين لا تحفُ سجومها تأوَّيها حاجاتها ومهمها
يفتحها بالنزل ويتخلص الى الهجاء ولكن القصيدة غير تامة لم يبق منها الا احد
عشر بيتاً .

القصيدة السابعة ومطلعها :

لمن ديار بهذا الجزع من رَّبِّـ بين الأـزّة من هوَّبان فالكشب
يفتح بذكر الاطلال ثم يفتخر وعدد آياتها خمسة وعشرون بيتاً
القصيدة الثامنة ومطلعها :

الا ان ملي عن هوانا تسلـ وبنت قوى ما بيتنا وأدلتـ
يفتح بالقرل ولا يعم ان يتخلص الى الفخر ويهجو الفرزدق ويدل بقطانته
وشآئته وهي من أحسن الشعر وعدد آياتها ستة وثلاثون بيتاً وينتهي الديوان في
النسخة المخطوطة سنة ٤٣٠

ثم يأتي الذيل الذي جمعه الناشر وفيه طائفة صالحة من شعر الطرماح بعضها
تكلمة لما سقط من قصائد الديوان وبعضها قطع مستقلة تدخل في نحو من خمس
ومتين صفحة كبيرة وبلغت النظر في الذيل قصيدة يمدح في بعض آياتها يزيد بن
المهلب مطلعها :

قفا نسل الدمن الماسحة . وهل هي ان سلت بائحة

فيها ذكر الطلل ووصف ثور الوحش وفيها كثير من الغريب ص ١٣٧ .
وأهم الاغراض التي في التنبيل ما يأتي : فخره بقحطان ص ١٤٧ ما يدل على مذهبه
ص ١٤٩ وص ١٥٧ وصف التحل ص ١٥٢ شجاعته ص ١٥٥ مدحه ليزيد بن المهلب
ص ١٥٩ وص ١٦٢ اقذاعه في الفجاء ص ١٦١ رثاؤه الحسن ص ١٦١ اسفروا الى فارس
ص ١٧٤ وص ١٧٥ فخره باليمن ص ١٧٥ اثر الاسلام ص ١٧٦ مجاؤه الموجع
ص ١٩١ وص ١٩٤ .

* * *

أمثلة من شعره

قال الطرماح يفتخر

لقد زادني حباً لنفسي انني بغيضاً الى كل امري غير طائل
واني شقي باللثام ولا ترى شقياً بهم الا كريم الشائل
اذا ما رأيت قطع الطرف دونه ودوني فقل العارف المتجامل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينه كفة حابل
أكلت امري التي اباه مقصراً معادراً لأهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت سعاة والده اضطنى ولا يضطني من شتم أهل الفضائل
وسامنت دار ولا عزاً أهلها من الناس الا بالقنا والقنابل
وقال يرثي :

ولو ان غير الموت لاقى عدباً وجدك لم يسطع له ابدأ هضاً
فتى لو بصاغ الموت صنع كمثل اذا الخيل جالت في تساجلها قدما
ولو ان موتاً كانت سالم رغبة من الناس انساناً لكان له سلا

وقال يفتخر :

لولا فوارس مذبذب ابنة مذبح والأزد زعزع واستبيع المكر

ونقطعت بهم البلاد ولم يؤب
 واستضلمت عقد الجماعة وازدري
 قوم هم قتلوا قتيبة عنوة
 بالمرج مرج الصين حيث تبينت
 فخطات تضرب رأس كل مدجج
 والأزد تعلم ان تحت لوائها
 فبعزنا نصر النبي محمد

وقال يهجو الفرزدق :

بأي بلاد تطلب العز بعدما
 اقوت تميم لابن دحمة حكمه
 وكانت تميم وسط قحطان اذ سمت
 ونجباك من اسد العراق كتائب
 بهم ينصر الله الخليفة كلما
 بهم نصر الله النبي واثبت
 افخراً تميمياً اذا فتنة خبت
 ولو خرج الدجال ينشد دينه
 فراش ضلال بالعراق وحسوة
 فأين تميم يوم تخطر بالقنا
 فخرت بيوم العقر شرقي بابل
 فخرت بيوم لم يكن لك فخره
 كفخر الاماء الراثمات عشية
 فما لقيت قتي تميم شهادة
 تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا
 أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
 بولسما هانت تميم وذلت
 وكانت اذا سيمت هو اناً اقوت
 كمقدوفة في اليم ليلاً فضلت
 لقحطان اهل الشام يوم استهلك
 رأوا نعل صنديد عن الحق زلت
 عرى عقد الاسلام حتى استمرت
 ولو ما اذا ما المشرفية سلت
 لزافت تميم حوله واحزأت
 اذا مات ميت من قريش أهلت
 كتابنا منا أظفنت وأحلت
 وقد جنت فيه تميم وقلت
 وقد نهكت منك الرماح وعلت
 برقم حدود الجي حين استقلت
 ولا صبرت للحرب حين اشمعت
 ولو سلكت طرق المكارم ضلت
 جلال الخنازي عن تميم تيمت

وقال أيضاً :

تيم تمنى الحرب مالم تلاقها وهم قصف العيدان في الحرب خورها
وتلقى تيمماً شيخها عند بابها ذليلاً وبغدى بالهوان صغيرها
ولو كان يبكي القبر من لؤم حشره بكت من تيم كل يوم قبورها

وقال :

وما خلقت تيم وزيد مناتها وضة الا بعد خلق القبائل
عراقيب ضم الذل واللؤم بينهم كما انضم شخص ٠٠٠ المتضائل
وتوعدي الأقيان من آل دارم بكل لئيم من معد وخامل
ومن يلتمس في طي تره له تكن كاثرياً من يد المتناول

وقال بهجو الفرزدق :

لا عز نصر امري امسى له فرس على تيم يريد النصر من احد
اذا دعا بشعار الازد تفرم كما ينفر صوت الليث بالنقد
لو حان ورد تيم ثم قيل لها حوض الرسول عليه الازد لم ترد
او نزّل الله وجباً ان يعذيبها ان لم تعد لقتال الازد لم تعد
وكل لؤم اباد الدهر ائله ولؤم ضبة لم ينقص ولم يبد
لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو اسد
قوم اقسام بدار الذل اولم كما أقامت عليه جنة الوند
لا تأمن تيمياً على جد قدمات مالم تزايل أعظم الجسد

ويعجبني كثيراً قوله معللاً راحة المهموم في الصبح :

الا أيها الليل الذي طال أصبح بيم وما الا صباح فيك بأروح
على ان للعينين في الصبح راحة بطرحها طرفيها كل مطرح

اتمى

فيل مردم بك

صفحات مطوية

من مخطوطات خزانة كتي كتاب « في فضل الجهاد وما يجب مراعاته على الملوك والعلماء وغيرهم » تأليف محمد بن احمد بن محمد الجاور بركة المشرقة سابقاً كما يقول وسأتولى وصف هذا الكتاب الذي لم يذكر المؤلف تاريخ وضعه وجمعه كما أن النسخ لم يشر الى تاريخ نسخه .

ويظهر ان هذه النسخة كانت لمحمد الدمشقي الحنفي الشهير بابن العطار فقد كتب بآخر صفحات الكتاب بخط يده ما يلي : « صورة كتاب وكت فيه رجلاً من غزاة باقاه الشافعية فيها عن ولدنا السيد محمد نجيب لغيابه في مصر . وقد كان الموكل قبل ذلك مفتياً فأكثر من رد المطلقات ثلاثاً بحيل شتى فلما بلغني طلبتها لولدي المذكور ووكت فيها رجلاً أصلح من المفتي الأول فتوجه الأول الى الشام ونزل في بيت مفتيها جناب السيد خليل افندي المرادي فحرر لي جناب المذكور يرجو توكيل الرجل فكتبت له ما صورته :

جناب عمدة الأفاضل الكرام اخونا الشيخ صالح التخاله سلمه الله تعالى وأبقاه غيب التحيات والتسليم يميزد أنواع العز والكرام نبدي انه اذا لك بأن تكون وكيلاً عن ولدنا السيد محمد نجيب في افتاء السادة الشافعية في غزاة المحمية بشرط ان لا نفتي بأن الطلاق الصريح يحتاج الى النية . ولا بأن الفعل المضارع لا يقع به الطلاق للحال ولا بأن الاستثناء بالقلب يكفي ولا بأن المرأة التي لا تصلي لا يقع طلاقها المعلق بصحة ايرائها اذ المسألة الأولى تغيرت بعرف الزمان والمكان وعلى العرف مبنى الطلاق والايان ولا يخطر الآن بخاطر احد قال لزوجته انت طالق الا طلاق من الوفاق الا ان كان يكون من العلماء عارفاً بالمسألة وقليل ما هم سيما في بلادكم .

وما يدين فيه الخالف عند المفتي لا يقضي به القاضي وليس للمفتي ان يأذن للقاضي بأن يقضي بما أنق في بالديانة ولو قضى به القاضي لا ينفذ .

وأما المسألة الثانية : فالجواب ان الفعل المضارع في صيغة تكوفي او تروحي طالقاً يقع به الطلاق في الحال لتعرف لأن اهل دياركم كما شاهدتهم لا يعرفون من صيغ الطلاق غير تلك الصيغة ونؤكد من أراد طلاق زوجته الى ان يقول لها انت طالق لا يجري ذلك على لسانه ولا يقول الا تكوفي طالقاً كما وقع ذلك عندي غير مرة حين اجليت بقضاء دياركم ثم باقائها . وأيضاً القرينة تمحض المضارع هنا للحال وهي قوله طالق اي مطلقة فهو اسم مفعول وحقيقته الاطلاق على من وقع عليه الفعل في الحال . وما أفقئ به المرحوم العلامة خير الدين الرملي من ان تروحي فعل مضارع ولا يقع به الطلاق في الحال بناء على ما قاله الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى فهو سهو لأن مراد المحقق ابن الهمام بالمضارع الذي لا يقع به الطلاق للحال المضارع المصوغ من مادة الطلاق كما اذا قال لها اطلقك والفرق بين الصورتين كالفرق بين الصيغتين ظاهر لا يحتاج الى تأمل . ومع ذلك فالقرينة التي ذكرناها غير موجودة في هذه الصورة بخلاف الصورة الأخرى . وما ذكره عمدة السادة الشافعية العلامة الرملي في فتاواه من هذه المسألة فهو محمول على ما قبل اشتها العرف وأيضاً يضعفه تمحض المضارع للحال بالقرينة المذكورة .

وأما المسألة الثالثة : فان الاحكام في هذا المقام تدور على الكلام . والكلام اذا لم يكن مسموحاً لا عبرة به . وأيضاً لا تعتبر النية في الطلاق والايان الا اذا احتملها اللفظ . وأما المسألة الرابعة : فقد رأيت من أفقئ بها سيف دياركم فأوقع نساء تلك البلاد فيما اعتقدن وبقرب من الكفر وذلك انهن اعتقدن بأن من تصلي تكون الصلاة سبباً لصحة وقوع طلاقها المعلق بابرائها ومن لا فلا . وهذا اعتقاد وخيم وقبح جسيم ينبغي الحذر منه ويجب على المفتي مراعاة الزمان والمكان والاشخاص . وقد نبه الفقهاء العظام على مثل هذا المرام في المستبررات من كتب الاحكام فليكن لك ذلك الاعتماد والسلام » ١٠ هـ

وأضاف الى الصورة المذكورة ما يأتي :

« مثلت في اسلامبول عن حكمة اخصاص الصديق رضي الله تعالى عنه بالامتصعاب

في سفر الهجرة دون سائر الصحابة رضي الله عنهم فأجبت : الحمد لله للصواب . لما كان الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسبب ما وقر في صدره الشريف بدلالة معنى ما ورد في ذلك والأمر الذي وقر في صدره رضي الله تعالى عنه إنما هو المعرفة الإلهية التي رجح بها إيمانه على إيمان أهل الأرض وكسبه رضي الله عنه تلك المعرفة الفاضلة عن معرفة غيره من الصحابة رضي الله عنهم إنما كان بسيره إلى الله تعالى من طريق الخفاء وذلك باستعمال الذكر الخفي ومشاهدته بالبصيرة تجليات الحق تعالى في الظاهر ومشاهدة البصيرة أمر خفي عن الحواس الظاهرة وعن جميع الناس والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بدأ لسيرهم إلى الله تعالى من حيث الباطن وكثيراً إلى الخلق من حيث الظاهر والتي صلى الله عليه وسلم لما أراد السير مهاجراً من مكة المشرقة إلى المدينة المنورة على طريق الاختفاء ناسب استصحاب من كان خيره إلى الله تعالى من طريق الخفاء ليتطابق المسيران ويتوافق الرفيقان ولهذا كان اختفاؤهما في الغار عن أعين المشركين في باطن الغار إشارة إلى ذلك التطابق وإطلاع سراقه^(١) رضي الله تعالى عنه عليها دون غيره فلخاصة في اسمه اذ هو مأخوذ من السرقة والخفية من مفهومها فبذلك انكشف له اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله تعالى عنه فتأمل بهذا السر العجيب والأمر الغريب تعجباً والله أعلم . وكتبه الفقير إلى عفو ربه التار محمد الدمشقي الحسيني ابن العطار خادم الكعبة والآثار .

ويظهر من صورة الكتاب الحرر بعاليه والتعليق الذي أضيف إليه ان الشيخ محمداً العطار من علماء دمشق المعروفين وانه ولي القضاء والافتاء في فلسطين حين كانت تابعة لملاية الشام اوسورية باصطلاح العثمانيين . الا ان المرادي الذي كتب إلى العطار يطلب منه توكيل الشيخ صالح النخالة بافتاء غزوة لم يترجم له في كتابه ملك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر . وقد يرد على البال او يخطر بالخطر ان يكون العطار قد عاش بقية القرن الثاني عشر ودخل في الثالث عشر فلم يترجم له المرادي الا

(١) سراقه بن مالك بن جنم بن مالك بن عمرو بن كنانة السلمى هو الذي تبع اثر الرسول ليدل عليه ويأخذ الدية من قبره ثم تركه بعدما ادركه .

ان العطار قد توفي في ٢ شعبان سنة ١١٧٦ كما دوت ذلك حفيده محمد العطار في تعاليقه على رحلته الموسومة برحلة العطار الشامي الذي ابتدأها في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ من بيت المقدس وقصد الى استانبول عاصمة الملك العثماني فقد قال في بعض تعليقاته « انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جد النقيز في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ » . اهـ ووجود صفة السيد في كلام الحفيد تثبت ان الجد من الاشراف كما وقع بذيل تعليقاته .

ومما يستغرب حقاً ان يبطل المرادي شأن محمد العطار الجد فلا يترجم له ثم يشير الى محمد العطار الحفيد في ترجمته للشيخ عبد الوهاب تلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة جور ليلي علي باشا بالاستانة حيث قال :^(١) ان أبناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك اسم السيد محمد العطار النمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وأرسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي^(٢) فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء في أولها :

أيا فاضلاً حاز البراعة بالقلب وصاغ فنوناً في البلاغة كالقبر
وفاق بنظم الشعر سحبان وائل وقس أبادي في القريض على القرب
نظمت عقود الدر في ممطرقة ولدتها جيد الخرائد من عرب
ولا عجب اذ أنت في الفضل سيد كجد لذي التحقيق في الشرق والغرب
أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً من الشام من أرض مقدسة الترب

الى آخر القصيدة .

لذلك نرجح ان المرادي أراد اغفال ترجمة العطار قصداً بسبب المنافسة ذلك الداء الويل الذي يتفشي عادة بين الأقران في كل زمان ومكان رحمة الله تعالى عليهم جميعاً .

عبد الله مخلص

(١) ملك الدر في أعيان القرن الثاني عشر جزء ٢ صفحة ١٤٤ وفيه ان الشيخ ابراهيم الحلبي شرح ذلك الغزوه في (سير) في رسالة (٢) ترجمة الشيخ ابراهيم المذكور في ملك الدر ج ١ ص ٣٧ - ٣٩ وفيها انه من الساماء المحتين .

اقتراء ابن بطوطة

على ابن تيمية

ذكرني ما جاء في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي في ص ١٩١ من قول رئيسه عن كتاب تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية تأليف صديقنا السيد هنري لاوست . نقد مؤلف هذا الكتاب الى تاريخ شيخ الاسلام ابن تيمية وغاص كما يفرض العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام الخ . ان بعض من ينتقده ويظمن في عقيدته ويقول انه يذهب الى القول بالجهة يستند الى ما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته (في ص ٥٧) « وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة نقي الدين ابن تيمية كبير الشأن ويتكلم في الفنون الا ان في عقله شيئاً وكان اهل دمشق يعظمونه اشد التعظيم ويعظمهم على المنبر (الى ان قال) وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكركم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كترولي هذا وتزل درجة من درج المنبر » .

وقد تبين لي بعد البحث والتدقيق ولا اعلم احداً تنبه لذلك قبل الآن ^(١) ان هذه القصة من وضع ابن بطوطة وانها محض اقتراء على شيخ الاسلام ابن تيمية واليك البيان قد ذكر ابن بطوطة نفسه في ص ٥٠ من رحلته انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين (وسبعمائة) وتزل بالمدرسة المالكية المعروفة بالشرابية .

وقد جاء في الدر المنتخب في تاريخ حلب للقاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية ^(٢) في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه بعد كلام طويل . « وهذا الشأن عليه وكان

(١) كتب في هذا الموضوع الاستاذ الشيخ محمد بهجة اليطار في مجلة دمشق ج ١٠ ص ٣

(٢) من مخطوطات مكتبة المدرسة الاحمدية بحلب وقد تكلمت عليه في الجزء الرابع من المجلد السادس

عشر (ص ١٨٢) .

عمره نحو الثلاثين سنة ثم جرت له محن بسبب فتواه في مسألة الطلاق الثلاثة وشد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين اوجبت القيام عليه وحبس مرات بالقاهرة والاسكندرية ودمشق وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق وحصل له في بعضها تعظيم زائد من السلطان وآخر الأمر ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ست وعشرين يجعله في القلعة فجعل في قاعة حسنة واجري اليها الماء الخ ثم قال في آخر ترجمته توفي معتقلاً ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وقال ابن شاكر الكتيبي في تاريخه فوات الوفيات في أواخر ترجمة ابن تيمية مانصه : « وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين يجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء وأقام فيها ومعه أخوه ^(١) يخدمه (الى ان قال) واقبل (وهو بالحبس) على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين فلم ينجأ الناس الا نعيه وما علموا بمرضه (ثم قال) وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .»

فقد اتفق هذان المؤرخان على انه اعتقل في شعبان سنة ٢٦ وظل معتقلاً الى ان أتاه اليقين وابن بطوطة يقول انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان وانه سمعه يوم الجمعة العاشر منه يقول ما قلنا ذكره عنه مع أنه باتفاق المؤرخين كان في شهر شعبان معتقلاً فكيف سمعه وهو معتقل وقتئذ . هذا ولا ريب محض اقتراء . ويؤيد قولنا ان هذه القصة مفتراة من ابن بطوطة ما قاله الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته (ج ٤ ص ٨٠) « قال شيخنا ابو البركات ابن البليقي حدثنا بنرائب مما رآه فمن ذلك انه زعم انه دخل القسطنطينية فرأى في كنيستها اثني عشر الف اسقف وقرأت بخط ابن مرزوق ان لبا عبد الله بن جزى تمقها وحررها بأمر السلطان ابي عنان وكان البليقي رساء بالكذب فبراه ابن مرزوق وقال انه بقي الى سنة سبعين ومات .»

(١) أخوه الذي حبس معه معه عبد الرحمن وترجمته في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٢٩)

والقاعدة عند علماء الحديث وأصوله ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والجرح
مقدم على التعديل فتبين بهذه القول التاريخية وبما ذكره الحافظ ابن حجر ان هذه
القصة مكذوبة على ابن تيمية وانه يري منها .

وقد ظنرت في مجموع مخطوط بقصيدة من نظم شيخ الاسلام ابن تيمية تعرب
عن عقيدته فأجبت ذكرها هنا وهي :

ياسائلي عن مذهبي وعقيدتي	رُزق الهدى من الهداية يسأل
اسمع مقال محقق لا ينثني	عن قوله يوماً ولا يتحول
حب الصحابة مذهبي لي مذهب	ومودة القرى بها أنومل
ولكلهم قدم علي وفضائل	لكننا الصديق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به	آياته فهو القديم المنزل
وصحيح أخبار الصنات أمرتها	حقاً كما ذكر الطراز الأول
وارد عهدتها الى تقالها	وأصونها عن كل ما يتجمل
واقول قال الله جل جلاله	والمصطفى الهادي ولا تناول
فبحاً لمن نبذ القرآن وراءه	واذا استدله يقول قال الأخطل ^(١)
واقر بالميزان والحوض الذي	أرجو بأنني منه رباً انهل
وكذا الصراط على جهنم مده	فسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلها الشقي بحكمة	وكذا التقى الى الجنات سيدخل
والمؤمنون يرون حقاً ديبهم	والى السماء بغير كيف ينزل
ولكل حي عامل في قبره	عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك	وابي حنيفة ثم احمد بنقل
فان اتبعت سبيلهم فموفق	وان ابتدعت فما عليك معول

محمد رغب الطباخ

(١) اشارة الى البيت المشهور المنسوب الى الاخطل وهو

ان الكلام لابي القزاد وانما جل السال على القزاد دليلا

عشائر الشام^(١)

- ٢ -

تاريخ البدو . - نشأت العشائر في الطبقات الثلاث المذكورة المنتشرة في بوادي العراق والشام ومصر وأريافها من أواسط الجزيرة العربية « الحجاز ونجد » وكانت تهاجر على هيئة موجات تتابع ورودها منذ مئات السنين ولا تزال حتى يومنا هذا . وتعزى هذه الهجرات الى انه في كل قرن او قرنين يزداد عدد سكان تلك الاواسط وتضيق بوفرة مواليدها فتصير مواردها ومعاظنها غير كافية لسد الحاجة ، او تأتي أعوام قحط جائحة او يحدث قن شعواء بين أولئك السكان فتضطر موجة منها الى ان تنزع وتزحف نحو الشمال وتفتش عن بقاع اوسع ونياف أوسع ، فلا تجد ذلك الا في اطراف الاقطار المذكورة . فالموجة القادمة اذا وجدت أمامها عشيرةً سبقتها في الهجرة تسعى لدفعها واحتلال مكانها بالقوة والغلبة . فاذا ظفرت تضطر السابقة المغلوبة الى مزاحمة الاسبق والاضعف منها ، وهكذا يزعم المتأخر المتقدم والقوي الضيف كل سيف نوبته وينازعه على منزله ومرتمه . وعيننا يحرم المغلوب مجال النجعة يترك دعي الابل ان كان من الطبقة الاولى وينصرف لرعي الغنم فيصير من أهل الطبقة الثانية ، ثم اذا ازداد الفئط وضائق المراعي القريبة يترك الغنم وينصرف الى الحرث والزرع فيصير من أهل الطبقة الثالثة ، ومن هذه يتدرج الى التحضر والاستقرار التامين .

وقد ذكر المؤرخون ان البدو كانوا يقدون الى الشام (بلاد الخمر والخمير والدياج والحريز) منذ القرن الأول للميلاد وان أقدم من عرف من قبائلهم الوافدة الى شماله هم التتوخيون والى وسطه الضجاعم من سليح وهم بطن من قضاة . ولم يزل هؤلاء سادة بوادي الشام حتى جاء الفساسة في أواخر القرن الرابع الميلادي واستظهروا

(١) انظر مجلة المجمع ١٦ ص ٢٦٢

على الفجاعم وعظم شأنهم وحالفوا الرومان وصاروا عمالهم على أبناء قومهم ان عرب
الضاربين في تلك البوادي كما كان التخميون المناذرة حلفاء الفرس وعمالهم على
عرب بوادي العراق ولم يأت القرن السادس للميلاد حتى وصلت القبائل العربية
شمالاً إلى الجزيرة القراتية واستقرت فيها على نحو ما عملته ربيعة ومضر وبكر
فسميت تلك الديار باسمها حتى الآن ولا فتح المسلمون الشام وجدوا فيه من القبائل
العربية المنتصرة قبائل ظم وجذام وكب وعاملة وبهراء وغان وتبوخ وتغلب .

وقد زادت هجرات القبائل بعد الفتح الاسلامي إلى العراق والشام ومصر
وانتشرت في هذه الأقطار . وإذا كان بحثنا منحصرًا في اعراب الشام نقول ان قسماً
من تلك القبائل تدير وقتئذ بعض بقاع الشام واختلط بالشعوب الشامية القديمة
فادمجها في قوميتها وانطقها بلسانها ومن لم يتحضر وفضل عيش البداوة ظل يضرب
في بوادي الشام وأريافه ويشترك في أحداثه وكوارثه شيئاً تارة ومحسناً أخرى
وقد ذكر المؤرخون أسماء بعض من كان من هؤلاء خلال القرون الثلاثة الأولى
في عهد الأمويين والعباسيين كبني كلاب وبني القين وبني غنم وبني عقيل وبني مخزوم
كما ظلوا يذكرون من حين إلى آخر في سياق الأخبار أسماء بعض الرجال من
القبائل المنتصرة المذكورة وقد أسلم معظمها بعدئذ واشترك في الفتح .

ثم عظم شأن بعض هذه القبائل وأسس دويلات في زمن ضعف الخلفاء العباسيين
والفاطميين . وكان أشهرهم بني حمدان التخليين في حلب . وقد عد ابن خلدون
من القبائل التي كانت منتشرة في القرن الرابع ما بين الشام والجزيرة بني طي وبني
كلاب وبني كعب وبني العجلان وبني عقيل وبني قشير « كانوا كالرعايا لبني
حمدان أصحاب حلب يؤدون إليهم الاتاوات وينفرون معهم في الغزوات » . وقد
شق بعض هؤلاء عصا الطاعة على سيف الدولة بن حمدان وعاثوا في أعماله وهو
بداريهم لاشتغاله بحروب الروم وهم يتشرون شأن البدو كما رأوا انشغال ذوي
السلطان عنهم أو ضعفهم ولما عيل صبره منهم هاجمهم وأوقع بهم في مروج سلبية

ثم لحق بهم إلى القرقل والفتن والجياة « ثلاث قرى في سيف بادية حمص »
وإلى تدمر وأرك والسحنة فبدد شلم وردم آبارهم حتى استأمنوا وبذلوا له طاعتهم
والمتني الشاعر قصيدة رائعة في وصف هذه المواقع مطلعها : « ضوال قنأ تطاعنها
فصار » - وله قصيدة أخرى يشفع يني كلاب في موقعة أخرى في نواحي بالس
« شرقي حلب على الفرات » مطلعها : « بغيرك راعياً عبث الدئاب » -

ويظهر أن اعراض اخلفاء المباسين والفاطمين عن بني قومهم العرب وخوفهم
من عصيتهم وشدة شكيتهم واستخدامهم الترك والديلم في جيوشهم ومناصب دولتهم
قد فت سيف عضد العرب عامة والبدو خاصة وأبعدهم عن المساهمة في الامرة
والقيادة وصرف القبائل نحو البادية وخشوتها وجعلهم يشردون ويحتجون الحكم
والسيطرة في بعض الأماكن والأزمان كما احتلوا القر - فقد استغل أمر القبائل
عند فشل دولة بني حمدان في القرن الخامس وتقاسموا مناطق السيطرة في الشام .
فكان شماله من حصه بني مرداس الكلايين ووسطه لبني عليان الكلبيين وجنوبه
لبن الجراح الطائيين ، ثم ورث بنو عقيل ملك الشمال من بني مرداس إلى أن
نقى عليهم السلجوقيون فانتهت بهم سيادة العرب الحضري في مدن الشام .
أما بقية القبائل التي ظلت بادية فقد ضعف شأنها وخمل ذكرها فمنها من
ظل يضرب في فياقي الجزيرة العربية ومنها من اندمج في بني طي لما عظم شأنهم
في شمالي الشام وصاروا رؤساء البادية .

ويظهر أنه كان في عهود الدول الإسلامية الفايضة رئاسة عليا على بادية الشام
باسم (أمير عرب الشام) ونالها بعض باسم (ملك العرب) ، وكانت هذه الوظيفة
وكذلك إمارات بقية العشائر توجه بمراسيم شريفة ، ذكر القلقشندي في صبح
الأعشى عدة نماذج منها ، وكان يطلب من أصحابها أن يقوموا بحفظ السابلة أيام السلم
ويعينوا أعرايهم من الميث والنهب وأن يتأهبوا للجهاد ويعاونوا العساكر السلطانية أيام
الحرب وأن لا يفارقوا البلاد ولا ينجموا (حتى يعبس في وجهها السحاب ، ولا
يعودوا حتى تؤذن زروعها المخيمة بنهاب) إلى آخر ما هنالك من الأوامر والقيود .

وهذا يدل على أن قبائل البدو في عهد الملوك الايوبيين والسلاطين المماليك كانت - على خلاف عهد العثمانيين التي أهملت فيه - متقيدة بتقاليد ومكثفة بواجبات إدارية وحرية تكافأ إذا برت بها وتعاقب إذا خثرت .

وصارت الرياسة في طيئ إلى بني ربيعة . قالوا : وكان ربيعة أمير عرب الشام في القرن السادس في عهد الأتابك طغتكين ، ثم خلفه في الإمارة ابنه مرء بن ربيعة الذي ذكر له أبو الفداء (ج ٢ ص ٢٤٣) معركة مع الصليبيين انتصر عليهم فيها . ثم انقسم آل ربيعة إلى ثلاثة أغخاذ ، ولكل من الثلاثة أمير مختص به وهم آل فضل بن ربيعة وآل مرء بن ربيعة وهو أخو فضل وآل علي بن حديثة بن عقبة بن فضل وكانت منازل آل فضل في الشمال من حمص إلى وادي الفرات وأطراف العراق ومنازل آل مرء في حوران والجولان ومنازل آل علي في مرج دمشق وغوطتها ولكل من الثلاثة لواحق من أفريق الأعراب في تلك الأزمان . أما المئزلة الكبرى والرئاسة العليا فقد كانت في يد آل فضل وهم كما قال القلقشندي (اتصلوا برجال السلطنة فولوهم على أحياء العرب واقطعوا على إصلاح السابلة بين الشام والعراق فاستظهروا برباستهم على آل مرء وغلبيهم على المشائي ٠٠٠ الخ) .

وفي زمن الملك العادل أبي بكر كانت الأمرة على اعراب بادية الشام في يد أحد أمراء آل فضل واسمه مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ولما توفي مانع سنة ٦٣٠ ولي عليهم ابنه معنا فحضر هذا مع المظفر قطز قتال جيش التتار سنة ٦٥٨ في عين جالوت (غور يسان) فأجازه قطز بسلامة نزعها من الملك المنصور بن الملك المظفر التتوي الأيوبي صاحب حماة وأقطعها له (أبو الفداء ج ٣ ص ٢١٤) ، ثم ولي الملك الظاهر يبرس ابنه عيسى ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة . وعيسى هذا على ما ذكره ابن أبياس في تاريخه (ج ١ ص ١٠٢) هو الذي جاء بإبلاؤام أحمد الباسي بعد حادثة هولاكو في بغداد وكان مختبئاً عند أناس من قبيلة وأوصله إلى مصر إلى الملك الظاهر يبرس وشهد هو وقومه أنه من نسل الباسيين فبيع له بالخلافة واستمرت هذه الخلافة الشكيلة فيه

وأعقابه إلى أن استخلصها منهم السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ هـ . وقد كانت لعيسى هذا منزلة عظيمة عند الملك الظاهر يبرس ثم تضاغت عند الملك المنصور قلاوون وسماء ملك العرب وزاد في إقطاعه حسن سيرته ولأنه في وقعة الملك المنصور مع التار بمحصر سنة ٦٨٠ جاء وقت الوقعة بعربه من سلمية واعترض التار من خلفهم فقتل حزيمة التار به . ولعل عيسى هذا هو الذي قال عنه كاتب جلبي المتوفى في سنة ١٠٦٨ في جغرافيته (جهان نما) انه كان في هذه المعركة العظيمة حاملاً ريشة على رأسه فلقب بأبي ريشة وأنه هو الذي نال من الملك المنصور قلاوون عطاءً عظيماً فاشترى به عبيداً وممالك اعتقوا بعد حين ودعوا بالموالي وبقيت أعقابهم إلى يومنا هذا ملتفة حول هؤلاء الأمراء آل أبي ريشة وانضم إليهم بعد عدد من شذاذ الأعراب اندمجوا في لنيفم وحلفهم . فكان من مجموعهم (عشيرة الموالي) المستقرة في قضاء المرة .

وبعد أن توفي الأمير عيسى ودفن في مقبرة الشيخ فرج شمالي سلمية على ما جاء في شذرات الذهب (ج ٦ ص ٢٢) انقسم آل فضل إلى عدة أفخاذ أشهرها فخذ عيسى المذكور ، ولي الملك المنصور قلاوون من اولاده معنا في الامارة فصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماة وتدمر بل امير بوادي الشام والعراق كلها . وقد ردد ابو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما والمقريري في خططه ما كان للأمير منها بن عيسى في اواخر القرن السابع وأوائل الثامن من المكانة لدى سلاطين مصر ونوابهم في الشام وذكروا تدخله في بعض أمور الدولة ، وإن من حسناته شفاعته للإمام احمد بن تيمية وصيه لإخراجه من سجنه في قلعة مصر ثم التماسه نصب ابي الفداء ملكاً على حماة ، وعدوا من سيئاته وثباته وغاراته العديدة وانحيازهم إلى ملوك العراق المغوليين . ثم فصل المؤرخون الخراب والدمار اللذين أتى بهما اولاده (آل منها) وأولاد اخوته واعقابهم في القرن الثامن مما أدى لخراب سلمية واعمال حماة والمرة وحلب وكان له أثر كبير في تاريخ تلك الحقبة وما بعدها .

وكان حيار أحد أبناء مهنا بن عيسى المذكور - وهو من لقيهم الرحالة ابن بطوطة في طريقه إلى الحج وضبط اسمه بالحاء المهملة - تقلد أمانة البادية مدة ثم أورثها لأبنائه وأعقبه فعلا اسم آل الحيار ونخل اسم غيرهم من أبناء عمومتهم آل مهنا أو آل عيسى أو آل الفضل ، شأن العشائر التي تتبدل أسماءها في كل قرن أو قرنين تبعاً للتأمر عليها ، وقد تسمى باسم أميرها أو شيخها ثم باسم كل من أبنائه بعد وفاة الأب إذا انفصلت عن الأرومة وتفرعت كما جرى بآل فضل وآل عيسى المذكورين .

وقد ظلت الأمانة في يد آل الحيار طوال القرنين التاسع والعاشر وكان لهم سلطان على العشائر ، وقد ترجمهم القلقشندي في صبح الأعشى وابن تغري بردي في المنهل العائفي إلى أن ظهر في القرن الحادي عشر اسم آل أبي ريشة من فرق الحياريين ثم ظهر اسم الموالي . وقد وصل بعض المؤرخين كحيدر الشهابي والحلي والمرادي وكاتب جلي ونعيم الحلي سلسلة أمراء الموالي الحاضرين والمعروفين الآن باسم آل أبي ريشة بالحياريين . واذت يكون هؤلاء الأمراء من أعقاب حيار بن مهنا بن عيسى آل الفضل الربيعي الطائي ، لا كما يزعمون ويؤمن لهم بعضهم أنهم من نسل العباسيين . ومثلهم في هذا الزعم أمراء عشيرة الفضل في الجولان فهم من أعقاب (آل فضل) المذكورين ، لا من العباسيين وقد احتفظوا فيما يظهر باسم الجد الأعلى بعد أن تزحوا من أنحاء سلمية وفارقوا أبناء عمومتهم ونديروا الجولان منذ قرون .

هذا وآخر المهجرات البدوية الكبيرة من أنحاء نجد نحو العراق والشام هي هجرة قبائل شمر في أواسط القرن الحادي عشر ، ثم هجرة قبائل عنزة في أواسط القرن الثاني عشر .

أصناف البدو . - إن العنصر الأول في المجتمع البدوي هو (البيت) ويعنون به العائلة . فالبيت يتألف من الرجل وامرأته وأولادهما العزب . لأن الولد إذا تزوج يضرب لنفسه خيمة جديدة على مقربة من أبويه أبيه أنه

يؤسس بيتاً حديثاً يسمى باسمه . والمائلات أو البيوت القريب بعضها من بعض تؤلف (الآل) أو (الرهط) مثل آل المشهور من فئدة الشعلان في الرولة ومثل آل مهيد من فئدة المانع في الفدعان . وتجتمع الأرهاط فتؤلف (الفرقة) أو (الفئدة) وجمعها فرق أو أفناد مثل فئدة الشعلان وفئدة المانع المذكورتين . والفئدة في الأصل عدة أرهاط من جد قريب لا يكاد يتجاوز الخامس في الغالب . وتجتمع الأفناد فتكون (العشيرة) أو (الفخذ) مثل عشيرة الرولة وعشيرة الفدعان في عنزة . وتجتمع العشائر فتكون (الوطن) أو (الضنا) مثل ضنا ملم وضنا بشر في عنزة . وتجتمع البطون فتؤلف (القبيلة) مثل شمر وعنزة . وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيرة قبيلة . ويزعم رواة البدو أن القبيلة إنما تنشأ من جد عام يورث اسمه إلى قبيلته كبني صخر وبني خالد وغيرهم . والعشيرة تعرف بشيخ واحد . على أن اعترافها لا يتجاوز القضايا العامة . وعدد بيوت العشيرة يختلف كثيراً . فقد يكون التي بيت أو ثلاثة آلاف بيت كما هو الحال في الرولة والاسبعة ، وقد يهبط هذا العدد إلى مئة وربما إلى خمسين كما هو الحال في بعض عشائر الطبقة الثالثة . وكلمة ضنا اختصت بقبيلة عنزة دون غيرها وقد رتبنا العشائر ووصفناها بحسب المناطق الجغرافية في الشام فبدأنا بأمناء دمشق وانتهينا بأمناء الجزيرة . الشيخة وشروطها . — ويكون على رأس كل عشيرة رئيس يدعى شيخاً . وقد يكون هذا صغير السن دون العشرين ولا يرث ابن الشيخ الشيخة إذا لم تتوفر فيه الشروط . ولا ينال هذه إلا من كان أزكى رجال العشيرة وأكثرهم معرفة وبلاغة وأفرسهم يوم النزال واغنامهم بالرزق والمال وأبسطهم يداً بالكرم وإقراء الضيف وأوفرهم بعدد الأقارب والأنباء . وتشمل سلطة الشيخ إعلان الحرب أو عقد الصلح بعد أخذ رأي شيوخ العشيرة والأمر بالرحيل أو النزول حين التجمعة والظمن وحل الخلافات والمنازعات التي لا تحتاج لمراجعة القاضي (العارفة) وإدانة الوثام والألفة بين أبناء العشيرة واسترداد الأشياء المسلوقة وحماية الضعفاء والمرافقة على عقود الزواج والطلاق وسلطة الشيخ مما كانت بعيدة المدى ليست مطلقة بل محدودة بحقوق الملكية الشخصية .

طاغور شاعر الهند

لو أن نبياً من أنبياء العصور الأول قد حلَّ في هذه الأرض في عصرنا المتأخر ، ما اختار من بقاع المعمورة موطنًا لقديه غير هذا الشرق الذي لا يزال مبعث السحر ومصدر الروحانية والإيمان ، وما تقمص شكلاً إلا جسد طاغور بطلته المهيبة ، وملاحمه الوداعة الرزينة ، وشعره المتهدل ، ولحيته الكثة ، وعينه الواسعتين اللتين تشعان يبرقي غريب يغمر النفوس خشوعاً ويستهوِي الألباب .

ذاك رابندرانات طاغور شاعر الهند الأكبر الذي أدركته منيته في اليوم السابع من شهر آب في كلكتة من أعمال البنغال ، وكانت هذه المدينة تقسها قد شهدت مولده منذ ثمانين سنة في اليوم السادس من أيار سنة ١٨٦١ .

نشأ الفتى طاغور في كنف أميرة جمعت الجاه واليسار إلى العلم وحب الإصلاح فكان جده وأبوه من زعماء البراهمة الذين إدركوا جمود الهندكية فسعوا جهدهم لتهدئتها وإيراز لبابها دون قسورها واعادتها إلى ينبوع الصافي الذي تمحدرت منه .

وقد ملكت هذه النزعة الإصلاحية مشاعر الصبي النابغة ، كما أشربت نفسه مبادئ الصوفية البرهمية التي تقدر مظاهر الطبيعة وتدمج الكون بالقوة المبدعة العظمى .

وكيف لا تكون هذه العقيدة المنتزعة من صميم الروح الهندية جبلة في هذا الفتى المتحدّر من أعرق الأرومات البرهمية ، وهو قد درج في هذه البيئة التي توحى بالعظمة والخشوع وتجذب الخلق نحو الخالق ، في هذه الأراضي المترامية الأطراف ، الطاخة بالمياه النيرة المتدفقة ، المتعوجة بالألوان الزاهية الخلابة ، الخاضعة لعناصر الطبيعة الهوج من مطر وابل وحر لافح ، الزاهرة بالحياة النباتية والحيوانية . الوافرة ؟

شد الفتى طاغور رحاله إلى الربوع الانكليزية لينهل من علومها وعمره لا يتجاوز الستة عشر ربيعاً ، لكنه لم يصبر على دراسة القانون فيها كما أريد على ذلك ، بل اكتفى باتقان لنتها والتزود من أدبها . ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث أكب على

البحر في علوم الهند وآدابها ، وأخذ يكتب وينظم ، فلم يلبث أن ابتكر لنفسه طريقة في الشعر طريقة اقتبسها من صميم البرهمية وأسبغ عليها من روحه صفة خاصة ميزتها وحييتها إلى النفوس . ونُس في سنة ١٩٠١ مدرسة على مقربة من كلكتة أطلق عليها اسم « مفتي السلام » تخرج الفش البنغالي على أسلوب جديد يقرب بين الماديات والروحيات ويجمع العمل إلى نزعات التصوف والتأمل . وكانت حياة الشاعر بعد ذلك ملأى زخرفة ، فوضع التأليف والدواوين العديدة ، وجاب أنحاء أوربة وأميركة والمشرقين . وقد نقلت أشعاره إلى الانكليزية وسواها من اللغات الحية ، فافتن العالم الغربي الغارق في حضارته المادية بهذه الأناشيد الروحية الساذجة المنبعثة من أعماق الشرق البعيد . وطبقت شهرة قائمها الآفاق وخلعت عليه القاب العلم والشرف ومنح جائزة نوبل العالمية للأدب ، وهي جائزة لم ينلها من الأدباء الشرقيين سواه .

وقد زار طاغور بخداد في شهر أيار ١٩٣٢ بدعوة من الملك فيصل الأول طيب الله ثراه ، فأتبع لي شرف التعرف به والتحدث إليه ، إذا تحددت لاستقباله بالنيابة عن وزارة الخارجية ، واجتمعت به أثناء مكوثه في العاصمة العراقية مرات . احتفت عاصمة الرشيد بشاعر الهند أيما احتفاء ، وأقامت له المآدب والحفلات وكان شاعر العراق المرحوم جميل الزهاوي على رأس اللجنة التي تولت إكرام وفادته ، فكان اجتماع الشعراء مثيراً لأرق الشعراء في تقسيما على الرغم من اقتارهما إلى أداة التفاهم اللسانية . وإذا كانت مأدبة عاهل العراق العظيم لضيئه الشاعر قد رمزت إلى جلال الملك وكرامة القريض ، فإن حفلة أدباء العاصمة في مساء ٢٢ أيار قد مثلت تكريم مدينة السلام للشعر والأدب في شخص هذا الشاعر الزائر . ولقد ظفر شهود تلك الحفلة برؤية شاعر الهند وشاعر العرب مجتمعين إلى مائدة واحدة وسماعهما ينشدان قصيدتهما كل بلسانه المختار . وأي يون بين هذين الشينين الملهمين ، التين بروحيهما ، المتشابهين بشعرهما المسترسل المشغل شيباً ، لقد مثل الأول الوقار والزانة ، فوقف يلقي شعره وكأنه قد غلب روحاً

وجسماً في مناجاته حتى لم يبد حراكاً ، وانبعث صوته من قرار ذاته هادي ،
النبرات ، رتيب النغمات ، رقيق الخلجات . اما شاعر العراق فمثل الطموح والاندفاع
فانطلق جسده المبلى بالشلل في حركات متدافعة متعاقبة ، وارتفعت عقيرته
بصرخات ساميات يضبطها إيقاع الوزن ورنين القافية . ولئن كان الشيخ الهندي قد
رمن بسكونه الى وقار الشرق اخائمه وحكمته ، فقد كان الشيخ العراقي رمزاً الى
اعتناق الشرق المثوب واشتياقه الى النهضة والحياة .

إن العراق قد عرف لشاعر الهند قدره كما عرفه له العالم الغربي . ولعلنا
تساءل عن السر في هذا التقدير الاوربي والأميركي للنبوغ الشرقي ، فجدد بنا
أن نعلم أن الهند تكبر طاغورها وتعظم شأنه لعوامل تختلف اختلافاً بيناً عن
تلك التي تحدد الغرب إلى اكباره والاعجاب به : فالهند تحترم شاعرها قبل كل
شيء لمنزله في العالم المتحضر ، كما تكبر فيه نزعة الاصلاحية . فهو قد رمى في
القول والعمل الى تهذيب الشوائب العالقة بالبرهمية التي يدين بها القسم الأكبر
من الهنود ، ورفع مستوى الحياة الشعبية واتخاذها مما ينجم عليها من جهل وخمول ،
وازالة الفوارق التي تباعد بين الطبقات الهندية فتجور على أدناها وتشل الحياة القومية
والوطنية . وقد حاول هذا الشاعر الفيلسوف ان يطلق دين آباءه وأجداده من
قيود التمسك والجمود ، وان يتزع به نزعة جديدة تفسح لأتباعه مجال الاخذ
بالحضارة العملية الحديثة وتسمو بهم في الوقت نفسه إلى مراقي التأمل الروحي
والانطلاق الفكري . وحاول هذا الشاعر العامل بعد ذلك أن يحسن معيشة
أبناء وطنه من حيث الصحة والعلم والرفاهية ، ليقضي على الآفات التي تنخر جسم
الأمة من مرض وجهل وبؤس مدقع ، فعرف له أبناء وطنه هذه المنة ، وترنموا
بشعره الذي يعرب عن هذه الرغبات الاصلاحية الجياشة وينصح عن سعادة النفس
بالطبيعة الساذجة ، الراضية بوداعتها ، المطمئنة الى الحياة .

أما الغرب المسحور بطاغور فقد أخذ يترانيم غير مألوقة غمرت اجواءه بفيض

من الهدوء والسكينة في وسط هذا العالم المضطرب ، المصطبغ ، الملاحط الأمواج .
ولعلّ النعمة التي خلب بها القرب لم تكن من ابداع طاغور وانت أوقعها على
قيثارته : فهذه النعمة تمت الى الصوفية البرهمية بسبب وثيق ، وقد انتزعها الشاعر
الهندي من آيات دينه القديم ، واستلهمها من خواج روحه الثملة ، فكساها حلا
قشيرة زاهية تقرب من أذهان الغريبين المعاصرين وتنجب الى تقوسهم النظامية .
إن البرهمية دين قديم قطورت عقائده وشعائره على مرّ الأزمان ، وقد أله
مند أحقاب بعيدة قوى الطبيعة الخارقة متشخصة في كائنات سليمة تشرف من عليائها
على هذا الكون الذي اقتطعت من ذاتها المعبودة وبسطت عليه أجنحة هيمنتها
وسلطانها . واذا كان الدين الهندي قد قسم أشياعه الى طبقات عالية وسافلة ،
فإنه قد خصّ اعلاها مرتبة — وهي طبقة البراهمة — برفعة كان لزاماً أن تنزع
بها الى مثل أعلى ، وزيكته التسامي بالنفس وكبح جماح أهوائها والتبحر في المعرفة
الاولية بالدرس والتأمل والتقص ، وغايته تطهير النفس من ادرانها والافتلات من
قيود المادة والفناء في الذات الصمدانية . وقد وعد المختارون الاقلون الذين يبلغون
في هذا المسلك مرتبة الكمال بالتحور من العودة الجسمانية الى الحياة الدنيا وفاناً
لمبدأ التناسخ ، والاندماج بالكون الأعظم حالما ينطلقون من أسر الجسد الفاني .
وقد انتزع طاغور فلسفته وتصوره من هذه العقائد بعد تعديل وتنقيح ،
وامتطاع أن يصبّ تلك الفلسفة وهذا التصوف في الحان عذبة ساذجة أخاذة .
فتغنى بشوق الخلق الضعيف الى المبدع الأعظم ، وظمأ الى استكناه الحقيقة
الازلية ، ونزوعه الى الانطلاق من عقال المادة التي تربطه بالحفيض الأوهـد
والسر الى عالم الروح الخالص حيث النشوة الخالدة والسعادة السرمدية . وأنصح
الشاعر في أغاريده أيضاً عن العواطف الجائشة بين جوانح الانسي الواهن ،
من حب وبغض ورغبة ورهبة وطموح وقصور وشك وبقين وحيرة وطمأنينة وشقاء
وهناة ، ووصف الطبيعة في حالها من الحركة والكون ، حين تغطرب بتناصرها

وهوامها وطيرها وحيوانها أو حين يخشاها هدوء الوجود الاعظم فتملكها
الدعة واخشوع ...

لكن شعر طاغور لم يقتصر على تلك المنازع الصوفية والفلسفية بل تعداها
الى موضوعات عديدة أوثق وشائج بالحياة البشرية ، فصور القرية والمدينة والطفولة
والكهولة وغير ذلك من الشؤون التي لا تحصىها هذه العجالة . وآمن طاغور بتآلف
البشر وتآخي الشعوب ، فدعا الى التعارف والتآزر وتوصل بالأدب الى إزالة الضغائن
والقضاء على الفوارق وتوحيد الكمة على التعاون والتقارب . فلا بدع أن أصبح
هذا الشاعر الهندي شاعراً انسانياً تردد ألقانه بمختلف اللغات واللهجات ،
وتتعذب أشعاره في المشرق والمغرب ، ويقرن اسمه في حياته بالأقلية المختارة من
التوايح العالميين الذين استطلعوا خفايا الوجود ورتلوا أناشيد اخلود .
إن الحضارة الغربية الراضحة تحت أعباء المادة قد شخّصت بصرها نحو الشرق
منزل الوحي ومبعث الاخام ، فلما بلغت مسامعها أشعار طاغور ، أرهفت أذنيها
مصغية الى هذه الأنغام الروحية المستلذة ، الآتية من عالم بعيد .

بقرارة

مير بهاري

جامع التواريخ^(١)

- أو -

نشوار المحاضرة وأخبار للذاكرة للقاضي النوخى

- ١٣ -

حدثنا أبو الحسين الحارثي النهرسابسي^(٢) قال حدثني شيخ من شيوخنا:
أن أبا جعفر بن الشلمغاني كان في نهاية الاختصاص بحامد بن العباس، فلما
وزر أخذ به معه إلى بغداد، وكان يدخله في آرائه ويشاوره في مهماته
ويوسطه كبار الأمور. قال فلما جرى من حامد على المحسن بن الفرات تلك
القضية الشديدة، كتب إلى ابن الشلمغاني يسأله مسألة حامد الرقب به
والتقدم إلى المستخرج^(٣) بالتوقف عن ضربه وإذلاله ليؤدي على مهل، فتكفل
ابن الشلمغاني بأمره وخاطب حامد بن العباس في ذلك، فردّه، فعاوده في
مجلس حافل، ولجّ حامد، ولجّ ابن الشلمغاني، إلى أن قال حامد: هاتم^(٤) المحسن
ابن كذا وكذا وهاتم العلان والمقارع، قال فقبل ابن الشلمغاني يده، فلم

(١) قدم عهد القاري بما نشر من هذا الكتاب في المجلة فليراجع المجلد الثاني
عشر ص ٣٦٧ من هذه المجلة حيث كانت البداية بنشر هذا الجزء الثاني من النشوار
بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم الامتاز د. س. مرجليوث. (٢) نبة إلى
(نهرسابس) وهي قرية بنواحي الكوفة كما في انساب السمعاني و : ٧٣ هـ .

(٣) المستخرج هو الموكل إلى أمر تحصيل المال من صودر .

(٤) هاتم بمعنى هاتوا وهي طمية .

يقنع وحلف انه لا بد أن يصفعه ويخربه في ذلك المجلس . وتوجه الفلمان ليجيئوا به ، فلما عادوا ومعهم المحسن ، قام ابن الشلفاني من قبل ان يدخل المحسن وانصرف ، فاستشاط حامد وجن وكاد أن يقبض على ابن الشلفاني ويوقع به ثم استرجع ، وأخرج غيظه على المحسن وصفعه انصفه المشهور - الذي كان سبب قتل المحسن له لما ولي أبوه الوزارة الثالثة - قال ونهض ابن الشلفاني فدخل الى دار حبيبة حامد مغموماً وأخذ يشكو ما يجده الى الحاجب ويتشاكيان ويقول : هذا الرجل يريد أن يقتلنا كلنا بعده وأن لا يبقى لنا باقية ، يا قوم ! أي شيء نعمل بنفسي ؟ قال فهو كذلك ؛ اذ دعا حامد بحاجبه وقد قام عن مجلسه ورد حامد المحسن الى مجلسه بعد ما جرى . وقال للحاجب : ويحك أين ابن الشلفاني ؟ فقال عندي في الحجرة ، قال فما قال ؟ قال لم يقل شيئاً . فأمسك كالحجل ، ثم قال : هاته ؛ فلما جاء قال يا أبا جعفر من حق مودتي لك أن تثوفاً^(١) لأعدائي وتقوم عن مجلسي اذا رأيتني أوقع بأعدائي ؟ فقال نصف أو نقول صدق الأمير ؟ قال اسمع وانصف . [قال] أيها الوزير هذا رجل سألتك فيه فاعمل^(٢) انه كان بقالاً لابن وزير أنت تعلم حاله وقديم رياسته ، فما كان يحسن ان تردني فيه ، ولا ان رددتني تسومني الجلوس وحضور من شفعت فيه ، ثم أنت تعلم أن الأيام دول وان لهذا الفعل عاقبة يكفيك الله إياها ، فأني شيء يضرك من سلامة مهجتي في حال العافية وافلات نعمتي من شر هؤلاء وان يقولوا غداً اذا هتانا^(٣) ولم يشفع لنا ولو كان نصحننا

(١) لم نجد له معنى مناسباً هنا ولعله من الرفاء .

(٢) كأنه يريد معنى افرض وقدّر (٣) لعله انا أهنأ .

ماخالقه الوزير معاً بينهما ، وما قد لبشاهد صفنا الاتشفياً منا ، وأسيء شيء
أحسن بك أن تنسب حاشيتك ومن اخترته لمودتك وأنسك الى الخير
وبعدك من الشر ، فيقال انه لو لم يكن خيراً لما استصحب الأخياري ، وإنما يحمله
على ما فعله الغضب والحاجة إلى المال ، والا فالخير طبعه والغالب عليه ، ولا يقال
انه شرير جمع الأشرار حوالبه ، واعلم اني ماقت من مجلسك الا وقد
وضعت في نفسي أنك تنكبنني وعلت أني قد اسأت أدبي واني غير آمن
من عجلتك من نكبتني ، ولكن قلت اكون على حق ومتسكاً بحجة
وحزم وان جنى عليّ وان سلت فيفضل الله وان حلتك فالله يخلصني . قال
فجعل حامد واعتذر اليه وقال اخرج الآن وخذ يد المحسن وتوسط
أمره وخفف محنته هـ

وجدت بخط المهلبى الوزير كتاباً إلى أبي سلة أهداه الى وقال هذا
كتابه اليه وهو بالخط الذي أعرفه وفيه لنفسه :

وصل الكتاب طليعة الوصل بغرائب الإفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير اذا أغناه رب المال ^(١) بالبذل
وحفظته حفظ الأسير اذا ^(٢) ورد الأمان له من القتل
ووجدت بخط أبي محمد كتاباً الى ابي القاسم بن بلبل كتبت ^(٣) اليه
به وهو صغير الحال جداً وفيه :

طلع الفجر من كتابك عندي فمتى باللقاء ^(٤) يبدو الصباح

(١) في نيسمة الدهر ١٥/٢ «المجد» مكان «المال»

(٢) «وقد» مكان «اذا» (٣) لعل صوابه كتب

(٤) «لقاء» مكان «باللقاء»

ذاك ان تم لي فقد عذب انعي ش ونيل لثني وريش الجناح

وله الى غيره :

جاد لي بالكتاب^(١) من صرف دهري بكتاب يسرني أو رسول
فعلى قدر ما تكلف من وصم لي بعلمي بقطعه للوصول
أشكر البذل من جواد وان زام دالى البذل جاءني من بخيل
وله أيضاً :

أمثلي يا أخي وشقيق روعي^(٢) يفارق عهده عند الفراق
ويسلو سلوة من بعد بعد وينسبه الشقيق الى الشقاق
^(٣) واقسم بالعناق وتلك أوفى وأشنى من يميني بالعناق
لقد الصقت بي ظناً ظنيماً تجافى جانباه عن اللصاق^(٤)
وله أيضاً :

فديت أخاً يواصلني بكتب أسراً من البشارة حين تاتي
أخ لم يرض لي بالوصل حتى حبابي بالتحية^(٥) من حياتي
وله أيضاً :

ورد الكتاب فديته من وارد^(٦) فيه قلبي من حياتي مورد
قرأيته كالدرد نصد عقده في كل فصل منه فصل مفرد

* * *

حدثنا أبو منصور التشوري وكان من الجند المولدين قال : كنت

(١) لعله بالعناق (٢) في معجم الأدباء لياقوت ١/ ١٣٩ : قسم نفسي

(٣) في معجم الادباء : فقسم (٤) في معجم الأدباء : طلباً فيجاء ، التصاق

(٥) التحية : البقاء (٦) في بيعة الدهر ٢/ ١٥ « فله » مكان « فيه »

أخدم وأنا حدث في دار نصر اتشوري المرسومة بالحجبة من دار المقتدر بالله،
فركب المقتدر بالله يوماً على غفلة وعبر إلى بستان الخلافة المعروف بالزبدية
وأنا مشاهد لذلك في نفر في الخدم والعلمان، وتشاغل أصحاب الموائد
والتباخون بحمل الآلات والطعام وتعيينها^(١) في الجون فانقلت^(٢)، وأعجل
هو في طلب العظام^(٣)، فقبل له لم يحمل بعد، فقال انظروا ما كان، فخرج
الخدم مخفزين^(٤) ليس يحسروا يعودوا فيقولوا ما جاء شيء، وهم يتشاورون
فيما يفعلونه، فسمعهم جعفر ملاح طيار المقتدر فالرئيس^(٥) على الملاحين
برسم الخدمة عليهم^(٦)، قال فهاتم مامعه، فأخرج من تحت الطيار جونة
ملیحة خيازر^(٧) لطيفة فيها جدي بارد وسكبا ج مبرود وبزماورد^(٨) وآدام
وقطعة مالح منقور^(٩) طية وأرغفة سميد جيدة وكل ذلك نظيف، وإذا هي
جونة تعمل له في منزله في كل يوم. تحمل إليه فياكلها في موضعه من
الطيار ويلازم الخدمة. فلما جئت إلى المقتدر استنظفها وأكل منها واستطاب
المالح والآدام فكان أكثر أكله منه. ولحقته الأطعمة من مطبخه فقال
ما آكل اليوم إلا من طعام جعفر الملاح، فأتى أكله منه وأمر بتفريق
الطعام على من حضر. ثم قال قولوا له هات الحلوا، فقال نحن لا نعرف الحلوا،
فقال المقتدر ما ظننت أن في الدنيا من يأكل طعاماً بلا حلوا بعده، فقال الملاح

(١) لعله : تعييتها (٢) لعله : فانقلت (٣) لعله : الطعام

(٤) لعله : محضرين (٥) لعله فقال للرئيس (٦) لعله سقط ما معناه (معي

طعام) (٧) خيازر جمع خيزران (٨) طعام من البيض واللحم فارسي راجع

مجلة المجمع م ٣ ص ٣٢٧ (٩) لعله منقور يقال مقر السمكة المالحه قعها

في الخل . .

حلوانا التمر والكُتب^(١) فان تنشط له أحضرته ، قال لا هذا حلوا صعب
لا أطيقه فاحضرونا من حلوانا ، فاحضرت عدة جامات فاكل وجلس للشرب ،
ثم قال لصاحب المائدة : اعمل في كل يوم جونة تنفق عليها ما بين عشرة
ذناير الى مائتي درهم وسليها الى جعفر الملاح تكون يرسم الطيار أبدأ ،
فان ركبت يوماً على غفلة كما ركبت اليوم كانت معدة ، وإن حان المغرب
ولم أركب كانت لجعفر . فعملت الى ان قتل المقتدر ، وكان جعفر يأخذها
وربما حاسب عليها الأيام وأخذها دراهم ، وما ركب المقتدر بعدها على
غفلة ولا احتاج اليها .

ويشبه هذا ما بلغني عن المعتضد انه طلب يوماً لوناً من طعام ، فقبل
له ما عمل اليوم ، فانكر ذلك وقال : يجب ان لا يخلو المطبخ من كل
شيء حتى اذا طلب لم يتعذر ، ووقع الى ديوان النفقات باقامة ذلك اللون
الى ان يرد التوقيع بقطعه ، فكان يصلح وينفق عليه دراهم كثيرة ولا
يحضر المائدة توقفاً ان يطلبه فيقدم عند الطلب كما رسم ، فمضى على ذلك
سنة ولم يطلبه ، ثم رفعت اليه حسنة وكان يقف بنفسه على حساباته ، فرأى
ما انفق على ذلك اللون في طول السنة فاستهوله وقال استغفر الله ينفق لي
من مال المسلمين على لون لم آكله هذا كله ان هذا لعين السرف ، اقطعوا
عمله ولا يقع معاودة لمثل هذا في هذا ولا في غيره . وقالوا كان اللون جزورية
فكان يذبح له الطباخ في كل يوم قلو صاف لذلك عظمت النفقة ، وقالوا بقرة^(٢)
فكان يذبح في كل يوم عجلاً ، وقالوا مضيرة^(٣) بفرار يذبح كل ذلك سمعته .

(١) هو عصارة الدهن وثقله (٢) لعله بقرية مثل جزورية (٣) المضيرة طعام يتخذ من اللبن الحامض

حدثنا ابو سحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الشاهد المعروف بالطبري قال: حدثنا أبو بكر بن صالح الأبهري الفقيه المازني وهو باق إلى الآن ومجمله مشهور في الورع والعلم، قال: رأيت في المنام رجلاً من الزهاد - ذكره لي - وكانني اطلبه، فخرج عليّ من بين نخل وعليه فوطنان متزر بإحدهما منشع بالآخرى كأنه سدي، فقلت له: قل لي شيئاً أو عطني بشي. فقال: قل اللهم قصر أجلي وحسن عملي واستغفرني من ذل الطمع.

* * *

وحدثنا قال: حدثنا جعفر الخلامي الصوفي قال: حدثني الخواص الصوفي " قال: ركبت في البحر مع جماعة من الصوفية، فلما أوغلنا فيه كسر بنا وركبنا خشباً من خشب للركب ونجا منا جماعة، فوقعنا إلى ساحل لاندري أين هو ولا ماهو، فأقمنا فيه أياماً لا نجد ما نقتاته واحسنا بالهلاك فاجتمعنا وقال بعضنا لبعض: تعالوا حتى نجعل لله عز وجل على أنفسنا إن هو خلاصنا من هذا المكان واجباً، أن ندع له شيئاً، فقال بعضنا: لا افطر الدهر، وقال بعضنا: أصلي كل يوم كذا وكذا ركعة، وقال بعضنا: ادع الكذاب، إلى أن قال كل واحد من الجماعة شيئاً، وقالوا لي: ماتقول أنت؟ فقلت: لا آكل لحم فيل أبداً، فقالوا: ما هذا الهزل في مثل هذا الموضع؟ فقلت: والله ما تعمدت الهزل ولكنني منذ بدأت أعرض على نفسي شيئاً ادع الله عز وجل، فلا تطاوعني نفسي إلى غير هذا الذي لفظت به، وما قلت إلا ما اعتقدته. فقالوا لعل لهذا أمراً. وفرقنا بعد ساعة نظوف تلك الأرض نطلب شيئاً للأكل، فوقعنا على فرخ

فيل في نهاية السمن، فأخذه أصحابنا واحتالوا فيه^(١) حتى ذبحوه وشوروه، وقالوا
تقدم فكل، فقلت منذ الساعة تركته لله عز وجل، ولعل ذلك الذي جرى
على لساني من ذكره إنما هو سبب موتي لأنني لم آكل منذ أيام شيئاً، ولا
أطعم في شيء آخر آكله وما يراي الله انقض^(٢) عهده فكلوا، واعتزلتهم.
فأكلوا وشبعوا وعاشوا وأقبل الليل ففرقوا في مواضعهم التي كانوا يبيتون
فيها واويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها، فلم يكن إلا ساعة وإذا بفيل
أقبل من الموضع الذي استخرجنا منه الفرخ، وهو ينعر والصحراء قد امتلأت
بغيره وشدة وطأته وهو يطلبنا، فقال بعضنا لبعض: قد حضر الأجل، فاستسلموا
وطرحوا أنفسهم إلى الأرض على وجوههم، فجاء الفيل وجعل يقصد واحداً واحداً
فيشمه من أول جسده إلى آخره فإذا لم يبق منه موضع الاثمة شال إحدى قوائمه
فوضعها على الرجل حتى يفسخه فإذا علم أنه قد تلف شال قائمته وقصد الآخر
ففعل به مثل فعله بالأول، على هذا إلى أن لم يبق غيري وأنا جالس منتصب
أشاهد ما يجري وأدعو واستغفر ما طرحت نفسي ولا هربت إلى أن قصدي،
فحين قرب مني طرحت نفسي على ظهري فجاءتني شمسي من سائر أعضائي أو
أكثرها كما فعل بأصحابي ثم أتاد شمسي مرتين أو ثلاثاً ولم يكن فعل ذلك
بهم، ثم لف خرطومهم علي وشالني في الهواء فقلت هذه قتلة أخرى يريد أن يقتلني
بها فما نحي خرطومهم عني حتى جعلني فوق ظهره، فانتصبت جالساً وحفظت
نفسي وحمدت الله سبحانه على تأخر القتل وجعلت أعجب مرة وانتوقع القتل
أخرى، والفيل يهرول ويسرع إلى أن أضاء الفجر فوقف وأصعد خرطومهم

(١) بالأصل: واجالوا والصواب في الترجع بعد الشدة. (٢) بالأصل: ان انقض

الي، فقلت: حضر الأجل، فلقه علي وأتزلني علي رفقاً إلى الأرض وتركني عليها وجعل يسعي في الطريق التي جاء منها، وأنا لا أصدق فلما بعد عني حتى لم أراه أقبلت أدعو وأصلي، وتأملت موضعي وإذا أنا على محجة فثبت عليها نحو فرسخين فإذا بلد عظيم قد لاح لي فقصده ودخلته فإذا هو بلد من بلدان الهند عظيم وذكر اسمه. قال: فعجب أهله مني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها، فزعموا أن الفيل قد سار في هذه الليلة الواحدة مسيرة أيام وتسببت إلى الخروج من عندهم والنقلة من بلد إلى بلد حتى حصلت في بلدي سالماً.

* * *

قال حدثني جعفر قال: ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي^(١) وقلت له: زودني شيئاً، فقال: إن ضاع منك شيء^(٢) أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان. قال فبحثت إلى المكتاني الكبير^(٣) الصوفي فودعته، وقلت له: زودني شيئاً، فأعطاني فصاً عليه نقش كأنه طلسم وقال: إذا اغتست فانظر إلى هذا فان غمك يزول. قال: وانصرفت فما دعوت الله بتلك الدعوة في شيء إلا استجبت ولا رأيت الفص وقد اغتست إلا وزال غمي، فانا ذات يوم أعبس قد توجهت إلى الجانب الشرقي من بغداد حتى هاجت ريح عظيمة وأنا في السميرية والفص في جيبتي فأخرجته لأنظر إليه فلا أدري كيف ذهب مني

(١) اسمه أبو الحسن علي. المتوفى ٣٢٨ راجع كتاب الانساب للسماعي ٥٢٧

(٢) لعله: أو اردت (٣) هو أبو بكر بن محمد بن علي ابن جعفر المتوفى ٣٢٢

راجع طبقات الشرائب.

في الماء أو في السفينة أو ثيابي، فاختتمت غمًا عظيمًا فدعوت الله تعالى وعبرت وما زلت (أدعو) الله تعالى بها يومي وليلتي ومن غد وإيامًا فلما كان بعد ذلك أخرجت صندوقًا فيه ثيابي لألبس^(١) شيئًا منها، ففرغت الصندوق فاذا أنا بالفص في أسفل الصندوق فأخذته وشكرت الله عز وجل.

* * *

وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن البهلول التنوخي قال : حدثني أحمد بن الطيب قال كنت بحضرة المعتضد فجاء رجل يصيح بالباب « نصيحة » فأخبر بذلك فقال : أخرجوا إليه وقولوا له يذكرها، فعاودوا^(٢) وقالوا قد قال لا أذكرها إلا لأمر المؤمنين، فقال قولوا له ان لم تكن نصيحة بالفتى في عقوبتك، فخرجوا وعاودوا فقالوا قد قال رضيت، فأدخل وأنا حاضر فلم على الخليفة، فقال ما نصيحتك؟ فقال رقية وقعت إليّ تحبس السم عن المسموع في الحال، فقال المعتضد هائوا عقرباً قال فكأنها كانت معدة فأتي بها في أسرع وقت فاومى إلى الخادم بحضرتة فطرحته عليه فلعسته فصاح فقال له الرجل : ارني موضع اللسعة فأراه فأخرج حديدة لاحد لها وجعل يمسح بها من أعلى موضع اللسعة والسم إلى أسفل ويقول : (بسم الله اوم سرا وصر يهل بنى تبعه كروارى اهب اهب نهشن بهو ذاله مهز استروم لوبه قرقر سهله)^(٣) ويكرر ذلك دفعات إلى أن قال الخادم قد مسكن الوجع عن يدي كله^(٤) الاموضع اللسعة فاني احس منه بيقية، قال أعطوني ابرة فجاءوه بها ففتح الموضع

(١) الكلمة مطمونة (٢) الصواب : فعاودوا (٣) في شمس المعارف للبوني

ما يشبه هذا (٤) لعله : كلها

فخرج منه شي أصفر وقام الخادم معافي ، فأمر المعتضد فكتبت الرقية وخلدت
(في) الخزانة وأمر للرجل بمجازة سنوية .

قال لي ابو الحسن : وقد جربت على الزبور فصحت . وسيلها ان تجرب
على الحية لأن قوله تحبس السم بدخل كل ذلك تحته ، وأنا رأيت أحمد بن
يوسف يرقى بهذه الرقية على هذا الموضع فيقوم الملسوع من بين يديه بشي وهو معافي
حدثني ابو الفرج للمعافين زكريا الفقيه على مذهب أبي جعفر الطبري
أحد خلفاء قاضي القضاة على بعض السواد قال : حدثني أبو طالب بن
البهلول القاضي عن رجل عن أبي الطيب ^(١) بهذه الحكاية عن هذا ^(٢) وانسي
أبو الفرج اسم الرجل ولا أشك والله أعلم انه ابو احمد الرازي : هذه الحكاية
منتشرة جداً في آل البهلول عن هذا الرجل عن أبي الطيب ^(٣) وجميعهم
يرقى بها وينقلها قولاً وعملاً

* * *

انشدني ابو الحسن علي بن هارون بن يحيى بن المنجم لنفسه ، وكتب بها
الى علي بن هارون بن خلف بن طياب في غيبة كان غايباً وتأخرت عنه
كتبه وفيه صنعة لأبي الحسن بن طرخان :

بيني ^(٤) وبين الدهر فيك عتاب سيطول ان لم يمهه الا عتاب
يا غائباً بوصاله ومزاره ^(٥) هل يرتجي من غيبتيك اياك
ما غاب من لم ينأ صفو وداده ^(٥) وان ابوا غياب

(١) يريد احمد بن الطيب ولعل كنيته ابو الطيب (٢) لعله يريد : بينها

(٣) ارشاد الاربيب ٥ / ٤٤٣ (٤) في الارشاد : وكتابه

(٥) يياض بالأصل والبيت ليس موجوداً في الارشاد

لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفس عليك شعارها الاوصابُ
لا يأس من روح الاله فانه يصل القطوع ويقدم "الغياب
فاذا دنوت مواصلا فهو المنى سعد المحب وساعد الاحباب
واذا تأيت فليس لي متعلل الا رسول بالرضا وكتاب

* * *

أنشدني ابو الفرج احمد بن علي بن يحيى بن المنجم لنفسه والقافية في الايات
كلها لفظة واحدة باختلاف المعنى :

سيدي انت ومن عادته باعتداء او بجور جارية
وهذه الايات قد مضت في غير هذا الجزء من الكتاب .

* * *

أنشدني الاستاذ ابو احمد الحسين بن محمد بن سليمان لنفسه :
أيا من قده ألف ويا من صدغه لام
لقد اكثرت لوأمي ولو أنصفت مالا موا

* * *

وأخبرني شاهد من الشهود ببغداد المقبولين وسألني أن لا أذكر اسمه
وهو حي فلذلك لم أسمه قال : كنت احد الشهود الأربعة الذين ادخلوا مع
قاضي القضاة ابي محمد وهو إذ ذاك غير متقلد شيئاً من الأعمال، ومعنا ابو بكر
الاصفهانى صاحب سبكتكين التركي مولى معز الدولة لما وثب على الأمر
ونسى بالإمارة ، فأدخلونا وليس معنا سابع حتى شهدنا على المطيع لله بأنه قد

(١) في الارشاد : ويحضر

خلع نفسه وقرأنا عليه رقعة الخلع وقررنا بما فيه وخرجنا ، فأدخلنا الى دار
أخرى من دور الخلافة ، حتى حصلنا بحضرة الامير ابي بكر عبدالكريم بن
نطيع ، فبايعنا بالخلافة وسلمنا عليه بها وخرجت فجلسنا في مجلس قريب من
مجلسه لنوقع خطوطنا بأشهاد من كتاب الخلع ، قال : واستسقى أمير المؤمنين
انطاع ماء فجاء بعض الخدم بكوز فيه ماء فشربه وخرج ، فأبنا الكوز
و كنت عطشانا فقلت له : يا استاذ اسقني فجاءني بماء في ذلك الكوز بعينه
فشربت منه وكتبنا خطوطنا وخرجنا .

يتبع

مخطوطات ومطبوعات

جواهر البيروني

طبع العلامة كرينكو Krenkow حتى الآن مجموعة من أهم المخطوطات العربية منها «جمهرة اللغة لابن دريد» في ثلاثة مجلدات مع فهرست في مجلد ضخيم ومنها «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني» في أربعة مجلدات ومنها «كتاب التيجان في ملوك حمير وأخبار عبيد بن شريفة» و«كتاب الحماسة لابن الشعري» و«أخبار التحويين البصريين للسيرافي» ومنها «ديوان طفيل الغنوي وديوان الطير» و«قصيدة باتت سعاد لكعب بن زهير» و«شعر أبي دهل الجحفي» و«طبقات النخاعة لأبي بكر الزبيدي» و«ديوان مزاحم العقيلي» و«كتاب المجتبى لابن دريد» و«ديوان النعمان بن بشير» وفي ذيله «ديوان بكر بن عبد العزيز العجلي» و«الكتاب المأثور لابن العميش الاعرابي» و«الناظر لكمال الدين الشيرازي شرح كتاب المناظر لأبي الهيثم البصري» . وهذب كتاب «معاني الشعر الكبير» لابن قتيبة، وكتاب «اعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه، والمجلدات الثلاثة الأخيرة من «التاريخ المنتظم» لابن الجوزي، و«المؤتلف والمختلف» و«معجم الشعراء» لابن المزيان، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري . الى غير ذلك مما طبع من المقالات في المجلات الألمانية والانكليزية والاطالية والعربية وغيرها مما يعجز مجمع علمي منظم أن ينشر مثله في نصف قرن، وبهذا الامتاع وسعة الاطلاع . وبلومني بعد هذا بعضهم أنني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات ولو كان اللاعنون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف، وليس لهم من رأس مال إلا الثروة، لا يعملون ولا يتركون غيرهم يعمل . وعلماء المشرقيات بأنوثنا كل يوم يبرهان على تحمسهم في إحياء تراث الأمة العربية، ونشهد في حركتهم اثرهم

العظيم في وقوفنا على عظمة أجدادنا بتادونا بلسان الحال : انكم معاشر العرب معها
كان من نهضتكم اليوم فهي لاتعادل جزءاً صغيراً مما كان لأجدادكم في القرون
الوسطى وقبلها ، أيام كانت الأمم كلها غارقة في لجج من الجهل بعيد ساحله ، وكان
العرب وحدهم أصحاب الشأن في العلم والسياسة .

وأخر درة من تلك الدرر التي أظهرها الاساذ كرينكو كتاب « الجماهر في معرفة
الجواهر » من تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ . والبيروني
أعظم رياضي في الإسلام نشأ في خوارزم وتنقل في خراسان والهند وغيرها من
بلاد الشرق وهو من أصل إيراني ، لم يطبع له سوى كتابين : كتاب « تحقيق
ماللهند من مقولة مقبولة في العقل او مردولة » و « الآثار الباقية عن القرون الخالية »
من أصل كتبه الكثيرة التي رأى فهرستها يافوت الحموي في وقف الجامع بمرور
في نحو ستين ورقة بخط مكتنز وهي في النجوم والمهنة والمنطق والحكمة والطب
والاقرباذين . وقال البيهقي إنها وقرعير وكتاب الجماهر هذا بدأه بترويحيات عن
النفس تكلم فيها على مسائل من العلم تروق المطالع وتروضه . ثم تكلم على ما عرف
من الجواهر في عهده وعرض لمعانيها وخواصها والغريب منها ، ولما ورد في أشعار العرب
من ذكرها . وقال الناشر إن هذا الكتاب يفوق سائر الكتب في أوصاف الجواهر
والفلازات لأن المؤلف كان أول من أثبت الثقل النوعي لأكثر الجواهر والفلازات ،
وعلم أن هذا الثقل النوعي يمنع من النش ، اذ لكثير من الجواهر الثينة مشابهاً
في اللون والمائية لا تميز إلا بالصلاية والثقل .

وقال ان البيروني يورد أخباراً عن فرائد الجواهر واثمنها في وقته ويتوسع
في المسائل اللغوية . وعجب من جودة معرفته لدواوين الشعراء ، ولوجود هذه
الدواوين في مدينة غزنة في عصره استدل على انتشار العلوم العربية يومئذ في شرقي
خراسان . وقال ان من مزايا هذا الكتاب ان يذكر المؤلف أثناء تعريف الجواهر
اسماء لغوية كثيرة لا وجود لها في المعاجم واسماء اجنبية من لغات كثيرة تدل على

تعمق البيروني في هذه اللغات وهذا علم لم نجده في غيره من علماء الإسلام، ولهذا لا نبعد عن الحق إذا عددنا البيروني من أكبر علماء القرون المتوسطة .
 وقع هذا الكتاب في ٢٧٢ ص عدا الملاحق والفهارس وطبع في حيدرآباد الدكن في الهند وعلق عليه صديقنا فريترز كريشكو تعليقات أتى فيها على اختلاف النسخ وجلى بعض الأماكن الغامضة بما دل على سعة اطلاعه على الآداب العربية، وعارضه على ثلاث نسخ وأصحها مانسخه محمد بن أحمد المعروف بابن خطيب داريا النمشتي المتوفى سنة عشر وثمانمائة ، وكان من اعلام الأدب والشعر في عصره يضرب في كل فن بسم .

وقد جاء في خلال الكلام على المعادن والجواهر فوائد اعتاد الباحثون أن يقعوا عليها في تأليف البيروني منها (ص ٥٠) انه وقع اليه كتاب مكتوب في الشام في زمان عبد الملك بن مروان قد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيمة الجواهر في وقته . وهذه الجملة يصح أن تكون وثيقة تاريخية يحتج بها على من أفرطوا في الخط من قدر العرب وادعوا انه لم يهد لهم تدوين قبل القرن الثاني من الهجرة مع أن التدوين بدأ على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .
 كتب البيروني كتبه كلها باللغة العربية كسائر علماء الإسلام من اصول اعجمية . وكانت معجبا بالعرب ولغتهم اعجاباً عظيماً تجلّى ذلك في كتبه . وقد قال مرة أن الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية . قال وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد تقل إلى الفارسي كيف ذهب روثقه ، وكشف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، ولا تصالح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأمصار الليلية . ويذكر قوله هذا بما قال العلامة الزمخشري في رده على الشعوية أعداء العرب « إنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فقها وكلاماً وعلي تفسيرها وأخبارها ، والكلام في معظم أبواب الفقه ومساثلها إلا وهو مبني على العربية ، وإن بهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومخاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم ، وبه تصرّ في القراطين أقلامهم ، وبه تضر الصكوك والجلال حكامهم » .

وقال البيروني (ص ٧١) وفي أخبار الفرس التي لا تخلو من زياداتهم لتفخيم أمر الأكامرة وتفخيل ملكهم والمملكة التي لهم . والبيروني كسائر الفلاسفة يكره التزديد وقال (ص ٨١) ان جميع ما في العالم يستحيل بعضه الى بعض بحسب امتداد زمانه ولكن هذا طريق الشعراء من الإغراق في المدح بالأكاذيب . وذكر في (ص ٢١٥) حجري الخماص والكرك وان الشيعة يناكدين السنة بالتحتم بأيضا والسنة يناكدين الشيعة بالتحتم بالسواد فيأتون بالعالم الأسود والعلم الأبيض مكان العقيدة والمذهب ، فساء ذلك وهو السني المعتدل ، فكان يجمع بين هذين الفصين في زوج خاتم كباداً للتريقين معاً .

وهكذا يعلم الناس العلم ويعلمهم الاعتدال ، ويبغض اليهم التزديد ويكره ذلك من أهل كل مذهب وجيل وطائفة ، وما قال (ص ١٠٤) وأكثر أصحاب اللغة يجمعون المسموعات في كل طائفة وقبيلة ويفسرون بذلك على المستفيد ضبطها من غير فائدة لهم فيها سوى الإغراق في التفاخر والتكاثر حتى انهم طرحوا الأمانة وصاغوا للاستشهاد فيها شعراً طوقوه أهل المقابر وسموه بالأول والآخر عملاً بما قيل في الوصايا : اذا أردت أن تكذب فكن ذكوراً ، ولا تستشهد بحي حاضر يرد عليك ، واقصد فيها الموتى فانه غيب إلى الأبد .

محمد كرد علي

علم الأمراض الباطنة

تأليف الدكتور حسني بك سبع في سبعة أجزاء

كتبت في المجلد الرابع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق كلمة موجزة عن الجزء الأول من هذا السفر القيم الذي يعد في عهدنا هذا خير كتاب طبي ألف باللغة العربية ، في علم الأمراض الباطنة على الطريقة المدرسية الحديثة ، جمع إلى غزارة المادة وسعة الموضوع وسمو المطلب براعة التيوب وحسن الأسلوب وسهولة التعبير وفصاحة اللفظ وجودة الطبع وجيد الورق .

وها أني أقدم لقراء هذه المجلة كلمة مختصرة ، عن الأجزاء التي تلت وهي :

الجزء الثاني

الأمراض الاتانية والطفيلية

طب في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م عدد صفحاته ٩٢٦ ص
 بحث المؤلف في مطلع هذه الحقة ، من الأمراض الباطنة ، في كليات الأمراض
 الاتانية والطفيلية ، من حيث العلل والاسباب والعوامل والأمراض العامة . والدفاع
 البدني والاعراض والآفات التشريحية العامة والتشخيص والوقاية . ثم درس في
 الأقسام التالية انتان الدم على اختلاف عوامله والحميات الاندفاعية والانتان بالحماة
 الراشحة وبالعوامل مجهولة ثم الامراض الاتانية الناشئة عن الجراثيم المعلومه ثم
 الأمراض الطفيلية . وقد عني المؤلف في كل من هذه الأبحاث بدرس الأسباب
 والتشريح المرضي والاعراض حسب أدوار المرض والأشكال السريرية والاختلاطات
 والتشخيص والانداز والوقاية والمعالجة بالاسباب وتفصيل لاسباب في الأمراض التي
 نكثرت مشاهدتها في سورية وفي البلاد العربية . واختتم المؤلف هذا الجزء بمجمعين
 احدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية جمع في كل منها
 الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء .

الجزء الثالث

أمراض جهاز التنفس

طب في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م عدد صفحاته ٩٧٠ ص
 نسج المؤلف في درسه أمراض جهاز التنفس على منوال ماجاء في الجزء الثاني
 فبحث أولاً في كليات هذا المطلب من حيث تشريح جهاز التنفس وفيزيولوجيته في
 الصحيح وفي المريض والأسباب العامة في أمراض هذا الجهاز والاستدلال الوظيفي
 والسريري وطرق استقصاء جهاز التنفس وطراز فحص المصاب بعلة تنفسية والوقاية
 والمعالجة العامة . ثم أخذ بدرس أمراض هذا الجهاز على التفصيل حسب أقسامه
 التشريحية مبتدئاً بجزئه العلوي حيث الأنف والبلعوم الأنفي والخنجرية والرغامى
 والقصبات ثم انتقل الى الرئتين فبحث في اضطراب الدوران الرئوي ثم في أمراضها

الحادة فالزمنة ثم الل الرئوي محتسماً بأمراض غشاء الجنب والجنابات القيحية وغيرها .
ويحوي هذا الجزء أيضاً معجمين أحدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من
الفرنسية الى العربية جمع في كل منهما الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء .

الجزء الرابع

أمراض جهاز الهضم

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م عدد صفحاته ١٢٢ ص
يمتاز هذا الجزء على الأجزاء السابقة بزيادة عدد صفحاته وغزارة مادته ووفرة
الرسوم والصور والتوسع في بحث الاختبار والاستدلال بالوسائل المخبرية المختلفة
الشعاعية والكيميائية والحكومية وفي طرق المعالجة وانواع القوام الغذائي مما يندر جمعه
في كتاب واحد .

ويقسم الكتاب الى مجتئين عامين الأول في أمراض انبوب الهضم ويحوي أمراض
القم والبلعوم والمرى والمعدة والامعاء والثاني في أمراض توابع هذا الانبوب وهي
البانكرامي والبريطون والكبد وفيه الطرق الصغراوية . وخير كلمة تقال في هذه
الحلقة انها جامعة لما وصل اليه فن الطب الحديث مما يحتاج اليه الطالب والطبيب
الممارس في بحث أمراض جهاز الهضم . وفي هذا الجزء أيضاً معجمان احدهما من
العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية حوى كل منهما الألفاظ والمصطلحات
التي وردت في هذا الجزء .

فلسفة الطب

أو علم الأمراض العام

. تأليف الدكتور حسني بك سبح

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩ عدد صفحاته ١٠٧٠ ص
عن المؤلف بكلمة (فلسفة) كليات الطب وهو الاسم الذي أطلقه الأقدمون على هذا
العلم ككليات ابن رشد التي نشرها حديثاً معهد فرانكو لتقدم العلوم في اسبانيا وما زال

يطلقه عليه علماء العصر الحاضر . وذلك لأن كلمة فلسفة ابعد غاية مما تقف عنده
مباحث هذا العلم في العهد الحاضر .

درس المؤلف في هذا الكتاب غاية الطب ووسائله فبحث في الاسباب والمؤثرات
المختلفة وفي ارتكاس البدن أي مقاومته هذه الاسباب ثم انتقل الى التغذية والتبادل
الغذائي فدرس التطور الاسامي ثم اضطراب التغذية ثم تطور الأغذية العضوية
وماءات الكربون والمواد المعدنية والاجسام المعدنية واضطرابها . ثم بحث في الجملة
العصبية النباتية والغدد الصم فدرس الاضطرابات الوظيفية في المخ والدماغ المتوسط
والبصلة السبلية والنخاع الشوكي والشمكات والحس الحشوي والفج والاعصاب
وصلة كل من ذلك بالتعصب النباتي . ثم اخذ بدرس الغدة الدرقية ومجاورات الدرق
والتوتة والكظرين وجزيرات البنكرياس والنخامية والصنوبرية والتناسلية واختتم هذا
البحث بنظرة اجمالية في التنظيم النباتي واضطرابه .

وفي نهاية الكتاب معجمان أحدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من
الفرنسية الى العربية حوبا الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الكتاب .
تلك هي الأجزاء التي تم نشرها من المجموعة الطبية العربية القيمة التي أخذ
بتأليفها الزميل الاستاذ حنى سبيع عميد المعهد الطبي العربي بدمشق وأستاذ الامراض
الباطنة ومريراتها فيه في غضون ست سنوات متتابعة فدنيا فراغا كبيرا في
هيكل اللغة العربية وفي صرح كيانها العلمي كانت الجامعة الأميركية في بيروت
والقصر العيني في القاهرة في بدء نشأتها اسدلا عليه ستارا ماعتم حتى انكشف
فله منها ومن أبنائها الشكر وأطيب الثناء .

اسعد الحكيم

منشورات المجمع العلمي المصري

في مصر مجمع علي قديم معظم أعضائه من العلماء الأجانب . وبعضهم من علماء مصر المشهورين كالجراح علي باشا ابراهيم والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . والدكتور احمد عيسى بك والدكتور حه حسين بك واحمد لطفي باشا السيد والدكتور منصور فهمي بك ، والاستاذ محمد خليل عبد الخالق بك والاستاذ علي مصطفى مشرفة بك وغيرهم . وللمجمع المذكور اربع شعب الأولى للآداب والفنون الجميلة والآثار ، والثانية لعلوم الأخلاق والسياسة ، والثالثة للعلوم الطبيعية والرياضية ، والرابعة للطب والزراعة والموايد . وقد وزع الأعضاء الأصليون على هذه الشعب كل على حسب اختصاصه . وللمجمع عدد من الأعضاء المؤازرين وعدد من الأعضاء المراسلين يقيمون في مصر او في الديار الأجنبية . ولغة المجمع الفرنسية . لكنهم ينشرون أيضاً بمحوس بالانكليزية كما ينشرون خلاصة الجلسات بالعربية .

وفي نحو كل شهر يعقد المجمع العلمي المصري جلسة يخطب فيها بعض الاعضاء ملخصين أبحاثاً علمية بمحسوها ونتائج استنتاجوها ، ثم يقدمون الى مكتب المجمع نسخاً من هذه الابحاث فينشر منها ما يراه جديراً بالنشر إما مستقلة باسم «مذكرات مقدمة الى المجمع العلمي المصري» وإما ضمن مجلة يصدرها المجمع مرتين في السنة واسمها «نشرة المجمع العلمي المصري» . وقد صدر الى اليوم ٤١ مذكرة أي سنراً و ٢٣ مجلداً من النشرة المذكورة .

وأهم ما استرعى نظرنا من المذكرات التي صدرت حديثاً تلك التي نشر فيها الدكتور مايزهوف مخطوطة «شرح اسماء العقار» تأليف ابي عمران موسى بن عبيد الله الامرائيلي القرطبي . وقد كتبنا عن هذه المذكرة بحثاً مستقلاً نشر في مجلتنا م ١٧ ص ٨٩ وما استرعى نظرنا ايضاً مجلدان بالفرنسية في نباتات سورية تأليف ميسو نياو J. Thiébaud . وهذا المؤلف الجديد الذي لا يشتمل المجلدان المذكوران

إلا على جزء منه موضوع على طريقة استقرائية مفيدة . وهو أتم من كتاب بوست في هذا الباب أي أنه يحتوي على بضع مئات من الأنواع النباتية التي لم يتناولها أحد قبل المؤلف . فتمنى أن يتم ميرو تيايو طبع هذا المؤلف الثمين كما ترجموا ان يتاح له من يترجمه بالعربية .

أما الأعداد الأخيرة من نشرة انجمن أي مجلته ففيها عدد من الابحاث الجلية منها مخطوط نقسطا بن لونا البعلبي عنوانه « كتاب في على اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم » نشره الأب المحترم بولس سباط وترجمه بالفرنسية . ومنها بحث بالفرنسية عن كتاب الصيدلة في الطب للبيروني ، وآخر عن مفردات الفانتي ، وثالث عن مفردات الشريف الادريسي ، ورابع عن اول ذكر العرب للشاي ولاستعماله . وهذه الابحاث الاربعة للدكتور مايرهوف وقد جود فيها كثيراً . ومنها بحث بالانكليزية عن طبائع الطيور في واحة سيوة بقلم ر . ا . مورو R. E. Moreau ، والضغط لبخاري وحجم قوة التيار الكهربائي بقلم الدكتور ه . لوفي H. Lowy ووثيقة عن تاريخ الجالية الفرنسية في القاهرة ، وأوزان الشعر العربي وضبطها بالعلامات الموسيقية « نوعة » بقلم الأب فاشيني ، وديدان الأرض في مصر وهو بحث بالانكليزية للسيد ع . خلف الدويني ، الى غير ذلك من الابحاث القيمة التي تدل على مبلغ جهود العلماء الذين يتألف منهم المجمع العلمي المصري فنحن نتمنى للمجمع المشار اليه حياة مديدة في خدمة العلم والثقافة ، كما نتمنى ان يوثق الوسائل الكافية فيترجم بالعربية ما أمكن ترجمته من الكتب والابحاث المفيدة التي يخرجها على الناس مجلة قشبية ومادة غزيرة .

مصطفى السرايبي

النقود العربية وعلم النميات

عني بنشره وتصحيحه الاستاذ الأب انتاس ماري الكرمللي .

عدد صفحاته ٢٥٩ قطع متوسط طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٩ .

جمع الاستاذ في هذا الكتاب ما اتصل به من اثنانيف العربية القديمة منها
والحديث التي تبحث في النقود الاسلامية منها :

١ فصل النقود للبلاذري

٢ شذور النقود في ذكر النقود للمقريري

٣ ما كتبه ابن خلدون في مقدمته عن السكة

٤ فصل الدنانير المكوكة مما يضرب بالديار المصرية للقلشندي

٥ تحرير الدرهم والمقال والرطل والمكيال وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر

على مقتضى ما حدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ لمصطفى النعي الشافعي

٦ علم النميات للاستاذ الكرمللي

قد اسدى الاستاذ بعمله هذا خدمة جليلة يشكر عليها ولا سيما بتنظيمه
الفهارس المفيدة التي اختتم بها مجموعته فقرب بها على الباحث منال الانتفاع واعفاء
من متاعب المراجعات . كنا نود ان تكون هذه المجموعة اصح مما سبق نشره
منها اذ تبين لنا من المقارنة بأنها دونها عناية بالتصحيح مشحونة بأغلاط كان يمكن
اجتنابها لو قدر الاستاذ عمل غيره ولم يخسهم حقهم . فلو امكن في التدقيق لتحقيق
له أن مخطوط كتاب النقود الذي اعتمده والنسخة التي اعتمدها احمد فارس قد
استقت من ينبوع واحد حتى تشابهت اغلاطها وتكررت تصحيفاتها ووجدنا أن
نسخة الاستاذ ماير (Mayer) - التي زعم الاستاذ الكرمللي «أنه زادها تصحيحاً
وتشويهاً وافساداً فأصبحت الحوراء عوراء» - هي اصح النسخ المعروفة لأنه نقلها
بكل أمانة بالفنوغراف عن نسخة مصححة بخط المؤلف خالية من اجتهاد التصحيح وآفاته
وفيا يلي بعض ما أحصيناه من الأغلاط :

فصل التقود للبلاذري

صفحة	خطأ	صواب
١٠	فقدت علينا المدينة وفيها	فقدت المدينة وفيها
١٣	فاجمع انتقاداته معمول	فاجمع التقاداته معمول
١٥	عبد الاعلى بن حماد البرمي	عبد الاعلى بن حماد الترمي
١٦	حدثني محمد بن سعد الواحدي	حدثني محمد بن سعد عن الواقدي
١٦	المنظب عبد الله بن حنطب	المنظب عبد الله بن حنطب

كتاب التقود للمقريزي

٢٩	مع المائة الحبة صنجة ثالثة	مع المائة الحبة صنجة ثانية ثم صنجة ثالثة
٣٢	وفي بعضها لا اله الا الله وحده وفي	وفي بعضها « لا اله الا الله وحده » وعلى
	آخر مدة عمر وزن كل	آخر « عمر » وجعل وزن كل
٣٢	عليها تمثال متقلدا سيفا	عليها تمثاله متقلدا سيفا
٣٤	خمة عشر قيراطا سوى	خمة عشر قيراطا تبرا
٣٧	فاذا هو ٤ دوانيق جمعها وكل	فاذا هو ٤ دوانيق تبراً جمعها وحمل زيادة
	زيادة الا كبر على ٠٠	الا كبر على ٠
٣٧	كل ١٠ دراهم منها ستة دوانيق	كل عشرة دراهم زنة كل درهم منها ستة دوانيق
٤٣	اهل المدينة النبوية	المدينة النبوية
٤٣	يقبلها	يقبلها
٥٠	وبقيت الدولة العباسية في الترف	وتنبتت الدولة العباسية في الترف
٥٥	من المال	من الرجال
٥٥	والصرف	وانصرف
٥٦	البريوية	البريطية
٥٦	من غشه ودنه	من غشه ودله

صفحة	خطاء	صواب
٥٧	على دينار	على عيار دينار
٥٧ و ٤٨	السدي بن هاشك	السدي بن شاهك
٥٨	صارت مصر من يومئذ دار ملكه	صارت مصر من يومئذ دار خلافة بعد ما كانت دار اماره
٥٩	ابي علي المنصور بن المعز	الحاكم بأمر الله ابي علي المنصور بن العزيز
٥٩	وترك من في يده شيء منها	وانظر من في يده منها شيء
٥٩	بدخول الفرس الشام ومصر	بدخول الفرس الشام الى مصر
٥٩	في سنة ٥٦٩	في سنة ٥٦٢
٥٩	فرس	فقتل
٥٩	المصارف	الضايقة
٥٩	غمهم من ذلك	عمهم من ذلك
٥٩	حرمة له	حرمة القيور له
٦٠	الى ان دخل الملك الكامل ..	الى ان أبطل الملك الكامل ... الدرهم
	فأبطل الدرهم الناصري	الناصرية
٦٠	بالزئوف	بالورق
٦٠	الكامل	الكامل
٦٠	الانراك	مما ليكم الانراك
٦٣	قد تقدم ان الدراهم التي عملها عبد الملك بن مروان كان فيها ثلث فضائل وانا فانه عليه السلام انما فرضها في الفضة
٦٤	لأنه قال	سبل المفسدين
٦٤	سنة المفسدين	واصلح ولا تتبع المفسدين

صفحة	خطاً	صواب
٦٤	اتبعوا قوما	اتبعوا أهواء قوم
٦٤	عملاً بقوله	وكنى بقوله عليه السلام
١٥	تيمورلنك	بني تيمورلنك
٢٠	واستدل بهذه الآية على اختصاص قريش بالخلافة

اما في كتاب التكميات فقد احمل عدد كبير من نقش اسمائهم من العمال على النقود ولو استعان المؤلف بآي فهرس من فهارس مجاميع النقود الاجنبية لتمكن من جمعها بكل سهولة كما أنه قد نسي من بين الدول التي انفصلت عن الخلافة العباسية الدولة الاخشيدية والفاطمية والدول الاسلامية في الأندلس وإفريقية الشمالية .
حذا لو استعاض عن صورة نقود صلاح الدين الخيالية المنشورة في ص : ٩٣ بصورة حقيقية مما شاع من النقود والسكك .

هذا والكتاب حافل بالفوائد وجدير بالمطالعة .

جعفر الحسني

المدرسة النظامية وتاريخها

تأليف الأستاذ السيد أسعد طلس

طبع في بوردو على نفقة مكتبة غوتتر الباريزية ١٩٣٩

AS'AD TALAS

La Madrasa Nizamiyya et son histoire, Paris 1939

كتاب قدمه الأستاذ أسعد طلس الى جامعة بوردو وتال به لقب دكتور في الآداب . يقع مع فهارسه في ١٢٢ صفحة وفي آخره خريطة لبغداد تبين موقع المدرسة النظامية وصورة الآثار الباقية من هذه المدرسة ومخطط وصورة للمدرسة المرجانية المنشأة على غرار النظامية وثبت المصادر وفهارس متعددة .

أحسن المؤلف في انتخاب موضوعه الدقيق الخطير ذلك أن أمثال هذه الموضوعات

إذا درست تكون من مجموعها فكرة صحيحة عن التعليم ومعاينه في المدنية الإسلامية وقد أشار الأستاذ الى ذلك اذ وضع لكتابه عنواناً آخر كبيراً وهو التعليم عند العرب وقد بين المستشرق الأستاذ بلاشير خطورة الموضوع في كلمته انني صدر بها الكتاب فقال: «ان هذا الكتاب يخرج عن النطاق الضيق الذي يحيل العنوا انحصاره فيه ويعطينا نظرة شاملة عن النشاط العلمي لقسم كبير من البشرية خلال عصور متعددة من تاريخها» وقد قسم المؤلف كتابه الى خمسة أقسام عدا كلمة التمهيد والمقدمة والخاتمة .

اما التمهيد فبين فيه غاية هذه الدراسة التي هي اظهار أثر المدرسة النظامية في مقاومة الباطنية والشيعة وفي تهيئة عمال للدولة من أهل سنة وأما المقدمة فقد استعرض في الفصل الأول منها حالة التعليم في القرون الأربعة الأولى للإسلام وذكر في الفصل الثاني معاهد التعليم التي أولها المساجد وحلقات القصاص والأماكن العامة كالربد ومجالس الخلفاء والكبراء ثم ذكر الكتائب وبيوت القراء والمؤدبين وطرق التأديب وهو بحث مختصر قيم عن التعليم عند العرب وآراء بعض مؤلفيه فيه كابن العربي وابن خلدون واعتقب ذلك بذكر المدارس وابتداء ظهورها والمكاتب التي أنشأها الخلفاء وغيرهم كدار الحكمة المأمونية وأختها الفاطمية . وعرض في الفصل الثالث لذكر الحالة السياسية في العالم الإسلامي على عهد نظام الملك ثم بحث في القسم الأول من الكتاب في حياة نظام الملك وأخلاقه وسياسته وآثاره وفي القسم الثاني منه يدخل في أصل الموضوع فيتكلم عن المدرسة النظامية من نشوئها والاحتفال ببنائها ووصف مكنها وآثارها الباقية ويعرض بعد هذا لنظام المدرسة وإدارتها من أوقات التدريس وشروط تولي الإدارة والتعليم فيها وتنصيب الاساتذة ومنزلتهم الاجتماعية والمراد التي تدرس فيها وطريقة التعليم ويخصص الفصل الثاني للكلام على بيت الكتب والموظفين . والقسم الثالث من الكتاب يبحث في تأثير المدرسة في المدارس الأخرى من حيث فن البناء ومن حيث تحديد الغاية التي هي نصرة

فكرة دينية وسياسية خاصة وبين المؤلف في فصل خاص أثر المدرسة الثقافي من الناحية العلمية والاعتقادية ولا سيما في الاندلس عن طريق ابن تومرت خريج هذه المدرسة وعقد قتلا للموازنة بين النظامية والأزهر والمنتصرية وفي القسم الرابع من الكتاب تراجم مختصرة لعدد كبير من المشهورين من أساتذة هذه المدرسة ومن تخرجوا فيها .

ويختتم المؤلف الكتاب بنتيجة ما أداه اليه البحث من أن هذه المدرسة استطاعت أن تفي بالغرض الذي أسست من أجله فوقفت امام التيارات الشيعية والباطنية في المشرق والمغرب ونجحت في نشر العقيدة الاشعرية والمذهب الشافعي في البلاد الاسلامية . فالرسالة في جملتها عمل مجيد يحمده المؤلف على ما بذل فيه من جهد ولا سيما في الاحالة الى المصادر الكثيرة التي اضطر للرجوع اليها .

يبدأنه يمكن أن يؤخذ عليه بعض أمور منها ان الفصل الأول الذي كتبه عن المدارس والتعليم مختصر جداً عام الافكار وان الفصل الذي عقده لذكر الاساتذة والتخرجين في النظامية لم يزد فيه غنى سرمد تراجم مختصرة لم يخرج منها باستنتاج وكان في الوسع أن ينتخب من هذا العدد الكبير أفراداً يتتبع بدقة آثارهم ويصل من ذلك الى شيء من التفصيل عن النزعات والافكار التي نثرتها المدرسة النظامية بواسطتهم وكان يفيد ذلك فائدة كبرى في بيان أثر هذه المدرسة الفكري بشكل أعمق وأدق مما فعله وكان عليه ان يشير الى أن نظام الملك بني عدة مدارس سميت باسمه في نيسابور وغيرها من المدن (انظر ترجمة ابي المعالي الجويني في وفيات الأعيان) .

وفي الكتاب أمور أخرى فرعية يمكن أن تنتقد أيضاً كترجمته للقراءات السبع بـ *Les sept cadences* ص ١١ وهو خطأ ربما وقع فيه بعض المستشرقين لأن معنى هذه الكلمة الفرنسية الابقاع الموسيقي والترجمة الصحيحة التي يعتمد عليها ثقات المستشرقين *Les sept lectures* - وفسر علم المناظرة ص ١٢١ بأنه علم المناظرة بين

المذاهب الاربعة مع انه غير متقيد بالمذاهب ولا بالفقه مطلقاً وقال ان المذهب الشافعي هو للمذهب الرسمي للدولة العباسية وليس الأمر كذلك فقد كان المذهب الحنفي في العصر العباسي الأول هو المذهب السائد وعليه العمل غالباً وان لم يكن رسمياً يحمل الناس عليه .

وذكر في ترجمة أبي الفتح بن البرهان الحنبلي ص ٦٠ أن له كتب البسيط والوسيط والوجيز مع ان هذه الكتب للغزالي وأما صاحب الترجمة فله الأوسط والوجيز كما ذكر السبكي في ترجمته .

على ان هذه الأمور لا تضير هذه الرسالة النفيسة ولعل حالة الحرب الشديدة التي ألفت الرسالة خلالها اضطرت المؤلف الى سرعة الانجاز والاختصار بسبب بعده عن المراجع الكثيرة ولعله ينقل الى ابناء العربية رسالته هذه فيستوفي بعض ما أوجز وينقح بعض ما أهمل تنقيحه فيقدم بذلك الى العربية وأبنائها عملاً جليلاً .

محمد المبارك

م

ظرائف الأمس غرائب اليوم

أو

صور من حياة النيك وجبل القلمون في اواسط القرن التاسع عشر
جمع مؤلف هذا الكتاب يوسف افندي خنشت صورا شتى للحياة الشعبية في جبل القلمون عامة والنيك خاصة . فبسط القول في اشغال الناس هناك وعاداتهم في الأكل والملبس وتربية الأولاد والتزاور والولائم والسمر واللهو والفلاحة والزراعة والحصاد والخطبة والزواج والأعياد والمآتم . وذكر طرقاً صالحاً من اهازيهم واغانيم وما الى ذلك من وجوه الحياة المتعددة فجاء كتاباً طريفاً ممتعاً يستحق صاحبه الشكر والتقدير .

مختصم

مخطوطات من محسنين دمشقيين

تفضل الاستاذان الشيخ عبد القادر الطنطاوي والشيخ عبد الوهاب الطنطاوي باهداء المجمع العلمي العربي مجموعة من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وتلك ماثرة لما يشكرهما المجمع عليها ويثكرهما أهل العلم جميعاً . وهاك قائمة تلك الكتب مع وصف الجدير منها بالوصف .

١ - تاج اللغة وصحاح العربية لابي نصر اسماعيل بن محمد الجوهري (- ٣٩٣) .
نسخة جليلة صحيحة مضبوطة في جميع حروفها ، خطت فيها الألفاظ المشروحة بالقلم الأحمر . واستعمل هذا القلم ليفصل بين اجزاء الشرح فيظهرها واضحة . الصقت فوق اسم الكتاب بمهارة تامة ورقة سترت « سرلوحة » جميلة كانت تزين اسم الكتاب . وأحاط بكل كتابة جدول مسطر بالذهب مرتين وبالاخضر أخرى . وقد ألصق بكل ورقة من الأوراق الاصلية ورقة من قطع ذلك الجدول بصورة اختفت فيها معالم اللصق وذلك بتطير الجداول النحوية على مكان اللصق تماماً . وقد تمتد هذه الورقة الملتصقة الى خارج الجدول قليلاً فيذكر في امتدادها سهو حصل حين النسخ . اما الاوراق الثلاث الاخيرة فقد ألصق بكل واحدة منها ورقتان ، العليا منهما ليست بقطع الجدول بل منخرقة عنه . ابعاد النسخة ٣٨٥ × ٢٥٥ سم ، عدة أوراقها ٣٢٥ ورقة ، عليها هامش قدره ٤ سم . الجلد حديث منذهب في كعبه . كتب النسخة علي بن ابي طالب بن علي بن علي بن الحسين بن الخشاب الحلي سنة ٦٠٩ . والنسخة وقف الملا عثمان الكزدي .

٢ - كتاب احوال القبور واحوال أهلها الى التشور لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب (٧٠٦ - ٧٩٥) . أوله : الحمد لله الذي اسكن عباده هذه الدار ، وآخره :

الا انما الانسان ضيف لأهله بقيم قليلاً عندم ثم يرحل
والنسخة حسنة ، خطها مقروء كبير الحرف ، عدة أوراقها ١٢٨ ، أبعادها

١٣٨١٩ سم، عليها هامش قدره ٣ سم، جلدها قديم مزين لكنه فقد زينته .
وقفت النسخة في «مدرسة دار الحديث الاشرفية محل تدريس الامام النووي» ،
كتبها محمد بن ابي بكر بن سعيد البدوري (?) الممتقي سنة ٨٤٦ .

٣ - كثر اليواقيت في الكشف عن أصول المواقيت لشهاب الدين احمد بن
رجب بن طيغنا المجدي (٧٦٠ - ٨٥٠) وهو شرح رسالة ابن السراج ، اوله :
لما وقفت على رسالة الشيخ . . . ابي العباس احمد بن ابي بكر بن السراج القلاني
الحلي الموضوعة في علم الميقات . . . فأحييت ان أضع عليها تعليقا يتضمن بيان
قواعده وتحرير معاقده » آخرها « وهذا معنى قوله وبالعكس إلى آخره » النسخة في
حالة حنة ، عدة أوراقها ١٤٢ . خطها مقروء متوسط الحرف . ذكرت كلمة قوله
بالقلم الاحمر وخط على بعض اسطرها بذلك القلم . وفيها أشكال مصورة بالاحمر مع
حروف بالاسود . كتبها المؤلف ، وملكها ابو الطاهر محمد بن محمد المومني سنة ٨٨٦
ووقفها الملا عثمان الكردي

٤ - كتاب مجهول المؤلف والاسم ، كتب في اوله : اما بعد فهذا كتاب جمعت
فيه من كتب المطلوب وهو من الكتب التي ادخرتها الملوك والخلفاء للامور المهمة . . .
وهو مشتمل على كه باب (اي خمسة وعشرين) ، الباب الأول في احكام طوابع
النين . . . الباب الخامس والعشرون : القول على دلائل طوابع الشعرى البانية وما
يحدث بعدها » ، آخره « ويحدث في آخرها بالناس وجع المفاصل ويكثر الرمد
والمرض في الاحياء وغير ذلك فراجع ان اردته والله تعالى اعلم بالصواب » .
النسخة غير مجلدة ، مدشوتة الاوراق : عدة أوراقها ٤٨ ورقة ، أبعادها ٢٢×٦٨ سم
خطها مقروء كبير الحرف . كتبت أوائل الجمل والفصول بالقلم الاحمر . وفيها
جداول بذلك القلم ، وقفها الشيخ ابراهيم العريف سنة ١٢٥٢ هـ

٥ - شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين محمد بن محمد بن نباته
(٦٨٦ - ٧٦٨) نسخة عليها تعليقات نقلت من كتب اخرى كتسبل السيل

للشيخ غرس الدين ووفيات الاعيان لابن خلكان وورد في أولها ترجمة مؤلف الكتاب .
كتبها رمضان بن موسى العطيني سنة ١٠٥١ وقابلها سنة ١٠٥٧ . أولها من الورق
الجيد وآخرها من ورق اقل جودة . نقلت رسالة ابن زيدون بالقلم الاحمر وجعل شرحها
بالقلم الاسود . وقتت النسخة في المدرسة انبادرائية .

٦ — الرسالة التشيرية لابي القاسم عبد الكريم بن حوازن القشيري (٣٧٦ —
٤٦٥) . النسخة حنة جميلة الخط في أولها « سرلوحه » . كتبت بالخط النسخي
سنة ١١٢٨ . ووقفها عبد القادر بن احمد بن محمود في المدرسة المرادية سنة ١٢٨٢
٧ — الجزء الاول من كتاب الروضة في الفقه الشافعي للامام محي الدين النووي
(٦٣١ — ٦٧٦) النسخة قديمة اكل آخرها بخط حديث

٨ — الجزء الثاني من الروضة . نسخة عيسى بن سعيد بن أبي القاسم محمد بن
عبد الحميد البصراوي سنة ٧٢٩ وقوبل بالمدرسة الرحاصة سنة بضع واربعين وسبعائة .
٩ — الجزء الثالث من الروضة ، آخره كتب بخط يختلف عن اوله . وتم
سنة ٨٩٥

١٠ — الجزء الرابع من الروضة . نسخه محمد بن احمد بن ابراهيم الشافعي بالمدرسة
الثامية البرانية سنة ٧٤٢

١١ — الجزء الثاني من المهمات للانسوري وهي على شرح الوجيز الكبير للرافعي
وعلى مختصره المسى بالروضة للامام النووي . نسخه احمد بن محمد بن محمد بن عثمان
الخطيب الطوفي . جلده أثري .

١٢ — مجموعة تحتوي على خمس عشرة رسالة هذا تعدادها

١ — متن السنوية نسخت سنة ١١٨٦

٢ — كاشفة الحجاب والدين للخطيب الشربيني ، كتبها عبده يوسف

الزعي سنة ١١٨٧

٣ — شرح منظومة ابن فرح في المصطلح كتبها عبده يوسف الزعي سنة ١١٨٧

٤ - مقدمة الياس الكردي

٥ - الجوهرية الشافية في بعض مناقب السيدة الصديقة لعبد الله بن

ابراهيم الميرغني

٦ - الدرة البتيمة في فضائل السيدة العظيمة فاطمة لعبد الله بن ابراهيم الميرغني

٧ - المقاصد الفخرى في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى لعبد الله

ابن ابراهيم الميرغني كتبها ابن المؤلف علوي سنة ١١٨٩

٨ - رسالة فيما يورث الفقر والنيان للشيخ ابراهيم الناجي ، مخرومة في آخرها

٩ - عقيدة عن الدين ابي محمد بن عبد اللام السلي المثقب بسلطان العلماء

١٠ - شرح تائية مخرومة في اولها

١١ - نسبة خرقه الشيخ الاكبر

١٢ - حلية الايرال لمحبي الدين بن عربي

١٣ - شرح رسالة الشيخ رسلان

١٤ - ترجمة الشيخ رسلان

١٥ - حكمة سيدنا علي بن ابي طالب ، مخرومة في آخرها

١٦ - مجموعة خمس رسائل لمحبي الدين بن عربي هي :

١ - بلغة النواص الى مدن الاخلاص في معرفة الانسان

٢ - الاسرا الى مقام الاسرى

٣ - شرح اصطلاحات الصوفية

٤ - مشاهدة الاسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية

٥ - شرح مشكل المشاهد

وقد ملك هذه المجموعة سنة ١٠٧٧ شخص طمس اسمه ثم ملكه نبي الدين

الحصني سنة ١٠٨٠

- ١٤ - اثبر السبوك في فصائح الملوك للغزالي ، وقف حسن بن عبد الغني
الصواف سنة ١٢٢٢
- ١٥ - الفتوحات الوهية بشرح الاربعين النووية للشراخيتي ، كتبها محمد بن
سليمان بن ابراهيم المالكي الشهير بالدجوي
- ١٦ - حاشية حسن بن علي الازهرري المدافعي على شرح الاربعين النووية لابن
حجر وقف الحاج اسماعيل آغا امام اغلي الكردي سنة ١٣٤٥
- ١٧ - شرح الاربعين النووية لابن حجر ، كتبه حسين بن حسن الشافعي
سنة ١١٢٥ وقفه الحاج اسماعيل
- ١٨ - الاقتاع في حل الفاظ ابي شجاع للخطيب الشربيني ، كتبه علي بن
دياب الحموي سنة ١١٨١
- ١٩ - شرح الاجرومية للشيخ خالد ، وقف احمد بن محمد امام التبنية بالميدان
- ٢٠ - شرح الشفا للملا علي القاري جزءان ، الطبعة الاميرية بيولاقي سنة ١٢٥٧
- ٢١ - المجمع الكبير من القصائد الفخرية في حق نبينا محمد البشري .
طبع الاستانة ، سنة ١٢٩٨



آراء وانباء

ذكرى جيب

يُصدر مذياع لندن باللغة العربية مجلة نصف شهرية بالعربية اسمها « المستمع العربي » ينشر فيها خلاصة ما يذاع من الاحاديث والمسامرات وغيرها وتخصص الصفحتان الاخيرتان منها بالكلام على الكتب وقد قرأنا في العدد الاخير منها مقالة بقلم الاستاذ ا. ج. اريري في عمل الاستاذ نيكسون كبير علماء المشرقيات الانكليز - بمناسبة نشره كتاب مشوي في ثمانية اجزاء - جاءت فيها اشارة الى الوقف الذي خصصته والدته المشرق الانكليزي جيب (E. J. W. Gibb) قال : هضرت المنية عود جيب في سنة ١٩٠١ بالغاً من العمر خمساً واربعين سنة فقامت والدته تخليداً لذكراه بوقف املاك يخصص ربعها للغرض الذي ذكرته في عقد هبتها الا وهو تشجيع البحوث العلمية في تاريخ الاتراك والايرائين والعرب ، وآدابهم وفلسفتهم وديانتهم وهي العلوم التي خصص لها ابنها حياته منذ نشأته الى وفاته المبكرة المأسوف عليها .

وكان اول مجلد نشرته هذه المؤسسة الخيرية العلمية طبعة حسنة من نسخة خطية تركية لكتاب (Babur-nama) وموضوعه ترجمة الامبراطور المغولي العظيم بابور وقد ظهر هذا المجلد في سنة ١٩٠٥ . وقد نشرت هذه الجمعية خلال الخمس والثلاثين سنة مالا يقل عن ٤١ مؤلفاً تحتوي على ٦٢ مجلداً كما ساعدت مالياً على نشر اربعة مجلدات أخرى . وتختلف الكتب التي قامت بنشرها في موضوعها ومادتها ، من كتاب ارشاد الاربيب لياقوت الذي نشره الاستاذ مرجليوث في سبعة اجزاء الى ترجمة الامتاز منورسكي لكتاب حدود العالم وهو أقدم مرجع فارسي في الجغرافيا ، ومن كتاب تجارب الامم لابن مسكويه نشره العالم الانكليزي

كي لتراخ الى نسخة خطية مشروحة شرحاً كاملاً الى طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز الذي نشره العلامة الايراني عباس اقبال -

وقد اسدت هذه الأوقاف التي وقفها تلك السيدة الانكليزية تخليداً لذكرى ابنها النابغة اجل الخدمات للعلوم الاسلامية ، وتولى لجنة من كبار المستشرقين البريطانيين الاشراف على اختيار الترجمات التي تنشر . والباب مفتوح امام العلماء مما كانت جنيتهم ليقدموا ابجاثهم العلمية الى هيئة الأوصياء . والميزان الوحيد الذي تبني عليه الهيئة حكماً هو الدقة والامانة في البحث .

محمد كرد علي



المغرب في ترتيب العرب

جذب نظري ما كتبه الاستاذ عيسى اسكندر المملوف ، في مقال طويل يصف لنا المعجم المعروف بالمغرب للمطرزي

فتكلم عليه ولم يذكر انه مطبوع وقد برز من مطبعة « مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدرآباد الدكن الواقعة في الهند في سنة ١٣٢٨ للهجرة » فكان يحسن به ان يذكر لنا ذلك ، وان كان يجهله ، فكان يجدر به ان يطالع معجم المطبوعات ليوسف اليان سر كبس فقد نوه به في ص ١٧٦٠ من تأليفه هذا النفيس .

قل حضرته في ص ٦٠ من هذه السنة من المجلة انه يقال للاتون بالفارسية (كلخن) وهو للحام ويستمار لما يطبخ فيه الآجر ويقال له بالفارسية (توتق) و (راشون) . قلنا وفي المطبوع : (داشوزن) بدال في الأول وهو الصواب . وقول المطرزي : « والجمع اتاتين باجماع العرب . عن الفراء » يحتاج الى تحقيق اذ المشهور ان اتون الخقف يجمع على اتن كمتق . واما اتون كسفود الشدد فيجمع على اتاتين

فكان يحسن بالأستاذ المعلوم ان يلقي نظرة على كلام النغوين (راجع التاج لتقع على الحقيقة في هذه المادة)

وذكر لنا أن الإزار ضرب من أجود التمر ، ونحن نعلم أن الذي هو ضرب من أجود التمر هو (الأزاد) ككتاب . - فالظاهر ان الأصل كُن هكذا : (الأزاد) : (بالندال المعجمة في الآخر : ضرب من أجود التمر . و (الإزار) ، (كتاب) : الملحفة . فحذف كلمة ، فاضطرب عليه الأمر ، وفشت عليه الضيعة . وقد ذكر رؤوس مواد ولم يذكر ما تقدمها من الكلام فجاء مبتوراً ، ولا يتسق الا بشق الأتقى ومنه ما ذكره في أغلب المواد التي أشار إليها إشارة خفيفة كإطار وأوى الى غيرهما كضَبَّ والطحانة والفالج الخ .

واما (الزُطَة) فهم غير النور أو الفجر فأولئك جيل من الناس كانوا في الهند وأصل اللفظة (جت) كما قال حضرة لكن الجيل الواحد غير الجيل الآخر . واغرب ما جاء في مقاله هو ما يأتي (في ص ٦١) « الشراخ هو في عدة السنة الشمسية ... » وليس هذا من كلام النور ، ولا من لغة اهل واقواق ، ولا من لغة ملقي لفظ (الخنشار) ؛ انما المطرزي ذكر في مادة (شم رخ) : الشراخ ثم قال : « في عث » اي اطلب شرح الشراخ في مادة (عث) فقرأ قول المؤلف : « في عث » : « هو في عدة السنة الشمسية » وهذا من اغرب القراءات واجراًها . ثم جاءت بعد ذلك مادة (شم س) .

وقال في تلك الصفحة اي ٦١ : « على رأي بطليموس » ثم قال في الحاشية : « هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو العواب »

فنقول له : ان الوارد في المطبوع هو (بطليموس) اي بتقديم الياء المثناة التحتية على الميم تقديمًا صريحًا ، وكتاب العرب اختلفوا في هذا الاسم ولكل من هاتين اللغتين علماء لغويون مشهورون . ويميز لكل كاتب ان يتبع الرأي الذي يوده وليس هناك تفضيل رأي على رأي .

ثم ان هناك فرقاً بين ما نقله الامتاز المعلوم وبين ما هو مطبوع في الهند في

نص عبارة السنة الشمسية وعبارة السنة القمرية . فليراجع هذا النص المطبوع .
 وتزبد على ما تقدم : أن القارئ يرى اختلافات آخر في ما كل ما نقله الأستاذ
 المعلوم عما هو مطبوع وفي كل مادة من المواد . فليراجع المطبوع فيها كلها
 وذكر حضرته في ص ٦٢ : (عن أبي دريد) والمشهور (ابن دريد)
 وقال في تلك الصفحة : « ومنه الحديث » (بالحديد يفلح) والصواب : « ومنه :
 » الحديد بالحديد يفلح » وليس هنا حديث نبوي ^(١) وقال في ص ٦٣ : « قمع السرة
 ما يلتزق بها حول علاقتها » والصواب « قمع البسرة : ما يلتزق بها ٠٠٠ والفرق
 بين السرة والبسرة كالفرق بين البقرة والبقرة . وقال في تلك الصفحة :
 « القنب » قال الكرخي في القنب : إنه لحاء خشب ٠٠٠ والصواب : « قنب »
 [كذا يجب أن يقال للمادة بدون ادخال ال كما يفعل حضرته] : الكرخي (وليس
 هناك : « قال » . إذ هذا من مصطلحاتهم لأنهم إذا قالوا الكرخي ، فمعناه : قال
 الكرخي ، بدون ذكر (قال) : لا شيء في القنب لأنه لحاء شجر [لا لحاء خشب كما
 قال حضرته]
 ولا أريد أن أمن في هذه المقابلات ، فأجتزئ بهذا القدر الوشل ، ومن شاء
 الاطالة فعليه بمراجعة النسخة المطبوعة والله المسهل .
 الاب أنستاس ماري الكرملي



(١) جاء في التاج في مادة (ح د د) : « والفلح الثن والطعم » قال الناصر :
 قد علت خبك أين المصحح ال الحديد بالحديد يفلح
 أي يثن ويظلم . وورد الأزهري هذا البيت شامداً ثم قلت الحديد : إذا قطعت « انتهى

نظرة في النظرات اللغوية

كنت وما زلت من المعجبين بسمة علم العلامة الاب انتاس الكرملي وما يبذله من جهود في التحصيل اللغوي واجدني ولوعاً بمطالعة مباحثه القيمة ذات الفوائد الجليلة وأنا جد مسرور بما كتبه في نظرائه اللغوية في مجلة انجمن علي العربي (١٦: ٥٣٨) ولا سيما كتاباته على ما كنت كتبه في المجلة نفسها (١٦: ١٧) تحت عناوين اسماء متخبة لمسميات جديدة

ورأيت الآن ان اوضح رأيي في اختياري هاتيك الاسماء التي خصها ببعض بحثه هذا

القنع والقناع

صدرت بحثي في هاتين الكلمتين «بالقنع» وفي ذلك ما يشعر بتفضيلي له على القناع ولكني تركت الترجيح بين الكلمتين للجمع فذكرتهما في الشرح معاً ورأى الجمع الاكتفاء بالقنع وترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها وانا موافق على ذلك تمام الموافقة والسيد الكرملي موافق أيضاً لقوله وقد استحسننا ما ذهب اليه انجمن... وأما الذي عرفه الأب العلامة من لفظ الحديث «أني بقناع جرو» انه بالواو فهو الذي عرفته أنا أيضاً وهو الذي كتبه بل يعرفه كل من يأخذ الحديث عن النهاية من مادة (ج ر و) وربما كان رسم الواو وقع مني شبيهاً برسم الدال (وليس ذلك بنزيب) فاشتبه على مرتب الحروف والآن فكيف آخذ الكلمة من مادة ج ر و واجمعها على أجرثم ارسما بعد ذلك بالدال ؟ قد اشتبه هذا على مرتب الحروف كما اشتهت عليه كلمة استهجان وهو استفعال من المجنة «بالتهجان» اي اشتهت السين اللام (وكأنها اقيم رأسها في الرسم) وكان صواب العبارة هكذا «من استهجان كاد يكون عالماً» على أن ذكر جملة كاد بعدها يدل على أن الموصوف بالجملة نكرة ولو حمل ذلك على الغلط في الطبع او في النسخ لكان أولى بحسن الظن . ولا تزال الى جنب هذه الغلطات غيرها جاءت من الطبع ولا تخفى على المتأمل

فني ص ١٧ س ٤ غلطة وفي ص ٥ منها غلطة وفي ص ١٠ منها غلطة وفي ص

١٩ ص (٨) غلطان وهكذا يمكن استخراج الغلط المطبعي من جل ما يطبع

السفن

لم يكن في صدر الناقد الكبير حاجة الى وضع هذه الكلمة لما يعرفه العرب والعراقيون بكاغد السبادج كما قال وقال انه ذكر هذه الكلمة الأخيرة القاموس وتاج العروس والظاهر أن المشار اليه بهذه هي الكلمة التي يعرفها العرب والعراقيون أما المعروف بالسبادج في بلاد الشام فهو غير ورق البرداح لأن السبادج يحلى به الحديد والجواهر وورق البرداح يسفن به الخشب ونحوه ويصقل وعبرة القاموس والتاج ندل على أن السبادج حجر يحلى به الحديد وهذا نصها (السبادج بالضم) فكون النون وفتح الدال المعجمة (حجر يحلو به الصقل السيوف وتحلى به الاسنان) والجواهر (انتهى) وجاء في لسان العرب في معنى السفن ما نصه «وقال ابو حنيفة السفن جلد ضب او جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف» هذا هو وصف السفن في كتب الائمة واذا أردنا ان نصف ورق البرداح او ورق الزجاج بما هو به فنقول هو ورق خشن بما يلصق عليه من قنات الزجاج ونحوه تحك به السهام والقدحان حتى تذهب عنها آثار المبراة او حتى تملأ من قنات الزجاج ونحوه تحك به السهام من اطلاق السفن على ورق البرداح او ورق الزجاج او ورق السبادج ما دام الوصف فيها متحدًا والتحلية واحدة

وانما السفن لفظة عربية خالصة خفيفة على اللسان وعلى السمع ولا ريب اننا اذا قلنا سفن العود كان احسن من قولنا يردخه الثقيلة الدخيلة ومن ان نشق فعلًا من السبادج فنقول سنبجه او سنبذه واختصر من ان نقول جللاه او صقله بورق الزجاج او البرداح او السبادج، وما أشبه الاسباب التي جعلني اختار السفن على ما يعرفه العراقيون بكاغد السبادج والشاميون بورق البرداح بالاسباب التي جعلت مجمع اللغة العربية الملكي يختار كلمة الهدام على «دوار البحر فقد جاء في تعليل ذلك بقوله .

«وتفضيلنا هذا اللفظ (الهدام) يرجع إلى سببين الأول أنه لفظ مفرد غير مركب كدوار

البحر والثاني انه يمكن ان يؤخذ منه فعل على خلاف « دوار البحر »؛ فيقال 'هدم الرجل' (مجلة مجمع اللغة العربية ٢ : ١٣٠)

وكونها مستعملة في العراق بهذا اللفظ المركب ومستعملة في الشام بلفظ مركب آخر لا يحول دون اختيار لفظة مفردة هي أخف والظن معروفة الاستعمال في الفصحى كما لم يحل تعارف استعمال دوار البحر في البلاد العربية اليوم دون ان يضع لها اكبر مجامع اللغة العربية وأجلاها «لفظة الهدام»

الحسك

وأيت زميلي لا يوافق على تخصيص الحسك في السلك الثالث فيقع حينئذ في التاريخ وكتب اللغة خبط وخط لأن الواحد منها غير الآخر ، أما في اللغة فان الحسك هو حسك السعدان ونحوه واستعير لما يعمل من الحديد على مثاله فيلقى حول العسكر هكذا قالت الائمة وانما كانت الاستعارة لانه على مثاله واما كونه يلقى حول العسكر في الحرب فهو بيان للغاية وهو خارج عن ماهيته ومفهومه فهو اذا حسك سواء فيه ألقى منشوراً او نظم في سلك . والاستعارة على وجوبها الصحيح فيها لكن الحسك المنشور لم يبق له استعمال في حروب هذه الايام لقلة غنائه وان كان فهو من الدور بحيث لا يؤبه له واما الحسك المنظوم فهو اليوم كثير الاستعمال جداً في الحروب وغيرها وان هذا الفرق كان في عدم حصول الخلط والاشتباه

ثم ان الحسك قد يتخذ من خشب فينصب حول العسكر كما جاء في لسان العرب وغيره ومع هذا فهو حسك غير منشور ولم يحصل في كونه من معاني هذا الحسك خبط ولا خلط افلا يكون السلك الثالث من هذا القليل

ثم ان الحسك لفظ مفرد غير مركب وهو مفضل على السلك الثالث المركب اللفظ وتلك طريقة مجمع اللغة العربية الملكي العملية (مجلة ٢ : ١٣٠)

الجناح

فسر الائمة الجناح بالناحية كما في مفردات الراغب وغيرها وفسروه بالجانب كما

في التاج وغيره . فالتاحية اذاً من معانيه الصحيحة التي قال بها الخوارير وان الجزء المستقل من الطبقة هو ناحية منها بلا ريب وهو معروف في الديار الشامية باسم الجناح فاطلاقه على الجزء من الطبقة صحيح جارٍ على المنهج اللغوي ولا يحتاج في هذا الاطلاق أن نجرد شيئاً من معنى الجناح لتصح هذا الاطلاق

لكن الثقة التي وضعها مجمع مصر هذا الجزء المستقل من الطبقة قد احتاج المجمع لان يجردها من بعض معناها كما جاء في مجلد ٢ : ٦٤ واذا كان اسم الثقة بعضه اصطلاح علماء مصر وأدبائها ولغوييها عليها فاسم الجناح بعضه اصطلاح علماء الشام وأدبائها وعامة أهلها عليه هذا تراني جنحت الى تفضيل الجناح على الثقة ولا تثريب علي في ذلك ولست إخال ان اعتراضى هذا بعد تطاولا وجراًة منى على المجمع العظيم الذي يضم اليه جهابذة اللغة . لأنه قد أباح الانتقاد والاعتراض عندما وضع هذه المسميات وذلك بالقرار (٧) من محضر الجلسة ٣٠ كما في مجلد ٢ : ٣٥ وأنا كنت يومئذ قدمت اليه نظرتى هذه في هذا الوضع قبل تمام السنة المضروبة مدة للاعتراض نعم ان اصطلاح المصريين على الثقة يجعل لها قيمة ولكن ذلك لا يمنع ان يبحث باحث فيجد كلمة احسن منها قد اصطلح عليها علماء قطر عربي آخر وادبائه فيعرضها على علماء اللغة وفي جملتهم مجامع اللغة التي اليها المرجع في ذلك

الحيفة والطريدة

ان صحة اشتقاق البراءة للبراءة لا اعتراض عليه البتة وانا انما اخترت او فضلت (بعبارة أخرى) الحيفة على البراءة لأنها أخف لفظاً وأبعد عن الاشتباه بالبراءة التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي لاداة يري الانلام المعروفة بالمطوء . والحيفة أيضاً لفظ عربي من مادة عربية خالصة وقد استعملت عندهم لما يشبه هذا المعنى (الحديث) ولهذا قلت عند اختياري لما فلتدع البراءة لما وضعها له مجمع مصر ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني نقليلاً للاشتراك ودفعاً للاشتباه (مجلة المجمع العلمي ١٦ : ٢١) وأما الخراطة والطريدة فالأمر فيها سهل وكما بغد الخراطة كثرة الاستعمال وشيوعها : بعض الطريدة اصلها العربي وانها أخف وأعذب .

الدسكرة

أرى ان الحق مع رصيني العظيم وانها العزبة المعروفة بمصر ولهذا نزلت على تحقيقه مسلماً به وأقول ما قاله احد الحكماء اني لأستحي من الحق اذا رأيت ان لا أتبعه وأشكر للاب العلامة افادته

الطرز والطرز

خلاصة ما ذهب اليه ائاب المفضل ان الطرز منقول عن الفارسية وهو فيها طرز بتقديم الزاي على اراء وان الطرز بمعنى البيت الصيني الذي ذكره بعض العرب مصحف الطرز او ترز الفارسية ليس الاً ويسألني في أي كتاب لغة فارسية وجدت الطرز بمعنى البيت الصيني فأجيب سؤاله اولاً بأنني لأعرف الفارسية وإنما رأيت الأزهرى يقول فيه «أراه معرباً وأصله ترز (لسان العرب مادة ط ر ز) فاتبعته في ذلك ثقة مني به وهو من هو بين أئمة اللغة صاحب تهذيب اللغة الذي هو أحد موارد لسان العرب .

ثم أقول ثانياً ان ما ذهب اليه الاستاذ هو مبني على تحقيق جيد لكني لأرى نفسي مطمئنة منه الى ان الطرز بمعنى البيت الصيني غير مستعمل في العربية وان الذي ذكره من الأئمة النحارير قد تصحف عليهم وإنما ذكره صاحب لسان العرب المتوفى ٧١١ هـ وابومنصور الأزهرى صاحب تهذيب اللغة المتوفى ٨٣٧٠ هـ وابو الحسن ابن سيده المرمي المتوفى ٤٥٨ هـ وصاحب تاج العروس السيد المرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ هـ وقد ذكره ابن منظور في باب الزاي فصل الطاء وذكره صاحب التاج في مستدرك طرز في الباب نفسه مما لم بدع مجالاً بانه عندها أيضاً بتقديم الراء على الزاي فظهر من هذا كله ان الطرز والطرز كليهما يطلق على البيت الصيني ففضلت حينئذ الطرز على الطرز لأنها اعذب واخف وبعيدة عن الاستهجان ثم إن كون الطرز فارسية الأصل وان الطرز لا وجود له بهذا المعنى في المعجمات الفارسية لا يتنافى مع استعمال العرب له لأنهم رأوه اخف فصاروا اليه والتعريب لا يحول دون تغيير

حركة او حرف او قلب او تحريف فقد قالوا ان السدير معرب مهمل وساباط معرب
بلاس اباد والزرقانة معرب اشترياته كما في القاموس ورسالة العربات لابن كمال باشا
وعربو الصقر من جرج على ما جاء في رسالة العربات المذكورة وانا نجد كثيراً من
الاسماء والافعال تنقلب حروفها ويبقى المعنى كما هو كما في الجذب والجذب والوافه
والواصف نعم ان الطرز مع صحة اطلاقها على البيت الصيني تبعاً لهؤلاء الأئمة
الجهابذة انما هي اخف من الطرز لان انحرط الوسط اثقل من ما كنه والانتقال
من الزاي الى الراء اثقل من الانتقال من الراء الى الزاي

ثم اقول أليس الجنوح الى هذا الرأي وقد قدمت حجتي فيه امون خطباً واقرب
لاجلال قدماء الأئمة ونحارير اللغة الذين طووا اعمارهم في تهذيب اللغة وتدوينها من ان
نذهب الى انه تصحف عليهم جميعاً او تبع بعضهم بعضاً فيه دون اتياء الى انه مصحف
وهل انا في ذا يا حمدان ظالم
احمد رضا

في كتاب الامتاع والمؤانسة

١ - في ص ١٩٥ من كتاب الامتاع والمؤانسة للتوحيدي (طبع لجنة التأليف

والترجمة والنشر) هذا النص :

« واذا القوا شبكة ليصطادوا فوقع فيها الزامور خلوه حياً وأخذوه واعتقوا لكرامته
أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء » وعلق الناشران وعلى هذه الجملة قولها :
« وعبرة الأصل : « وأخذوا اصناف السمك » وقوله : « وأخذوا » واقعة في غير
موقعها ، وقد أثبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك . » ١
والواقع أن الأصل هو المستقيم ، وبتغيير الناشرين اضطرب الكلام وفسد
والصواب أن يقال : « خلوه حياً واعتقوه لكرامته » وأخذوا اصناف السمك . . . »
وينضح ذلك بكلام منقول عن التوحيدي نفسه في الموضوع عينه بدعم مذهبنا
اليه وبشرحه ويثبت أنه الوجه لا وجه غيره :

جاء في (حياة الحيوان للدميري ٢ : ٤ طبعة البابي الحلبي سنة ١٣١٩ هـ) مانعه :
(الزامور) قال التوحيدي : انه هو حوت صغير الجسم ألوف لأصوات الناس .

مستأنس باستماعها ولذلك يصحب السفن متلذذاً بأصوات أهلها . وإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بيها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ولا يزال يزمر فيه حتى يفر الحوت الى الساحل يطلب جرفاً أو صخرة ، فإذا اصاب ذلك فلا يزال يضرب به رأسه حتى يموت . ويركب السفن بحبونه ويظعمونه ويتفقدونه ليدوم الفخ لم وصحبته لسنهم يسلموا من ضرر السمك العادي . وإذا ألغوا شباك الصيد فوق الزامور فيها أطلقوه نكرامته .» وهذا نص قاطع صريح .

٢ - زاد ناشر الكتاب كلمة (لما) في موضعين ختاً سقوطها منها ، وهما :

١ - ص ٢٠٠ « ليس ينبغي أن جسدنا ليس مدفوعاً دفعاً ولا مجروراً أجراً : [لما] كذا كل مدفوع أو مجرور متحرك لا محالة من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطراباً . » وعلق الناشران بقولهما : هذه الكلمة [لما] ساقطة من الأصل .

٢ - ص ٢٠١ « وقد استبان أن النفس هي الحية المحركة للجسد الذي هو الجوهر ، و [لما] كان كل عي محرك للجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر » ١ هـ والذي ارى ان الأصل في الموضعين اجود ، والكلام بحذف [لما] منها يستقيم ويخلو من الركاكة . و [لما] هذه لاتصلح للتعليل على رغم شيوعها في عبارات الصحف والمحامين ، وإنما تقع ظرفاً أو حرفاً لغير التعليل . واستعمالها للتعليل خطأ حادث مما تقدم به الزمان لا يتناول الى القرن الرابع عصر التوحيدية مؤلف كتاب (الامتناع والموانسة) .

ولعل من المفيد أن يطرفنا باحث في أول شيوع هذا الخطأ في عصرنا او العصر الذي قبله ، وفي أول النصوص التي حملت هذه الركاكة ونحوها مما ينطرق الى عبارات بعض العلماء وأهل الأدب .

استدراك

أشير هنا مستدركاً سهواً وقع فيه سطر ٧ ص ٣٧٥ من مجلة المجمع (السنة ١٦) : إلى أن كلمة (شعودة) صحيحة نصيحة مثل شعبة .

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد السابع عشر

الصفحة	
٩٧	الساميون والتاريخ للأستاذ محمد كرد علي ...
١٠٦	الأوهام العائرة للأب انتاس ماري الكرملی
١١٤	بقايا القصاص للأستاذ شفيق جبري ..
١١٧	الطیرمأح بن حکیم الطائي خليل مردم بك ..
١٢٨	صفحات مطوية عبد الله مخلص ...
١٣٢	اقتراء ابن بطوطة على ابن تيمية محمد راغب الطباخ
١٣٥	عشائر الشام وصفي زكريا ...
١٤٢	طاغور شاعر الهند مير بصري ...
١٤٧	جامع التواريخ أو نثر الخاخرة بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم للقاضي التنوخي الأستاذ د . س . مرجليوث

مخطوطات ومطبوعات

١٦٠	جواهر البيروني «الجماهر في معرفة الجواهر» .. للأستاذ محمد كرد علي
١٦٣	علم الأمراض الباطنة في سبعة اجزاء للدكتور أسعد الحكيم
١٦٧	منشورات المجمع العلمي المصري للأمير مصطفى الشهابي
١٦٩	النقود العربية وعلم النميات جعفر الحسني ..
١٧٢	المدرسة النظامية وتاريخها للأستاذ محمد المبارك
١٧٥	طرائف الامس غرائب اليوم
١٧٦	مخطوطات من محنين دمشقين

آراء وأبناء

١٨١	ذكرى جيب للأستاذ محمد كرد علي ...
١٨٢	المغرب في ترتيب المغرب للأب انتاس ماري الكرملی
١٨٥	نظرة في النظرات القوية للأستاذ أحمد رضا ...
١٩٠	في كتاب الامتناع والمؤانسة سعيد الأفغاني ..

مَجْلَدُ الْمَلِكِ عَلِيِّ الْعَرَبِيِّ

أيار وحزيران ١٩٤٢

جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٣٦١

(١) حكمة حكيم عربي

ما كانت الرحلة في طلب العلم أيام استبحار العمران في الديار الاسلامية بأقل من تنقل العلماء اليوم في الغرب لاتمام الثقافة والبحث . واذا سهل اليوم على ابن هذا العصر التنقل من قطر الى قطر بل من قارة الى قارة فقد كانت المواصلات في القديم من الصعوبة بمكان ، على محاولة أهل تلك العصور تسهيلها .

وكانت حواضر العلم في الاسلام لا تقل شأنًا عن حواضر العلم في الغرب لهدنا ، ويزيد بلاد الاسلام رونقًا كثرة العواصم العلمية ، فاذا كانت البرتغال تفاخر بقلمرية واسبانيا بصلبنكة وفرنسا بباريز وبريطانيا باكسفورد وكمبردج وهولاندة بليدن والمانيا بليبسيك وايطاليا ببولون ، عادةً لها حواضر العلم فيها ، فان المملكة الاسلامية كانت تفاخر بعواصم كثيرة كل واحدة في العلم ليست دون الحواضر الكبرى . فقرطبة وطليطلة وغرناطة وافريقية والفسطاط ودمشق وبغداد ونيسابور والري وممرقند وغزنة وعشرات غيرها من كبار المدن كانت مفخرة من المفاخر بما قام فيها من دور علم وكثرة دارسين ومدرسين ، وخزائن كتب . وبيننا كنت تجد العالم المحدث من ابناء الاندلس في الغرب يقصد الى خراسان في الشرق ليتلقى حديثًا ويصل سنداً عالياً بسنده كنت تجد ابن السند يسافر الى ما وراء النهر لا يحسب للمساف التي يقطعها حساباً ، ولا للايام التي يصرفها في سبيل اقتباس العلم قيمة .

(١) حديث للأستاذ محمد كرد علي أتمى باسمه في راديو فلسطين بالقدس

نبغ في دمشق في القرن الثاني حكمي فيلسوف قالوا انه من ادرك الاتباع وكلامه مستفاد في الحكمة اسمه صالح بن جناح النخعي فرحل الى نيسابور ، ولا يعلم لأي غاية ، وهناك في عاصمة خراسان أخذ عنه الحكمة عالم الاسلام عمرو بن بجر الجاحظ .
عربي يأخذ الفلسفة عن عربي في أرض مها قيل فيها فهي فارسية ، ذلك لأن الاسلام قضى على العنجهية الجنسية ولم يبق ذكراً لحماية الجاهلية وتعصب الشعوية .
نبغ هذا الحكيم العظيم في زمن لم يتم فيه نقل حكمة القدماء الى اللسان العربي ، وما أخذ على ما يظهر الا عن حكمة الاسلام والعرب ، وما امتزجت ثقافته الا بقليل من ثقافة الامم التي كانت قبل الاسلام كالروم والفرس والهند والسريان والكلدان .
تبين ذلك من كلمات أثرت عنه ومنها كتاب (الادب والروء) الذي ظفر به العلامة الشيخ طاهر الجزائري ونشره بعد نحو اثني عشر قرناً مضت على تأليفه .
وتتجلى الرشاقة والسلاسة في كلام صالح وكأن انشاء انشاء رجل من أهل القرون التالية يكتب ليفهم وليعلم ، ويبسط كلامه حتى تحصل منه فائدة يتوقعها في انارة عقول العوام والخواص .

استمع اليه يقول لابنه : يا بني اذا مررت بك يوم ليلة قد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى ، فكم من مسلوب دينه ، ومنزوع ملكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره ، في ذلك اليوم وانت في عافية وفيه يقول :

لو أنني أعطيت سؤلي لما سألت الا العفو والعافية

فكم فتى قد بات في نعمة فسل منها الليلة الثانية

وفيه اشارة الى حديث ابي بكر رضي الله عنه : سلوا الله العفو والعافية والمعافة ، والمعافة هي ان يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك اي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم .

وقال : اعلم ان من الناس من يجهل اذا حلمت عنه ، ويجهل اذا جهلت عليه ، ويحسن اذا أسأت به ، ويسئ اذا أحسنت اليه ، وينصفك اذا ظلمته ، ويظلمك

إذا انصفته ، فمن كان هذا خلقه فلا بدّ من خلق ينصفك من خلقه ثم فحة تنصف من فحته ، وجهالة تقدع من جهاته . والا أدّلك ، لأن بعض الحلم اذعان ، وقد ذل من ليس له سفيه بعضده ، وذل من ليس له حكيم يرشده . وهذا مقتبس من روح الشرع .

وقال : اعتبر بما لم ترو من الأشياء بما قد رأيته ، وما لم تسمعه بما قد سمعته ، وما لم يصيبك بما أصابك ، وما بقي من عمرك بما قد مضى ، وما لم يبل منك بما قد يلي . وقال : إذا طلب رجلان أمراً ظفر به اعظمهما مروءة . وقال : اصل المروءة المزم وثرها الظفر .

يقول ابن عساكر : ان صالح بن جناح كان عديم نظير القول في المواعظ والأدب ، وهو القائل :

الا انما الانسان غمد لقلبه ولا خير في غمد اذا لم يكن نصل
وان تجمع الآفات فالنجل شرها وشر من النجل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذباً ولا خير في قول اذا لم يكن فعل
وكان صالح شاعراً مجيداً وقف شعره علي بث الحكمة كما وقف ثره ،
وأنشد له الجاحظ

تعلم اذا ما كنت لست بعالم فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى من الحلة الحسناء عند التكلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتي ولا متعلم
وعرف المروءة تعريفاً آخر فقال : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمي بالشيء الواحد اشياء ، فاذا منع لك ذكر شيء فاذكره بأحسن اسمائه فان ذلك من المروءة ، وانما المروءة بمرؤته ، فالمرؤة اجتناب الرجل ما يشينه ، واجتناءه ما يزينه ، وانه لا مروءة لمن لا أدب له ، ولا ادب لمن لا عقل له ، ولا عقل لمن ظن ان في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره . وشتان بين عقل وافر معه خمسون عقلاً كلها وافر مثله وأوفر منه ، ومن عقل وافر لا قادة معه .

وقال فيمن فعل أمراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة ، او خاصه بغير حجة ، او صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخضم نفسه وقتل نفسه ، فان ابتليت بقتال احد او مخاصمته او مصارعته فأحسن الاعداد له ، واعرف مع ذلك عدته وأبصر حجته ، وخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك ، فان رأيت تقدماً والآخر كان التأخر قبل التقدم ، خيراً من التندم بعد التقدم . وفي ذلك أقول شعراً :

إذا ما أردت الأمر فاعرفه كنهه وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالماً من ندامة فلا خير في أمر أتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة او عدة او قوة فتكون عدته هي التي تقتله ، وقوته هي التي تصرعه ، وحجته هي التي تخصمه ، وذلك انه ربما أدل فقاتل ، قبل ان يعلم أهو اعد أم الذي يقاتله ، وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه ، فاذا هو قد قتل او صرع او خضم ، فلم ينفعه جودة عدته ، ولا قوة حجته ، حين أتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

إذا ما أتيت الامر من غير وجهه تصعب حتى لا ترى منه مرثقا
فان الذي يصطاد بالفخ ان شئت على الفخ كان الفخ اعنى وأضيقا

وقال في معرفة الاخوان : انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ، ولن تخبره حق الخبرة ، ولن تجربه حق التجربة ، وان كنتما في دار واحدة ، حتى تسافر معه ، او تعامله بالدنار والدرهم ، او تقع في شدة ، او تحتاج اليه في مهمة ، فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته ، فانظر اذا كان اكبر منك فاتخذ اباً ، وان كان اصغر منك فاتخذ ابناً ، وان كان مثلك فاتخذ أخاً ، وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن .

وقال : كن من الكريم على حذر ان اهنته ، ومن اللئيم ان اكرمته ، ومن العاقل ان اخرجته ، ومن الاحمق ان مازحته ، ومن الفاجر ان عاشرته ، ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ، ولا تقبل على من لا يجب اقبالك ، وكن حذراً

كأنك غر ، وكن ذا كراً كأنك ناس ، والزم الصمت الى ان يترمك التكلم ، فما
أكثر من يندم اذا نطق ، وأقل من يندم اذا لم ينطق ، واذا ابتليت فعند ذلك
تعرف جودة منطقتك ، وقلة زلللك ، وسعة عقوك ، وقلة حيلتك ، ومنفعة قوتك ،
وحسن تخلصك .

واعلم ان بعض القول اغمض من بعض ، وبعضه ابين من بعض ، وبعضه اخشن من
بعض ، وبعضه الين من بعض ، وان كان واحداً ، فان انكبة اللينة لتلين من القلوب
ما هو اخشن من الحديد ، وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ما هو الين من الحرير ،
وان اعظم الناس بلاء وودومهم عناء واطولهم شقاء ، من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد
مطبق ، فهو لا يحسن ان ينطق ، ولا يقدر ان يسكت ، واعلم ان ليس يحسن ان
تحيب من لا يسألك ، ولا تسأل من لا يجيبك .

* * *

وقال في تضييف الطعام : اذا كنت ممن يؤكل طعامه ، وتحضر مائدته ،
ويؤكل معه ، فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من ألأ الناس في عمله ، وانظفهم
في يديه ، ولا تدع اعلامه ان احسن ، ولا انذاره ان اماء ، فان تعبتك عليه خير
من تعبت الناس عليك .

واعلم ان لكل شيء غاية ، وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء ، والاكثر
من الماء حتى يستوي البدات والريح والمنظر ، فانه لا طيب اطيب من الماء ، ولو انه
المسك وما أشبهه من الاشياء ، وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء اثوابه ، وانما
يكون القدر في الحمق من الرجال والنساء ، وبه يستدل على بلادتهم .

وقال في العقل والادب : اعلم ان العقل امير وان الادب وزير ، فان لم يكن
وزير ضعف الامير ، وان لم يكن امير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل
الصيقل والسيف ، فان الصيقل اذا أعطي السيف اخذه فصقله ، فعاد جمالاً ومالاً
وعضداً يعتمد عليه وملتجأ اليه ، فالصيقل الادب والسيف العقل ، فاذا وجد الادب

عقلاً نفقه ووقفه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف ، وإذا لم يجد عقلاً لم يعمل شيئاً لأنه لا يصلح إلا ما وجد ، وإن من السيوف لما يصقل ويسقى ويخدم ثم يباع بأدنى ثمن ، ومنها ما يباع بزنه دراً وزيرجداً ، وذلك على نحو الحديد وجودته أو رداءته . وكذلك الرجال يتأديبان بأدب واحد ، ثم يكون أحدهما انقذ من الآخر أضعافاً مضاعفة ، وإنما ذلك على قدر العقل وقوته في الأصل .

* * *

وقال في الحكمة : أما ما يسمع من كثير من الحكمة فإن أوله شيء يخطر على الأفئدة إذا خطر ، وهو اصفر من الخردة ، وادق من الشعرة ، وأوهن من البعوضة ، ثم تحركه اللسان ، وتنبذه الأفئدة ، كما يحاك البرد ، وكما يمدُّ النهر ، فيعود أكثر من الكثير ، وأوثق من الحديد ، وأثمن من الجوهر ، وأحسن من الذهب ، وأتق من كليهما ، لأنه يزيد في المنطق ، ويذكي الذهن ، ويعين على الإبداع ، ويتجمل به القائل ، ويتقلب فيه كيف يشاء ، ويختار منه ما يشاء ، فينتفع به الطيف ، وينبل به السخيف ، ويزيد به الكثيف ، ويتأيد به الضعيف ، ويزداد به الأبد قوة في منطقته ، وبلاغته في كتبه ، فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطيبهم ، وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم ، وللكرماء في بشاشتهم ، وللشعراء في قصائدهم ، فإذا كنت ممن يؤلف حكمة ، أو يضع رسالة ، أو يذكر مهمة ، فلا تكلم قلبك ، ولا تذكر ذنك ، فإنه إذا أكره كل ووقف ، ولكن إن كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له ، والتأخر عنه على التقدم فيه ، فإن الذهن ينجم كما ينجم البثر ، ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في المداراة : إذا هبطت بلداً أهلها على غير ما تعرف ، وانت على غير ما يعرفون ، فالزم كثيراً من المداراة ، فما أكثر من داري ولم يسلم ، فكيف بمن لم يكن منه مداراة ، وفي ذلك أقول شعراً :

يا ذا الذي أصبح لا والداً له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلها آدم فأني نفس بعده خالدة
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة

وقال في التفاضل : لا ثقل فلان أغنى مني ، وانا احرم منه ، فانه لو جمع العقل والشدة والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم وبقي قوم لا شيء لمهلكوا ، ولكن الله عز وجل قال : (أ هم بقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فأوتي بعضهم عقلاً ، وبعضهم مالاً مع أشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معاشهم ، ثم احوج بعضهم الى بعض فعاثوا ، وانما مثل الرجل ورزقه ، ومثل عقله وأدبه ومروءته وحكمه كمثل الراعي ورميته ، فلا بد للراعي من سهم ، ولا بد لسيمة من قوس ، ولا بد لقوسه من وتر ، ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ، ويصيب به ما بلغ ، ويجوز به ما أصاب والا فلا شيء .
فإنراعي الرجل والرمية ازرق ، ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ، ولا شيء من ذلك الا بقدر .

وقال في النهي عن مجالسة أهل الاهواء والبدع ومحدثهم : اما هذه الاهواء فاني لم ار أحداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمى ، لان امر الله اعز من ان تلحقه العقول ، ولم أر اثنين تكلموا فيه الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما النصيحة فلا ، ومن غلط في هذا او مثله قائما يغالط نفسه ، وعليها يتخاط ، وابادها يخدع ، او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع .
وقال : اذا قيل لك اي شيء اطول فقل الكلام ، واذا قيل لك اي شيء اقصر فقل الكلام ، لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة ، وقد يكون جوابها الف كلمة وأكثر . ولن تدرك الكلام حتى تذره ، ولن تذره حتى تحذره ، وفي القول خطأ كثير ، وبعضه صواب ، وان الصمت منه لأصوب فاترك منه ما لا تنتفع بأخذه . وخذ منه ما لا تقدر على تركه ، واسجن لسانك كما تسجن عدوك ، واحذره كما تحذر غائلته .

وقال في الحاسدين : اعلم انك لن ترقى من الخير درجة ، ولن تبلغ منه مرتبة ، ولن تنزل منه منزلاً الا وجدت فيه من يحسدك ، وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكما

فانه ان حكم لن يحكم الا عليك ، وان قصد لم يقصد الا اليك ، وان دفع لم يدفع الا حقك ، وفي ذلك أقول شعراً .

ولو كنت مثل القدح ألفت قائلاً الا ما هذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل ألفت قائلاً الا ما هذا النصل ليس بصارم

وهذا المعنى مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لو كان المرء اقوم من القدح لو وجد له غامر » (والقدح انهم) .

كنت أود لو اتسع المجال للقول حتى أزيدكم من حكم الحكيم اللخمي العظيم .

ومع هذا فقد رأيتم نموذجاً من مواعظه وحكمته ، وتفكيره ارق تفكير في عصره ؛ هو تفكير عربي بعيد النظر غير متأثر الا ببيئته ، ولا صادر الا عن شرع أمته وادب ملته . ولولا ما ترجم له مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر لنسي اسمه من جريدة رجالنا ، فان ألقاً من افضل الناس سحب الدهر عليهم ذيل النسيان ونسوا باهمال المؤرخين او مصانعة منهم خصوم اولئك العظماء او لأنهم ما أرادوا هم ان يذكروا بشي وآثروا الخمول على الظهور .

يقول المنصفون من الباحثين في تاريخنا من الافرنج انه لم يعهد لأمة ان اخرجت رجالاً اكثر عدداً من رجال العرب والاسلام ، وان ما عمله الفرد منهم قد يعجز عن انتاج مثله الجماعة ، وانه من المستغرب صدور ما صدر عنهم من بحث ودرس وتفكير في زمن كان العقل البشري يغط غطيطة كغطيط النائم ، وقد أمست الأمم بعد تراجع المدنية اليونانية والرومانية اللاتينية لا ترى النور الا من صم الخياط ؛ وضعف فيها كل ما يدل على حياة وفكر وعلم وصناعة .

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول

للغة العربية في مصر

أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية اربعة مجلدات من مجلته . وتفضل فبعث اليّ بها تباعاً ؛ فقرأتها بامعان واستفدت من بعض ابحاثها . وشكرت لرجال المجمع ما اسدوه الى لغة الضاد من جميل . ولئن كان عملهم دوت ما كان العالم العربي ينتظره منهم فالطفرة امر محال ؛ ولا بد لهم في يوم من الايام ان يسبروا على اسهل طريق تؤدي بهم الى بلوغ اهم غرض من اغراض المجمع وهو صنع معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، وصنع معجم عربي تعرف فيه الالفاظ تعريفاً عالياً . وبما قرأته في المجلة انهم اتخذوا قراراً بذلك . لكن عملاً عظيماً كهذا لا يتم بقرار ولا بجهد لجنة او اكثر من جان المجمع ؛ ولا بالرجوع الى اختصاصي او اثنين او ثلاثة من أساندة المدارس او العلماء . والطريقة الوحيدة التي تمكنهم من صنع هذين المعجمين في بضع سنوات هي الاستعانة بجميع الاختصاصيين المعروفين في البلاد العربية ؛ ودعوة كل منهم الى وضع معجم صغير في الالفاظ المتعلقة بموضوعات اختصاصه ؛ ثم جمع ثمار هذه الجهود في المعجمين المبحوث عنهما . وهذه الطريقة هي التي اتبعها ويتبعها الاوريون في وضع معاجمهم سواء أكانت اغراضها علمية ام لغوية . فمعجم لاروس المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من الاساندة والعلماء . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وزاد عدد العلماء الاختصاصيين الذين ساهموا في معجم لاروس الزراعي (وهو معلمة زراعية) على ٧٥ رجلاً . وعددت ٣١ عالماً اشتركوا في صنع معجم بارال الزراعي الخ .

ورب قائل يقول انه تسنى لكثير من الافراد ان يطلع واحدهم على الناس بمعجم لا بأس به . وهذا القول صحيح ؛ فبعض الافراد من الاوريين مثلاً اخرجوا معاجم مقبولة لانهم نقلوا او لخصوا جهود مئات من الاعلام الذين سبقوهم الى ضبط

الالفاظ والى تحديد مدلولاتها تحديداً علمياً ؛ والى بحث الموضوعات العلمية على أدق الاساليب الحديثة .

اما نحن فاننا مضطرون الى خلق عمل لم يسبقنا اليه احد . ولهذا يستحيل على فرد او على بضعة افراد منا ان يضطلعوا به . والدليل على ذلك ان المعاجم العربية الحديثة كمحيط المحيط واقرب الموارد والتنجيد والبستان وغيرها ليست سوى نسخ مشذبة من المعاجم الاصلية . والفاظ هذه المعاجم الجديدة لم تعرف الا بتل ما عرفت به في الامهات المذكورة ؛ اي ان كثيراً من هذه التعريفات سقيمة لا تصلح لزماننا هذا ولا تطابق تعريفات الكلم الماثلة في معاجم اللغات الاوربية . اما المعاجم الفرنسية العربية او الانكليزية العربية (ولا حاجة ان سرد اسمائها) ففيها من الاغلاط مالا يعد ولا يحصى . وما السبب في ذلك الا كون مؤلفيها تصدوا الى البحث عن علوم لا صلة لهم بها ولا بالفاظها العربية . فهذا محام يقحم في معجمه الفاظ الطب ؛ وذاك طبيب يتصدى الى الالفاظ الزراعية ؛ وذلك ناسك يتناول الفاظ العلوم المختلفة الخ . فهل يستغرب بعد هذا ان يجد المدقق في معجماته غلطات لا عداد لها ؟

ومجمع مصر يقر في كل سنة بضع مئات من المصطلحات معظمها معروف . ولكن ماهي بضع المئات من الالفاظ وأما من منها ألوف مؤلفة ؟ ثم ان اقرار المتعارف من تلك المصطلحات ليس من الامور الصعبة . والصعوبة انما تكون في ايجاد اصلح الالفاظ العربية للمعاني العلمية الدقيقة . وليس كل من اطلع على قواعد لغتنا الضاربة او على الفاظها الكثيرة بقادر على اتقان هذا العمل . ولا يتقنه الاختصاصي بأحد العلوم اذا كان جاهلاً بأمرار العربية . وقوامه ان يجتمع في المتصدي له اختصاص بعلم من العلوم ومعرفة واسعة بلسان العرب وبالسنة العلوم الاوربية . وركنه الاسامي اطلاع كاف على أصول الكلم الفرنجية والعربية ؛ وعلى الطرائق المثلى في نقل المصطلحات العلمية الى اللغة الضاربة . وهذه الصفات لا نتم لعالم اذا هو لم يكن ميالاً بطبيعته الى متابعة هذه الموضوعات المفضية ؛ واذا هو لم يبلغ سنين طوالاً من عمره في تحري اجود المصطلحات لدقائق المعاني .

انعمت النظر في الفاظ علوم الأحياء التي نشرت في المجلدات الأربعة من مجلة مجمع فؤاد الاول ، (وفيها ما يعد من العلوم الزراعية انداخلة في نطاق اختصاصي) فألفت فيها هنات يجب الاشارة اليها ومصطلحات اعتقد أن غيرها أجود منها .
وهاكم بعضها :

(١) — لفظة Biologie فقد ترجمت في الجزء الاول من مجلة المجمع (ص ٦٥)

بعلم الحياة . ثم عدل في الجزء الثاني (ص ١٣٦) عن علم الحياة الى علم الاحياء وهو التعبير الذي اقره المجمع دون ان يذكر سبباً لاضراحه التعبير الاول . واذا تناولنا اي معجم من المعاجم الفرنسية نجد فيه ان لفظة بيولوجيا من اصلين يونانيين وهما Bios اي حياة و Logos اي بحث وموضوع ، وان بيولوجيا معناها علم حياة الاجسام المعضاة . فالترجمة المضبوطة لفظاً ومعنى لبيولوجيا هي اذن علم الحياة لا علم الاحياء . ولا نرى جوازاً لقولنا علم الاحياء الا الرغبة في ايجاد صلة بينه وبين لفظة أحيائي بمعنى Biologiste تمييزاً لهذه اللفظة الاخيرة عن حيوي بمعنى Biologique ولكن هذه الصلة ليست كبيرة الشأن . وبامكاننا ان نقول علم الحياة واحيائي وحيوي ترجمة للالفاظ الفرنسية الثلاث المذكورة دون التباس . وأتذكر انني كنت في دار المقتطف في احدى رحلاتي الى مصر ، فألقي صديقي الاديب الالمعي فؤاد صروف هل الاصلح ان نقول علم الحياة ام علم الاحياء ؟ فأجبت بأن علم الحياة هو الترجمة الصحيحة للفظ بيولوجيا . وقد خالفت في ذلك رأي العلامة امين باشا المألوف (عدد نيسان ١٩٣٦ من المقتطف) وبرهاني على ذلك ما ذكرته عن المعنى الاصلي لكلمة بيولوجيا وعن متناولها اليوم ، وهي أبحاث لا تعدى بعض قوانين الحياة ومظاهرها . اما الاحياء فلها علوم عدة كعلم النشوء وعلم الاجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الاعضاء وعلم تربية الدواجن وعلم الإحاثات الخ .

(٢) — لفظة Dégénération ومعناها الانحطاط والدنائة . فقد جاء في

المجلد الاول انها الاستحالة . و كنت في مصر عندما صدر هذا المجلد فنشرت في جريدة

المقلم (عدد ١٢ نيسان «ابريل» سنة ١٩٣٥) مقالاً انتقدت فيه عدداً من الالفاظ التي لم تكن لجنة المجمع مصيبة في وضعها . ومن جملتها اللفظة التي نحن في صدددها . وقلت يومئذ ان الكلمة الفرنجية تتضمن معنى الانحطاط والدناية . اما الاستحالة فلا تفيد هذا المعنى فالشيء يجوز ان يستحيل دون ان ينحط لكنه لا يجوز ان ينحط دون ان يتحول .

فلما صدر المجلد الثاني من المجلة وجدنا فيه ان المجمع قد اطرح لفظة الاستحالة واستبدل بها لفظة التنكس . وهو مطاوع نكس . وفي القاموس نكسه قلبه على رأسه كنكسه . وفيه : نكس الطعام داء المريض اعاده . وفي الاساس : نكس الشيء قلبته . وفي التاج : النكس يرجع الى قلب الشيء ورده وجعل اعلاه اسفله ومقدمه مؤخره .

ويتضح من ذلك ان النكس وانتكيس قلب الشيء وجعل اعلاه اسفله . وهما يتضمنان معنى الدناية اذا استعملا مجازاً كما في القرآن الكريم «من نكسه تنكسه في الخلق» ولكن ماهي الحكمة في ترك المجمع للفظي الانحطاط والدناية وهما معروفتان ؟ والاولى منهما تستعمل في الكتب العلمية . وتوجد في المعاجم الفرنجية العربية امام الكلمة الفرنجية المذكورة . ومن معانيها المبط . اما الثانية فن دني بدني دنا ودناية اي اصبح ضعيفاً وساقطاً . وهي في معناها اقرب من غيرها الى اللفظة الفرنجية .

(٣) -- الايريج والممخضة . جاء في الصفحة ٤٥ من المجلد الاول الايريج آلة يخفض بها اللبن لاستخراج السمن منه . ونرى ان تخصص بالآلات الفنية المستحدثة كما في مدارس الزراعة والمصانع . والممخضة تخصص بما يستعمله القرويون في استخراج الزبد .

وفي المجلد الثاني (ص ١٠٩ و ١١٠) اقر المجمع معنى اللفظتين فجعل الاولى أي الايريج تنظر الى Baratte قال : «وقد خص المجمع الايريج بالآلة الحديثة التي

تستخدم لمخض اللبن (كذا) في المصانع الكبيرة وفي مدارس الزراعة ونحوها .
اما المخضفة فأوجد المجمع لها لفظة فرنسية من عنده وهي *Barate primitive*
(كذا) قال : (٠٠٠) الاداة المنزلية التي بها يستخرج الزبد من اللبن واكثر ما تشاهد
في بيوت سكان القرى الخ .)

قلت عندما قرأت الفاظ المجلد الاول كتبت في المقطع عن الابريج ما يلي « بلوح
لي ان واضعي هذه اللفظة يجهلون الآلات الحديثة التي تستعمل في صناعة الزبد .
فهذه الآلات ثلاث وهي أولاً الآلة المسماة *Ecrémeuse* وبالغربية المفرزة والفرازة
وهي تفرز الكشاة اي القشدة عن الحليب . ثانياً الآلة المسماة *Baratte* وهي المخض
والمخضفة وبها يفرز الزبد عن المخيض . ومن المعلوم لدى ارباب الزراعة ان اشكال
المخضات كثيرة وان منها ما يستعمله البدو والفلاحون ولها اسماء لا يفيد ذكرها
بهذه العجالة . ثالثاً الآلة المسماة *Malaxeur* وهي المعجنة تجرد بها الزبدة مما
يسكون عالقاً بها من سكر اللبن والاملاح والجبنين . وبعد العجن توضع الزبدة في
القوالب المعروفة . فيتضع اذن ان الآلات الفنية المستحدثة لا تحتاج الى لفظة
الابريج . ولا حاجة أيضاً الى الارزيز اي الهاتف والتلفون ، من الوزن نفسه » (١) .

وبتضح من ذلك ان المخض والمخضفة تنظر الى *Baratte* قديمة كانت ام حديثة .
ومن اسماء الماخض القديمة السقاء والشكوة والنحي وغيرها وكلهن عرييات فصيمات .
وهي تدل على ادوات معروفة تستعمل في مخض اللبن في القرى وفي القبائل البدوية
كما تستعمل في غير مخض اللبن .

وغلط المجمع بقوله « وقد خص المجمع الابريج بالآلة الحديثة التي تستخدم لمخض
اللبن » ، فالآلة الحديثة لا تستعمل في مخض اللبن بل في مخض الكشاة والطثرة *Crème*

(١) واضع لفظة الارزيز للتلفون العلامة الشيخ أحمد الاسكندري (١١١ من المجلد الاول) وكان
رحمه الله من اكثر العلماء اطلاماً على اسرار اللغة العربية ، لكنه كان صدواً ازرق للتعريب . وقد
رفض جمع مصر هذه اللفظة واحتفظ بلفظة الابريج الفارسية التبتة .

وهي ذلك الضرب من القشدة الذي يخرج من المفرزة *Ecrémeuse* . وغلط أيضاً برسمه *Baratte* الفرنسية بباء واحدة والصحيح بنائين وهي غلطة مطبعية .

٤ - الجنس والشق . في الفرنسية كلمة يميزون بها الذكور عن الاناث وهي كلمة *Sexe* فأجدادنا العرب كانوا يستعملون لهذا المعنى لفظة الجنس فيقولون جنس الذكور وجنس الاناث . وكانوا يطلقون لفظة الجنس أيضاً بلا تمييز على بضع حلقات من حلقات تصنيف الاحياء اي على *Variété* و *Espèce* و *Genre* وغيرها . وفي أيامنا هذه اجمعت الآراء على استعمال كلمة الجنس بمعنى *Genre* ولم يشذ مجمع مصر عن ذلك (م ٤ ص ٥٤) وكان من المنتظر ان يقر المجمع المشار اليه لفظة اخرى تفيد معنى *Sexe* فاذا به يقر لفظة جنس لهذا المعنى ايضاً (م ٢ ص ١٨٢) وهكذا صار للجنس معنيان مختلفان . فاذا نسبت اليه وقلت « جنسي » فانت لا تدري أمعناه *Générique* ام *Sexuel* . وحاد المجمع بهذه النسبة فأقر لفظة تزاوجي بمعنى *Sexuel* ومعناه أصبحت لفظة التزاوجي . تفيد معنى النسبة الى الجنس . ولكن التزاوجي هي النسبة الى التزاوج ، والتزاوج شيء والسكس *Sexe* شيء آخر .

والذي نعلمه ان بعض اصحاب المعاجم الحديثة وبعض الكتاب النباه اصطلاحوا على لفظة شق للدلالة على *Sexe* وان هذه الكلمة أخذت تشيع . وهي حسنة وموافقة ، ولا يخشى في استعمالها من الالتباس ، اي انها لا تستعمل اليوم لمعنى آخر مشهور . والنسبة اليها شقي . ولا يمتحن بأن معنى الشق في كتب اللغة لا يفيد معنى الكلمة الفرنسية تماماً . فنحن انما نوجد اصطلاحات عربية لمعان علمية . فاذا تقيدنا بحرفية الفاظ المعاجم ومعانيها يصبح عملنا غريباً من العبث وتظل لغتنا في مؤخرة اللغات الحية .

والمسوغات التي جعلت مجمع مصر يقر الشقة بمعنى *Appartement* (وهو قرار حسن) هي نفسها التي تميز له استعمال الشق بمعنى سكس^(١)

(١) كانت لجنة علوم الاحياء وضعت لفظة *Sexe* (م ١ ص ٢٩٧) ونسبت اليها أو الى جميعها قالت بعربي فلم يقرها المجمع .

(٥) — الطاقة . وضع العلامة يعقوب صروف لفظة الطاقة بمعنى Energie

وهي ما برحت تذكر في المقتطف منذ سنين . واقتبسها الكتاب في كتبهم وفي مقالاتهم فأصبحت مألوفة متداولة . وكان على مجمع مصر ان يقرها ما لم يثبت سقمها وما لم يجد لفظة ترجحها . وبدلاً من ذلك رأينا الكتاب في مجلة المجمع المذكور يترجمون اللفظة الفرنسية ذرة بالاعتدال (ج ١ ص ٧٤) وطوراً بالنشاط (م ١ ص ٨٧) . ورأينا المجمع يترجم القدرة والاعتدال (م ٢ ص ١٤٧) دون تعليل .

ولم أتمكن من معرفة الاسباب التي حملت المجمع على اطراح لفظة الطاقة فهي في كتب اللغة الاعتدال بعينه . ولا يحصل في استعمالها التباس كالذي يحصل في استعمال الفاظ المجمع المذكورة . ثم ان لها رجحان التداول منذ سنين ، وهو مما يجب ان يحسب له حساب . واسترعى نظري ان رئيس تحرير المقتطف لبث يستعمل كلمة الطاقة وحسناً يفعل فعلى المجمع ان يعيد النظر في قراره .

٦ — الكأس والتويج . من اجزاء الزهرة المعروفة وريقات خارجية يسمى

مجموعها Calice وأخرى داخلية يسمى مجموعها Corolle فأولى اللفظتين الفرنسييتين من أصل يوناني Kalyx ومعناها الكأس . والثانية من اللاتينية Corolla تصغير Corona اي التاج فيكون معناها التويج . وقد ترجموا في مصر هاتين الكلمتين في بدء النهضة الحديثة ترجمة مضبوطة فقالوا الكأس والتويج . وهما لفظتان جميلتان لا غبار عليهما يجدهما الانسان في جميع كتب النبات والزراعة في البلاد العربية كافة وفي الجمهورية التركية .

وشاءت لجنة العلوم المتعلقة بالحياة والاحياء في مجمع مصر (وليس فيها اختصاصي بالنبات على ما أعلم) ان تخالف الاجماع فسمت الكأس كماً والتويج نورة (ج ١ ص ٩٩) فلما وقع نظري على ذلك كتبت في المقدم ان لفظي الكم والنورة لاتدلان على مدلول الكلمتين الفرنسييتين تماماً . فالأولى تنظر الى Périanthe والثانية معناها الزهرة لاهذا الجزء من الزهرة . وذكرت ان لفظي الكأس والتويج منتشران في المدارس العربية والتركية فلا يجوز مسما بلا سبب .

وصدر المجلد الثاني من مجلة المجمع وفيه ان المجمع اقر لفظي الكم والنورة .
وعلى هذا يكون قصارانا لفت نظر المجمع المشار اليه الى المثل المعروف « اذا
أردت ان تطاع فسل ما استطاع » فأنفة لا تخدم باطراح مصطلحاتها المألوفة الجيدة
حتى عندما يؤتى بمصطلحات اجود منها . فالأنوف الشائع الحسن يجب ان يتمسك به .
ولا يجوز لمجمع مصر ان يلقي حبل الذين يسميهم اسانذة ومستشارين على غاربهم
في أمور كهذه .

(٧) — السداة . ترجمت بها كلمة Etamine الفرنسية في بدء النهضة الحديثة .
وهذه الكلمة من اللاتينية Stamina جمع Stamen بمعنى السداة في النسيج .
وقد استعملها بلينيوس قديماً للعضو الذكري المعروف في زهرة الزنبق ، فاقبسها
الفرنسيون وغيرهم واطلقوها على العضو المذكور بعد ان صقلوها حتى تسبغ في لغاهم .
وترجمت هذه اللفظة الى العربية ترجمة صحيحة . وشاعت كلمة السداة في الكتب
النباتية في جميع البلاد العربية . فاذا بلجنة مجمع مصر تضع لجزء الزهرة المبحوث عنه
لفظة 'جماح' (م ١ ص ٩٩) واذا بالمجمع يعدل عن هذه اللفظة ويقر مكانها الالبيرة
دون ان يشير بكلمة الى سقم الجماح ولا الى سبب اطراح السداة التي كنت نيته
اليها في مقالي في المقطم .

وبعد هل للالبيرة رجحان على السداة عيماً ولغوياً ؟ فالالبيرة — في كتب اللفظة
لا تطلق على العضو الذي نتكلم عليه . وهذا العضو مكون من جزئين احدهما
يسمى Anthère وهو المثير وفيه اللقاح Pollen . والثاني يسمى Filet وهو خيط
شبه بالالبيرة . وما يسهل ادراكه على الملم بعلم النبات ان لفظة الالبيرة تصلح لتأدية
معنى الخيط المذكور ، لكنها لا تصلح لتأدية معنى الجزء المهم الاصيل من الايتامين
وهو المثير اي Anthère . والدليل على ذلك ان المجمع اطلق أيضاً لفظة الالبيرة
على حامل السمة في عضو التأنيث من الزهرة . واسم هذا الخيط او القلم الذي يحمل
السمة Style (م ٢ ص ٧٣ مادة Pistil) . وفي الحقيقة يمكن استعمال الالبيرة اما بمعنى
الخيط الذي يحمل المثير واما بمعنى القلم الذي يحمل السمة . ولا يجوز استعمالها بمعنى السداة اي

ايتامين . وأما إطلاق الأبرة على السداة وعلى حامل السمة معاً فهو خبط وتشويش ليس غير .
والخلاصة لا يجوز وضع الأبرة مكان السداة . والسداة ترجمة صحيحة للكلمة
الفرنجية . وهي شائعة تدرس في المدارس العربية منذ عدة سنين .

(٨) — الوزيم والمدقة . يسمى عضو الأنث في النبات Pistil وهي من
اللاتينية Pistillus ومعناها Pilon أي المدقة . وواضحاً لهذا الجزء من الزهرة
العالم النباتي الفرنسي 'طر'نوفرط في القرن السابع عشر للميلاد . وقد سمي العضو
المذكور بهذا الاسم لأنه يشبه المدقة .

وترجمت الكلمة الفرنسية بالمدقة في النهضة الحديثة وشاعت هذه اللفظة العربية
واستعملت في الكتب المدرسية . وكان على مجمع مصر أن يقرها أو يقر لفظه الوزيم
التي نبيهه إليها العلامة أمين باشا المعلوم . فالوزيم في مستدرك التاج الطلع يشق
ليطلع ثم يشد بخوصه (انظر المقتطف عدد نيسان ١٩٣٦ ص ٥٣٨) وهذه اللفظة تصلح
للدلالة على مجموع أعضاء الأنث في الزهرة أي Gynécée واشتق مجمع مصر لفظه
المتأبر بدلاً من المدقة والوزيم . ولم يكن مصيباً في إيجاد هذه اللفظة مع وجود ما هو
أصلح منها من حيث صحة الترجمة والاشتبار .

(٩) — الجش والكش والعطيل : مما نبه إليه الدكتور أمين باشا المعلوم الجش
والكش بمعنى Androcée أي مجموع أعضاء الذكر . وسماه مجمع مصر المثبر على
حين أن المثبر يجب أن تكون ترجمة لكلمة Anthère كما اشترت إليه . وجاء
في المخصص «م ١١ ص ١١٠» الكش الذي يلقح به النخل ، والعطيل ما لقت به
النخلة من الفحال . وفي القاموس الكش الذي يلقح به النخل . قلت من الواضح أن
المقصود عراجين الأزهار الذكورية التي تقطع من الفحال وتحمل إلى النخلة فينثر لقاحها
على الأزهار الأنثوية في الطلعة . وهذا العمل يسمى الإبارة .

(١٠) — البوغ والغبيرة . أطلقت لجنة العلوم المتعلقة بالاحياء لفظة غبيرة على
ما يسمى Spore (م ١ ص ٩٦) فكتبت في المقطم أن الدكتور بوست كان

وضع كلمة غيرة لهذا المسمى (واحدة تصغير الغيار) وان اللفظتين من التراب ،
وانهم لو قالوا هباءة لكانت اصلح من هبوة لأن الهبوة الغبرة ، اما الهباءة فقطعة
واحدة من اهباء والفرق واضح .

ولم اكن اعرف يومئذ انه يوجد في العربية كلمة لها معنى الكلمة الفرنسية وهي
البوغ . فقد جاء في اللسان البوغ الذي يكون في اجواف الفقرة . وجاء البوغ في
المخصص بهذا المعنى . وقد اقر مجمع مصر هذه اللفظة المتوافقة (م ٢ ص ١٨٣) لكنه
غلط في رسمها او غلطت المطبعة في رسمها فجعلتها مضمومة الباء والصحيح فتحها فعلى
المجمع ان يشير الى ذلك .

وسمى بعضهم البوغ بوزة ذاهبين الى ان الكلمة الفرنسية من اليونانية Spora
بمعنى البزرة . ولكن هذه الكلمة العربية معنى آخر مشهوراً ، فلا يجوز اطلاقها على
المسمى الذي نتكلم عليه منعاً للالتباس .

(١١) — فلاحة البساتين . زراعة البساتين : ذكر الشارحون في تعريف البزرة

(م ٢ ص ١٨٠) كلمة Horticulture وقالوا انها علم الزراعة والاشجار . وقد
غلطوا في قولهم هذا . فالكلمة الفرنسية هي فلاحة البساتين وزراعة البساتين .
وهذا هو معناها الاصلي لغوياً ومعناها العلمي عند ارباب الفلاحة . وهي من اللاتينية
Hortus اي البستان وCultura اي الحرث والزرع والزراعة . ويتناول هذا العلم
زراعة البقول والأزهار وأشجار الفواكه وأشجار التزيين . وكل منها بعد اليوم علماً
مستقلاً له الفاظه ومصطلحاته . ولكنها جميعاً يعبر عنها بكلمة Horticulture
ولا بدخل في نطاقها علم الزراعة Agriculture لأنه يتناول ابحاثاً ونباتات زراعية
أخرى . أما زراعة الشجر وحدها فهي بالفرنسية Arboriculture وهي ثلاثة
فروع او علوم : زراعة الاشجار المثمرة اي اشجار الفواكه ، وزراعة اشجار التزيين
(وهما فرعان من زراعة البساتين كما ذكرت) وزراعة الحراج اي علم الحراج
Sylviculture وهو من اوسع العلوم الزراعية .

(١٢) — النسغ والطلّ : في شرح مادة (العرق الجاني) (م ٢ ص ١٩٠) اصطلاحان اخطأ الشراح في ذكرهما وهما العصارة الفجة والعصارة المغذية . فالماء الذي يحتوي املاحاً ذائبة والذي تمتصه الجذور يسمى 'نسغاً وطلاً' . وهو النسغ الناقص او الطل الناقص قبل ان تنضم اليه المواد التي تحصل بتأثير الخَضْب (اليخضوب) في الاوراق . ثم هو النسغ الكامل او الطل الكامل بعد ان يكمل في الاوراق فيبيط منها ويتوزع على اعضاء النبات فيأخذ منه كل عضو ما يلزمه من العناصر الغذائية . ولغة النسغ القصيدة الصحيحة موجودة في جميع كتب النباتات والزراعة . أما الطل بهذا المعنى فأول من به اليه الاستاذ اللغوي السيد سليم الجندي أحد اعضاء مجعنا في دمشق . والنسغ بالفرنسية Sève والنسغ الناقص هو S. brute و S. ascendante وترجمتهما حرفياً النسغ الفج والنسغ الصاعد (لأن النسغ الناقص يصعد من الجذور الى الاوراق حيث يكتمل) . اما النسغ الكامل فيسمونه S. élaborée و S. descendante اي النسغ الميأ والنسغ الهابط . والدُماع هو النسغ أيضاً اي ما يسيل من الفصن اذا قطع . وقد جعلتُ هذا اللفظ في معجمي امام Fleurs الفرنسية المستعملة بهذا المعنى . ويتضح من كل ذلك انه لا مجال لاستعمال العصارة بمعنى النسغ .

(١٣) — كثير من الكلم الفرنسية لها معنيان الاول للتعدي والثاني للطاوعة . ووجدنا مجمع مصر يكتفي باحدهما وهو نقص لا يجوز السكوت عنه . مثاله كلمة Reproduction فقد وضع المجمع لها كلمة التناسل ، على حين ان لها معنيين الانسال والتناسل او التوليد والتوالد . وكلمة Assimilation سماها التمثّل وهي في الحقيقة التمثيل والتمثل . وكلمة Multiplication قال انها التكاثر والصحيح التكثير والتكاثر . وهكذا كل ما كان من هذا القيل . وترجمة هذه الكلمات بمصدر اللازم او بمصدر المتعدي يتوقف على ادراك معاني الجمل الفرنسية التي تستعمل فيها

الكلمات المذكورة^(١) . وقد كن اندكتور امين بنش المعلوم انه المجمع ان كلمة Assimilation (عدد ابريل ١٩٣٦ من المقنطف) واني ما يشابهها من الكلمات .

(١٤) — خلط الشراح معنى كل من الكلمتين Repro و Multiplication

duction (م ٢ ص ١٦٧ و ص ١٧٧) وجعلوهما بمعنى واحد خلاصته تولد احياء جديدة بالتناسل . وفاتهم ان جميع العلماء الفرنسيين يفرقون بين الكلمتين اذا استعملتا في النبات . فالكلمة الاولى اي لتكثير والتكثير يعرفونها بقولهم انها تكثير الافراد النباتية بواسطة جزء من النبات المراد الاحتفاظ به . ومن هذه الاجزاء النباتية العكيس والطعم والفيلة والشكير واشباهها . ويقولون ان الفرق بين التكثير والتوليد (والثاني Reproduction) كون الاصل في الثاني يكون بيضة (برة او بوغا) دائماً . واخلاصة نت اذا عكست الغصن (الترقيد ، التدريج) او ضمته او قطعت الفراخ والعقان والشكر والأرآد عن الأم وغرسها فعملك هذا هو التكثير . اما اذا بذرت البذار فعملك يسمى التوليد^(٢) . وما من مؤلف فرنسي يخلط اليوم معنى الكلمة الواحدة بمعنى النكحة الثانية . وتعريف التكثير والتكاثر الذي ذكرته مدون في معجم لاروس انثراعي فليراجع من يشاء ، او ليراجع أي كتاب فرنسي حديث في النبات او الزراعة او علم اصلاح النسل . اما الكتب القديمة من معاجم وغيرها فلا يعول عليها في هذا الباب لأن التمييز بين الكلمتين بالفرنسية شيء حديث على ما أعتمد .

وقد عرفت الشراح في مجلة مجمع مصر كلمة التكثير بقولهم « ازدياد الحيوانات والنباتات بالتناسل ، وخاصة اذا كان العدد المنتج كثيراً » ويتضح مما ذكرته ان في هذا التعريف هنات ، منها أن انجمع قصر التكثير على طريقة التناسل ، على

(١) اذا قيل مثلاً Multiplication par greffage فهو التكثير بالتطعيم لا التكاثر بالتطعيم لأن التطعيم عمر يأتيه الانسان في الاعم من الحالات . وهكذا تقول التكثير بالفراخ لا التكاثر بها وهو M. par rejeton . اما اذا قيل M. naturelle فتناه التكاثر الطبيعي لا التكثير الطبيعي ، لأن المراد تكاثر النبات طبعياً بتل سوته او اصوله الارضية . (٢) وفي الحيوان اذا انتشر المكروب الحيواني فطرين فهو التكاثر اما اذا تصافت التتم مثلاً فهو التناسل

حين ان التكاثر يكون بغير التناسل ، اي انه يحصل باتصال جزء من النبات كالأجزاء التي أشرت اليها ، كما يحصل بانقسام ذوات الخلية الواحدة من النبات والحيوان . اما التناسل فأساسه بيضة او بزررة ليس غير .

وأما قولهم « وخاصة اذا: كان العدد المنتج كثيراً » فجملة لم أفهم لها معنى .
(١٥) - المكروب والجراثومة والحَيَّي : من المعهات ان لفظة المكروب تعربت منذ زمن بعيد ، وانها أصبحت معروفة حتى في أوساط العامة . وترجمها الترك بلفظة جراثومة . واقتبسناها عنهم في مدارس الشام فقلنا جراثيمي وجراثومي وعلم الجراثيم لما ينظر اليها من الالفاظ الفرنسية المعروفة

وربما اعترض معترض على الجرثوم والجراثومة بقوله ان لها معنى آخر في كتب اللغة ، واننا قد نطلقها على ما يسمى Germe بالفرنسية وهو ما أقره مجمع مصر .
ولو فرضنا ان هذا الاعتراض وجهه في ذاته فما هو اعتراضنا على كلمة المكروب لغوياً وذوقاً وعرفاً ؟ انني لا أرى غباراً على هذه الكلمة الا اذا صرفنا النظر عن التعريب جاتاً وهو أمر محال .

وقد كان من صواب الرأي اقرار كلمة المكروب . لكن مجمع مصر وضع لمسامها كلمة حَيَّي تصغير حي . وهي كلمة ثقيلة على السمع تكاد النسبة اليها تكون من المستحيلات لثقلها . فليتصور القاري حالة أستاذ المكروبات في معهد الطب او في مدرسة الزراعة وهو ينسب الى حَيَّي في كل بضعة اسطر من درسه ، اي ليتصور نتائج الباءات في قوله مثلاً (الامراض الحبيبية) .

هذه لفظة لا أظنها خالقت لتعيش . ولو سألتنا أساتذة الطب والزراعة والنبات والحيوان في الاقطار العربية عن رأيهم فيها لأجاب تعاون في المئة منهم انهم يرجحون عليها لفظة المكروب العربية . أما الادباء وهم في نظري أدق تذوقاً للالفاظ من العلماء ومن اللغويين ، فلا أعتقد ان فيهم واحداً يرجع الحَيَّي على المكروب او على الجرثومة .

قصور الأمويين

في الديار الشامية

امتاز تاريخ دولة بني أمية بغرام رجالها بالعمران وحب البنيان فبلغت الحضارة الإسلامية في عهدهم غاية بعيدة . وفي انكتب الادبية والتاريخية اشارات الى ما شيدته الخلفاء وعمامهم من المدن والجوامع والقصور والطرق والفتناطر والسدود التي ازدهرت بها البلاد الإسلامية عامة والقطر الشامي خاصة . فجاءت خير شاهد على ذلك الماضي المجيد وكان على قصره من أزهر العصور الإسلامية وأبعدها شأواً في المدينة والحضارة . وهذه الظاهرة هي في الغالب أثر من آثار اليسر والرخاء .

بدأ هذا الميل في خلافة عثمان (رضه) فبنى داره في المدينة وشيدها بالحجر والكس وجعل ابوابها من الساج والعرعر^(١) وسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنوا القصور في مكة والمدينة والبصرة والكوفة والنسطاط والاسكندرية ولا غرابة ان سلك الأمويون هذه السبيل بعد ان وطدوا دعائم الدولة العربية الفتية في الشرق والغرب وبسطوا سلطانهم على البحار وسيطروا على الاسواق التجارية التي درت عليهم موارد عظيمة وملأت خزائن الدولة بالاموال التي حملت اليها من الجبايات وموارد الاقطاعات والمكوس فأغنت بها الدولة وأثري معها الافراد فاندفعوا الى البذخ والترف ونافسوا في هذا المخمار الروم والعجم فخلفوا آثاراً تغني بها السلف وتفاخر بها الخلف .

لم يتصل بنا من أخبار آثار بني أمية الا النذر اليسير بعد ان طرق عليها تبدل كثير ومن آثارهم ما هو معروف الى يوم الناس هذا وينتفع به المسلمون كجامع بني أمية بدمشق وجامع حلب^(٢) والمسجد الاقصى في بيت المقدس وجامع المدينة المنورة وجامع قرطبة في تونس . ومنها ما دثر رسمه وحفظ اسمه كقصورهم في دمشق وحلب وحمص وغيرها من المدن الشامية .

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١٣٣ (٢) خطط الشام للا. تاذ كرد علي ج .

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم فقراً سوى الله ذكر والآثار ان ذكروا
وهناك طائفة من الابنية أغفل ذكرها وجهل وجودها فأظهرتها المصادفات
والثقب الأثري ولولا ذلك لبقيت مدفونة مهمل لا ذكرى تحيها ولا اطلال تنعيها .
بالغ الأمويون في نفقات البناء حتى أنهم خصومهم بالامراف والجور على
المكف وافقار بيت المال ومنع المستحقين أعطياتهم . وهذا ما حمل يزيد بن الوليد
— لما بويغ بالخلافة — ان يقطع على نفسه عهداً ان « لا يضع حجراً على حجر ولا لبنة
على لبنة ولا يكري نهراً » ^(١) ان لم يصلح ما عاينوه على أسلافه .
وكان جميع من ولي الأمر من بني أمية ينزلون دمشق إلا مروان فقد نزل
حوران من أرض الجزيرة ^(٢) ولكن كان الخلفاء وابناء خلفاء يتبدون فينزلون البرية
وشيدوا لهذه الغاية منازل ومساكن يحاكي بعضها أعظم القصور وانحسها ينفرون
اليها في بعض الفصول ترويحاً عن النفس بالصيد والقنص او هرباً من وباء او طاعون .
وقد نقل الينا ان يزيد بن معاوية مات في حواري ^(٣) وجاءت البيعة لمروان بن
الحكم وهو مقيم في قصره بالجاية ^(٤) وان عبد الملك ينزل قنسرين ^(٥) وروي عن حماد
الرواية بأنه أتى الوليد وهو في الجراء ^(٦) حيث قصر النعمان بن بشير الانصاري وهي مما
يلي البرية بين تدمر ودمشق كما انه كان ينزل في الربيع بأبائر ^(٧) بالبلقاء حيث وفد
عليه ابن ميادة وانشده :

لعمرك اني نازل بأبائر لصوادر مشتاق وان كنت مكرماً

أبيت كأنني أرمد العين ساهر اذا بات أصحائي من الليل نوما

وتوفي الوليد بن عبد الملك بدير مران من ضواحي دمشق ^(٨) وبويغ سليمان بن
عبد الملك بالخلافة وهو بالرملة ^(٩) وتوفي بدابق وكان له فيها منزل بالخلافة . وتوفي

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٥ ص : ١٠٨ (٢) التنبية والاشراف للمسعودي ص : ٢٨١

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص : ٨٥ (٤) تاريخ الكامل ج ٢ ص : ٥٨ (٥) تاريخ

الكامل ج ٢ ص : ١١٦ (٦) الاغانى ج ٢ ص : ٦٣ (٧) الاغانى ج ٢ ص : ١٠٢ (٨) تاريخ

الكامل ج ٥ ص : ٣ (٩) تاريخ الكامل ج ٥ ص : ٢

عمر بن العزيز بدير سحمان ودفن فيها^(١) والمعروف ان هشام قد جدد الرصافة وسكنها وأنته الخلافة وهو مقيم فيها^(٢) كما انه بنى قصرآ في القطيفة^(٣) وكان لأُم حكيم زوجة هشام قصر تبرز الصُّفْر جنوبى دمشق . وكان يتزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام حيث توفيت جاريته حبابة فيما قيل^(٤) ومن منازلهُ أيضاً الموقر وهو حصن بالبلقاء رُممه وزينه وجعله من القصور الجميلة وهدمه بنو العباس . قال ابن نخيلة يمدح بني العباس :

وامست الانبار داراً ثمر وخربت من الشام ادور

حصن وباب التين والموقر ودمرت بعد امتناع تدمر

وكان ينزل الوليد بن يزيد بالاغدف من عمان^(٥) والازرق بالاردن^(٦)

وقتل بالبغراء . وكان للعباس بن عبد الملك قصر في حصن هدمه أهلها انتقاماً لمقتل

الوليد . وورد ذكر منازلهم في الزيزاء وفدين والايض والقسطل والزيتونة والصنبر

وبطنان حبيب^(٧) واسيس . وتؤيد ما سردنا من الاخبار وغيرها تعدد هذه المنازل

والقصور في البلاد الشامية وتختصر بحثنا فيما اتصل بنا عنها من الشواهد والوثائق التي

تؤيد صحة الخبر وتحى ذكرى تراث درسته الايام وتناساه الاحفاد .

سبق لفئة قليلة من علماء الآثار والمحققين والرواد الغربيين ان طرّقوا هذا البحث

منذ عشرات السنين وأماطوا اللثام عن هذه الناحية الخفية من الحضارة العربية ونبهوا

الأذهان اليها دون ان تتوفر لديهم وقتئذ ادلة لا ثبات مذهبوا اليه عن وجود طائفة من

الابنية الفخمة في نواح نائية من بلاد الشام يرجع عهدها لأقدم المصانع الاسلامية

فأنكرت عليهم هذه الدعوى ونازعهم المنازعون فأنحاز لكل من الفريقين أنصار

وأعوان واثار ذلك محاورات واجماعات دامت سنين عديدة دون ان ترجع كفة على

(١) تاريخ الكامل ج ٥ ص ٢٣ (٢) تاريخ الكامل ج ٥ ص ٤٦ (٣) تاريخ البقوي

ص ١١٢ (٤) الاغانى ج ١٣ ص ١٥٧ (٥) تاريخ الكامل ج ٥ ص ١٠٥ (٦) تاريخ

الكامل ج ٥ ص ٩٧ (٧) خطط الشام ج ٥ ص ٢٨٠ - ٢٨٣

كفة . الى ان جاءت اكتشافات السنوات الاخيرة الاثرية فوضعت حداً لكل جدل وتوفرت الادلة المقتنعة والشواهد الناطقة بصحة هذه الانظار الجديدة وسلم بها أشدهم عناداً وهكذا أصبح اليوم للفن المعماري الاسلامي طابع خاص يعرف به وكيان يتميز به فأمكن الآن رسم مراحله منذ نشأته حتى دور انحطاطه وبذلك بعثت صفحة مجيدة من مفاخر السلف لتكون حديث الخلف

وفيما يلي وصف موجز لأهم القصور الأموية المعروفة في البلاد الشامية بمحدودها الجغرافية التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان وقد نجت من التخريب والتدمير لبعدها عن المدن والمعمور ولذلك لم تصل اليها أيدي سوء التحول انقاضها الى سواها من الابنية كما صارت اليه كثير من الابنية الاثرية ومجيت معالمها من الوجود . وقد ارفقنا بحثنا هذا بمخططات بسيطة لأهم هذه القصور وخريطة لسورية يستعين بها القاري الكريم على تفهم دراستها والتحقق من مواقعها الجغرافية (شكل ٨) وأوردنا ذكر المصادر والمراجع التي استقينا منها مادتنا للرجوع اليها .

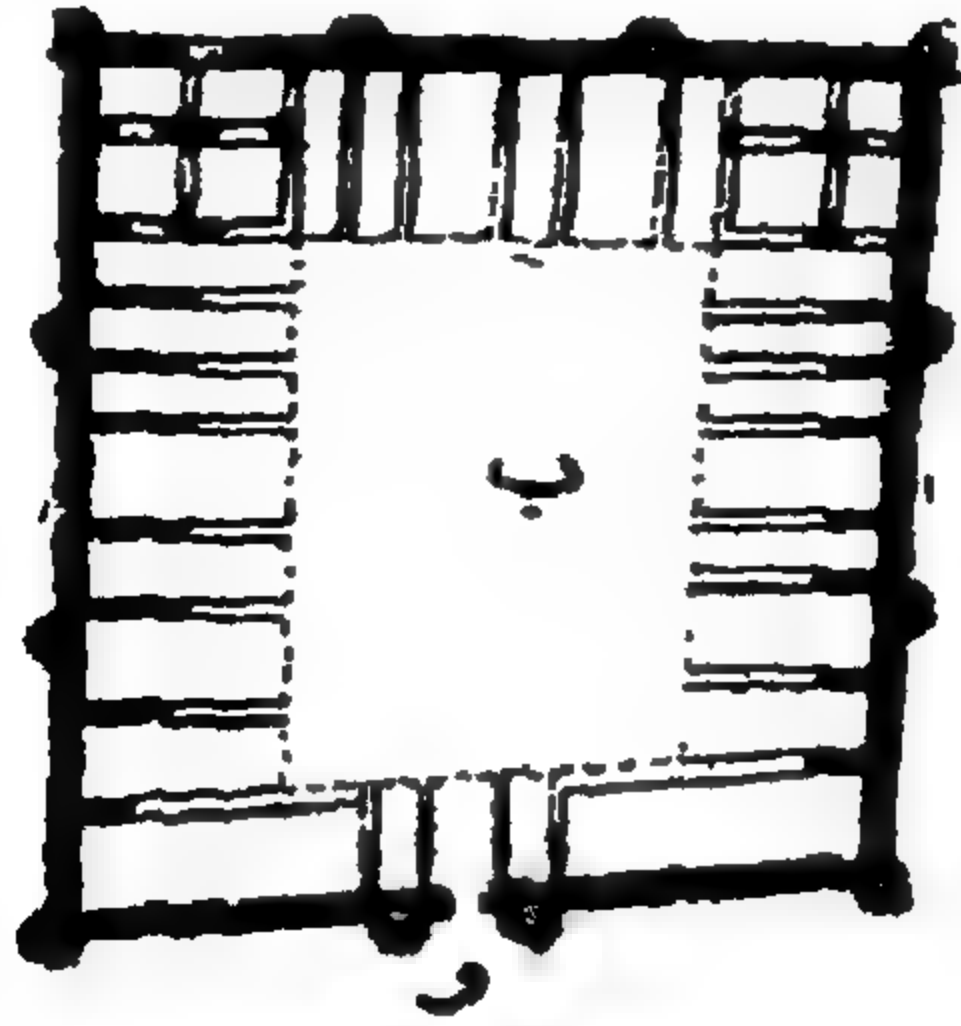
قصر الحير الشرقي (شكل ١)

اورصافة هشام

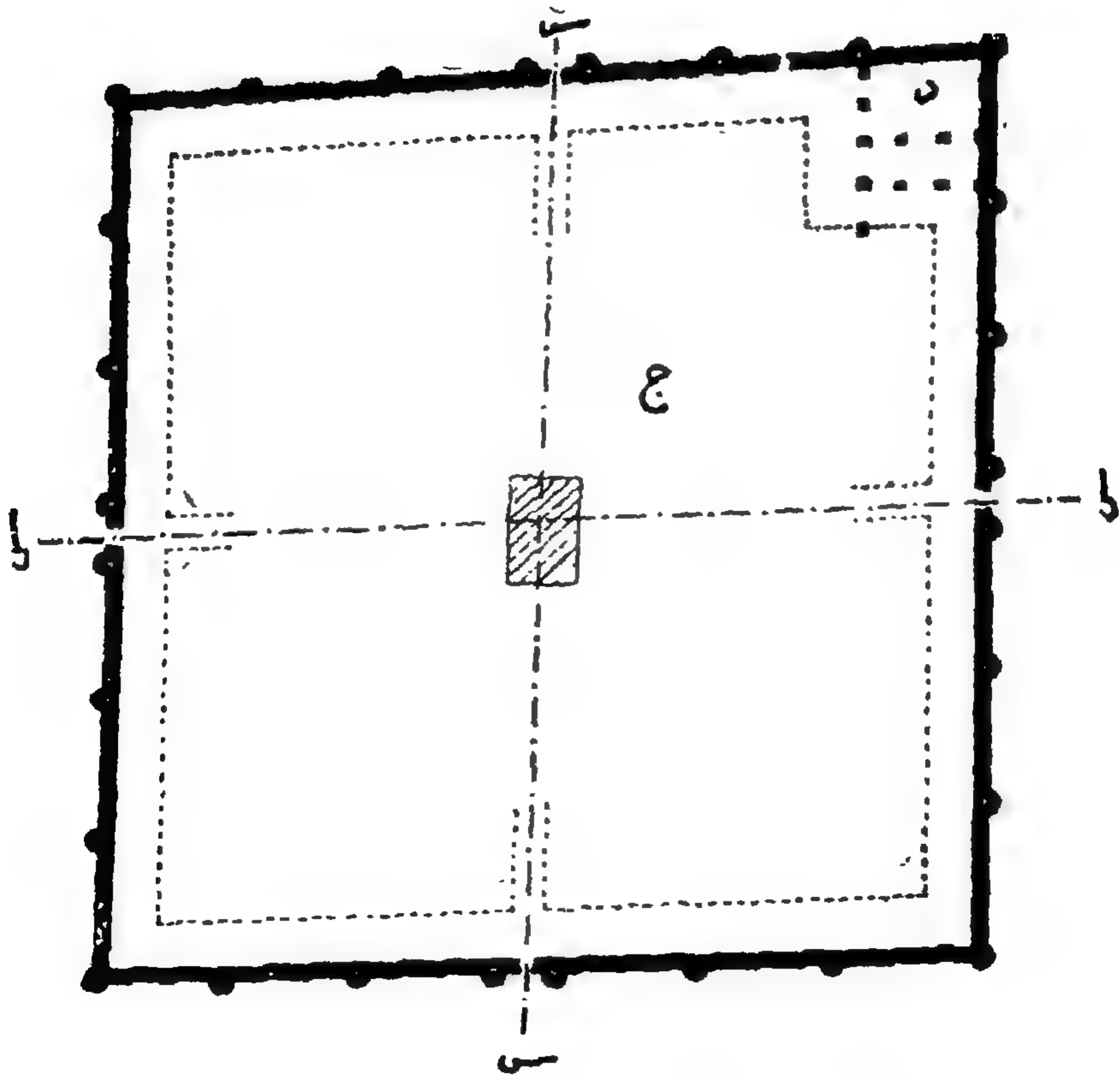
يقع في البادية على بعد نحو (٣٠) كيلو متراً شمال قرية السخنة للشرق . منحرف عن طريقي تدمر - دير الزور وتدمر - الرصافة ويبعد نحو (٧٥) كيلو متراً عن مدينة الرصافة أو رصافة هشام واول من اشار الى وجوده هو جاك روسو في عام ١٨٠٨ ووصفه باسمه في رحلته المطبوعة ^(١) . وهو مكون من بنائين (ب و ج) لانزال جدرانها قائمة وتدل آثارهما على جلالة ماضيها . يحيط بكل منهما سور مربع الشكل بارتفاع (١٢) متراً من حجر مهندم ويبلغ اطول اضلاع البناء الصغير (ب) نحو (٧٠) متراً وله في الزوايا أربعة بروج مستديرة وبرجين لكل جدار وحكم بابه بين برجين في وسط الجانب الغربي (د) . وفي داخله باحة يحيط بها

(١) Louis Jacques Rousseau, Voyage de Bagdad à Alep (1808) p. 146-154.

غرف واسعة بناؤها من الآجر وسقفها عقد ويرجع وجود طابق علوي ويظهر في
الزاويتين الشرقية الشمالية والشرقية الجنوبية آثار طابق ثالث . ويستدل من اتقان



■ ■



شكل ١ - قصر الحير الشرقي او رصافة مشام

نحت السور والنقوش القليلة الباقية في أعلى برج المدخل وبقية الزخارف الموجودة على بعض الجدران أنه قصر ملكي وما عداه من الابنية فهو ملحق به . وأما البناء الكبير (ج) فيشبه ظاهره القصر ويبلغ اضلوعه (١٧٠) متراً وله (٢٨) برجاً وله بمقتصف كل جانب مدخل بين برجين (س) وقد انشيء في زاويته الجنوبية الشرقية مسجد (د) تزل جدرانه وركائزه قائمة وأما بقية البيوت والدور التي كانت داخل هذا البناء فقد تهدمت وأصبحت ركاماً ولا يمكن تفهم خطوطها الأصلية إلا بعد اجراء حفريات ورفع الأتقاض وكشف أسس ما بقي من الجدران ولعل هذا البناء هو أشبه بمدينة ملحقة بالقصر أعدت لسكن حاشية الخليفة وضيوفه ويؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك روسو في هذا البناء ونقلها معه الى حلب ولم يعرف بعد ذلك مصيرها . وهذا نص الكتابة كما نقلها إلينا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله إلا الله وحده لا شريك له . محمد رسول الله امر بصنعة . هذه المدينة عبد الله هشام . أمير المؤمنين وكان هذا مما عمل أهل حمص على يد سليمان . بن عبيد سنة عشر ومائة . » ^(١)

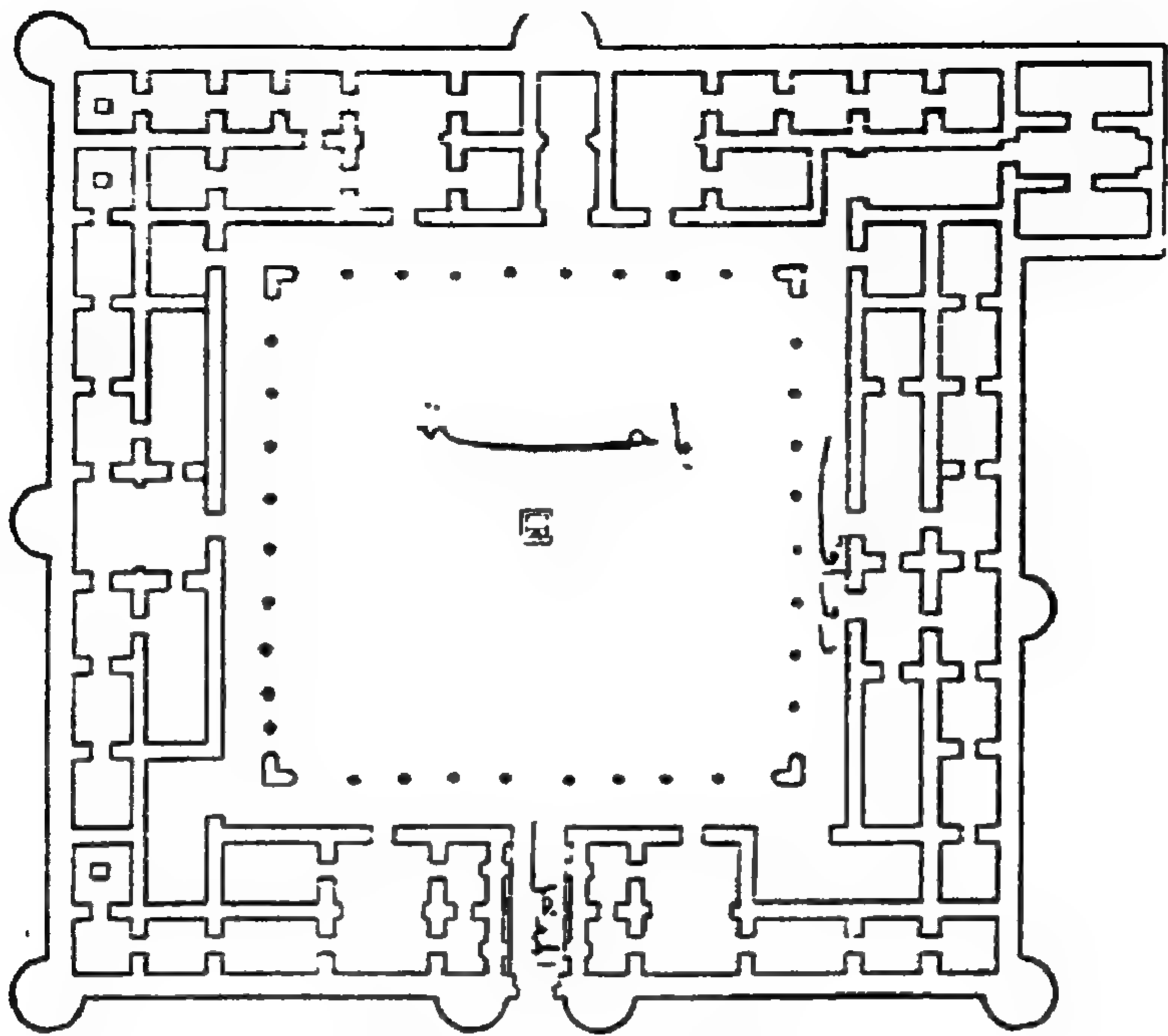
وقد شيد بين البنائين مأذنة مربعة (هـ) من حجر منحوت . ويمتد الى مسافة بعيدة نحو الجنوب أسس جدران من بقية أسوار المنطقة الزراعية التي جابت إليها من الشمال مياه ينابيع عين الكوم بقناة تمتد نحو (٣٠) كيلومتراً ولم يزل يطلق عليها البدو حتى الآن اسم البسانين . ^(٢)

ويستدل من الكتابة الآتفة الذكر ان البناء أموي وما أحدثه هشام ، وهذا ما يجعلنا على الاعتقاد بأن هذه الابنية هي التي أطلق عليها اسم رصافة هشام تمييزاً عن الرصافة القديمة المعروفة قبل العصر الاسلامي والتي رُم هشام ماعور من بنائها دون أن يسكنها . ^(٣)

(١) Clermont Ganneau. Une inscription du Calife Hicham, Rec. Arch. Oriental III p. 285

(٢) H. Seyrig. Antiquités Syrienne, Syria T. XV p. 24-32

(٣) Albert Gabriel, Kasr el-Heir - Syria, T. VIII p. 303-332.



شكل ٢ - قصر الحير الغربي

قصر الحير الغربي أو الزيتونة شكل (٢)

يقع في البادية على بعد (١٥٠) كيلو متراً من دمشق لمن يقصد تدمراً اكتشفته مصلحة الآثار في سورية عام ١٩٣٦ وأشرف على حفرياته المسيو شلومبرج^(١) وهو بناء مربع الشكل يبلغ أطول أضلاعه نحو (٧٣) متراً بنيت جدرانه من اللبن والآجر على دكة من حجر مهندم ارتفاعها عن وجه الأرض نحو مترين . وشيد في كل من أركانها برج مستدير وفتح مدخله في منتصف الضلع الشرقي بين دعامتين مستديرتين . ويحتوي داخله على باحة يطوف بها رواق قائم على (٣٢) ركيزة بنيت بشكل عمد وحوله صفان من بيوت السكن وغيرها من المرافق البالغ عددها ستين ونيفاً ويستدل من بقايا الأدراج والانتقاض بأنه كان للقصر أكثر من طبقة واحدة وقدر ارتفاع جبهته نحو (١٥) متراً وقد أضيف لهذا القصر ملحقات بنيت بجواره منها حمام واسع وبيوت وحوض تجمع فيه المياه التي تسيل إليه من سد خريقة العظيم الذي يبعد نحو

(١) مقالاً في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤١ ص : ٣٣٧

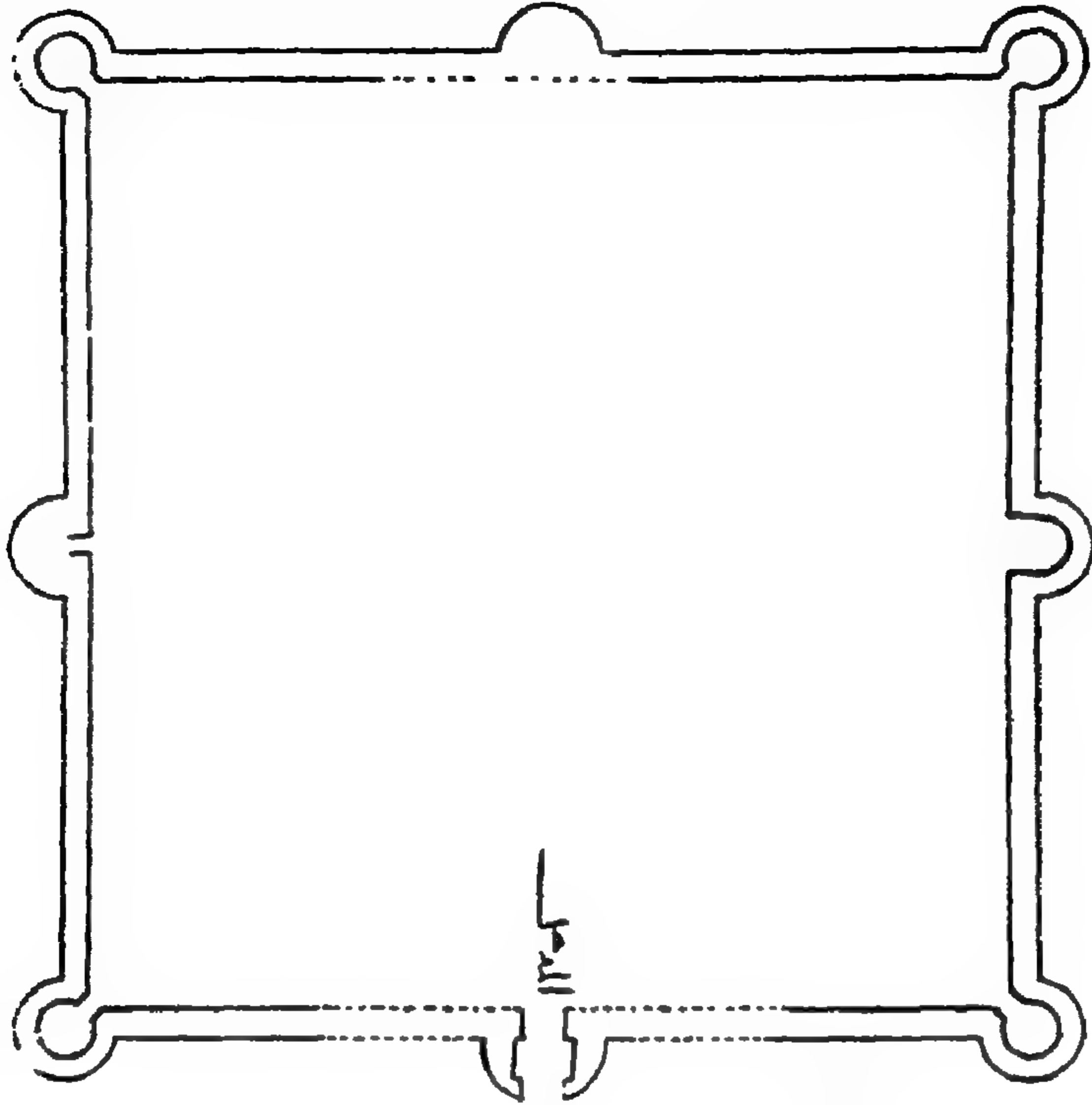
(١٥) كيلومتراً الى الجنوب منه ويتفرع من هذا الخوض جداول عديدة لري الزرع وسقيا أهل الضرع . ويرى الباحث في هذه المنطقة مظاهر عديدة يستدل منها بأن هذه الصحراء القاحلة اليوم القائم في وسطها هذا القصر كانت في العصر الأموي غوطة وارفة الظلال زاهرة بالزراعة مأهولة بالسكان^(١) .

كشفت الحفريات عظمة هذا القصر وصورت لنا ما كان يتجلى به قصور ذاك العهد من مظاهر الابهة والجمال . وعثر بين انقاضه على مجموعة كبيرة من الخزاف الأنيقة مصنوعة من الجص وكانت تزين جدران القصر ونوافذه ومدخله وهي بأشكال خطوط ودوائر هندسية ورسوم نباتية وصور ذوات الارواح من أشخاص وبهائم وعثر فيه أيضاً على رسوم ملونة يمثل بعضها صوراً خيالية خرافية وبعضها مشاهد حقيقية . وهذا البناء وهو ثالث قصر أموي أظهرته التنقيبات الفنية وكان لاكتشافه شأن عظيم من الناحيتين العلمية والقومية . وسيكون له أثر حميد في دعوى حرب الاسلام والمسلمين للصور والتصوير .

ومن أهم الوثائق الخطية التي عثر عليها في هذا القصر قطعة من اللخاف كتب عليها رسالة موجهة « من هشام أمير المؤمنين الى ابي العباس احمد . » كما ظفر بكتابة كوفية ذبرت على عتبة احد الابنية الملحقه بالقصر هذا نصها :
« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله وحده لا شريك له . امر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب الله أجره . عمل على يدي ثابت بن ابي ثابت في رجب سنة تسع ومائة » .

وفي ذلك دليل واضح يؤيد نسبة هذا البناء للأمويين . ورغم عدم وجود نص صريح يعرف منه اسم هذا القصر في القديم فإننا نرجح بأنه هو قصر الزيتون الذي كان ينزله هشام قبل بناء الرصافة . وقد نقلت جميع زخارف هذا القصر الى متحف دمشق الوطني حيث يعمل لاعادتها الى سيرتها الاولى

(١) D. Schlumberger, Les fouilles de Qaṣr el-Heir el-Gharbi, Syria T. XX p. 195 et 324.



شكل ٣ - قصر جبل سيس أو اسيس

جبل سيس هو مرتفع يركاني في ابادية على نحو (١٠٠) كيلومتر شرقي دمشق وفي حضيضه نبع ماء شحيح يسيل في الشتاء الى مستنقع قريب يردده عربان البادية في فصلي الشتاء والربيع . ويظهر في جوار هذا المستنقع اتقاض ابنية واسعة كانت يعتقد بأنها بقية حصون ومخافر رومانية او بزنطية كشف الاستاذ سوفاجه (Sauvaget)^(١) حقيقتها وأثبت بأنها آثار أموية شبيهة بغيرها من الابنية المعروفة المعاصرة لها مكونة من قصر وجامع وحمام ودار ضيافة وعدد من بيوت السكن وغير ذلك . وقد بني القصر بشكل مربع يبلغ طول جانبه نحو (٦٧) متراً وجدرانه الخارجية من احجار يركانية غير منحوتة وله في كل زاوية برج مستدير في وسط كل جدار دعامة مستديرة وفتح باب في وسط دعامة الجبهة الشمالية . ويتطلب معرفة أقسامه الداخلية الى اجراء حفريات واسعة عسى ان تتحقق في المستقبل . والشبه

(١) J. Sauvaget, Les ruines Omeyyades du Djebel Seis - Syria T. XX p. 238-256.

قوى بين مصور هذا القصر وامثاله من القصور الاموية المعروفة مما يحملنا على نسبته للعصر الاموي .

ونعتقد أن اسم سيس الحالي هو تحريف (اسيس) الذي اشار اليه عدي ابن الرقاع :

قد حباني الوليد يوم أسيس بعشار فيها غنى وبهاء
وقال ابن السكيت في تفسيره هذا البيت بأن اسيس ماء شرقي دمشق وهذا ينطبق على هذا المكان ولنا بما تقدم ومن غيره من الاعتبار الهندسية ان نسب بناء هذا القصر الى عهد الوليد بن عبد الملك .

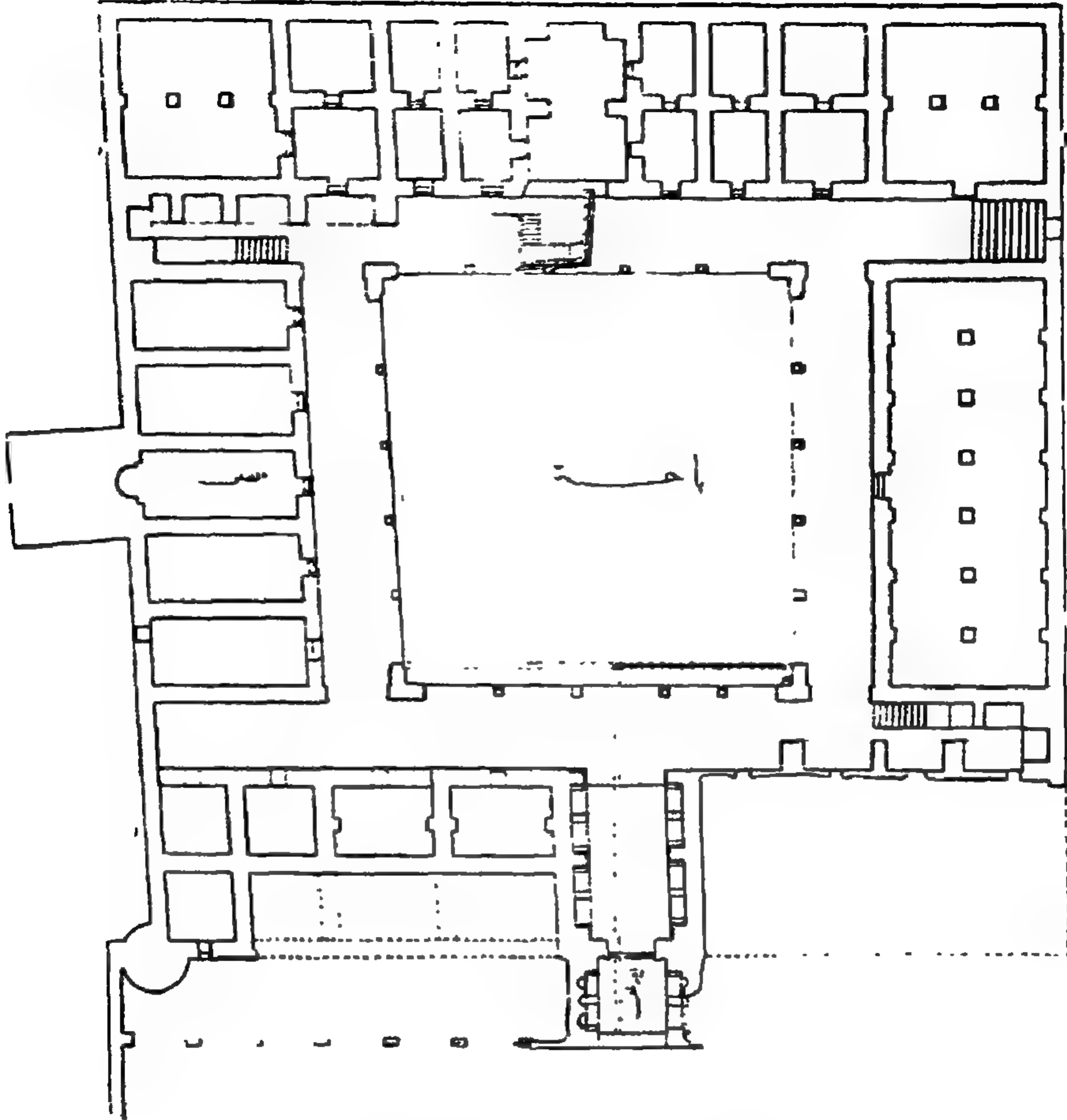
* * *

قصر خربة خان منية^(١)

هي خربة في الشمال الغربي من بحيرة طبرية اجري فيها الدكتور مادر (Mader) حفريات في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٦ واستأنف العمل فيها الدكتور بوتريخ رينار (Pottrich - Reignard) ظانين بأنه بناء بزنطي ولكن سير الحفريات أبطلت هذا الاعتقاد وتحقق لديها بأن البناء أموي . وهو يشبه بجملة ما تقدم وصفه من القصور . وصورته مستطيل الشكل من حجر نحت يبلغ أطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً وأقصرها (٦٦) متراً وله تسعة أبراج مستديرة في الزوايا والجدران وحكم بابه في وسط الجانب الشرقي بين برجين ويحتوي داخله على باحة تحيط بها غرف وعثر في داخله على مسجد وهذا يؤيد بأنه من العهد الاسلامي . وعثر أيضاً على بعض الخزاف والآثار العربية منها دينار تاريخه سنة ٨٩ هـ . اي في زمن الوليد بن عبد الملك . وهذا القصر هو اول قصر اجريت فيه حفريات عميقة ولضيقت الوقت لم نتمكن من الحصول على مصور له . كما أننا لم نعثر على نص تاريخي يرشدنا الى معرفة اسمه في العهد الأموي .

* * *

(١) The Quarterly of the Departement of Antiquities in Palestine Vol. VI p. 215, V. I p. 159, IX p. 209.



شكل ٤ - قصر خربة مفعجر (١)

هي خربة على بعد بضعة كيلو مترات شمالي اريحا أجرت بها مصلحة الآثار الفلسطينية حفريات منذ عام ١٩٣٦ بإشراف الأستاذ براهيم (٢) وهو ثاني قصر اجري فيه التنقيب العلمي واصبح هو وقصري الحير الغربي وخان منية من أهم الأسس لدراسة الفن المماري الأموي وصدق ما يستشهد به على تبين عهد كثير من

(١) اخذ هذا المخطط قبل انتهاء الحفريات ولذلك لم ترسم فيه بروج الزوايا .

(٢) D. C. Baramki, Excavations at Khirbet el Mefjer Quart. Dep. Ant. Pal' V', p. 157, VIII p. 45.

الأبنية الشامية التي لم يزل يكتف عهدها القموض . وهو بناء مربع الشكل تقريباً يبلغ أطول أضلاعه نحو (٧٤) متراً وله في كل زاوية برج مستدير ويحتوي داخله على باحة يحيط بها رواق تكتفه بيوت السكن والمصلى والحمام وقد حكر بابه في منتصف الجبهة الشرقية بإلله رواق تمتد على طول الجبهة وهو طراز جديد لم نألفه في القصور التي سبق وصفها .

ولا تقل مكانة هذا القصر عن قصر الخير الغربي لوفرة زخارفه وتنوعها مما يدل على عظمة هذا القصر وماضيه المجيد وتمثل زخارفه أشكال هندسية فيها صور بعض النباتات وتماثيل مخنوقات حية مصنوعة جميعها من الجص وهي آية في الجمال والابداع . وتقلت جميع هذه الزخارف الى القدس تزدان بها قاعات متحفها . وقد التقط بين الالتقاض قطعة من اللخاف كتب عليها بخط كوفي ما يأتي .

« لعبد الله هشام امير المؤمنين من عبيد

الله بن عمر سلم عليك

فاني احمد اليك الله اندي لا اله الا

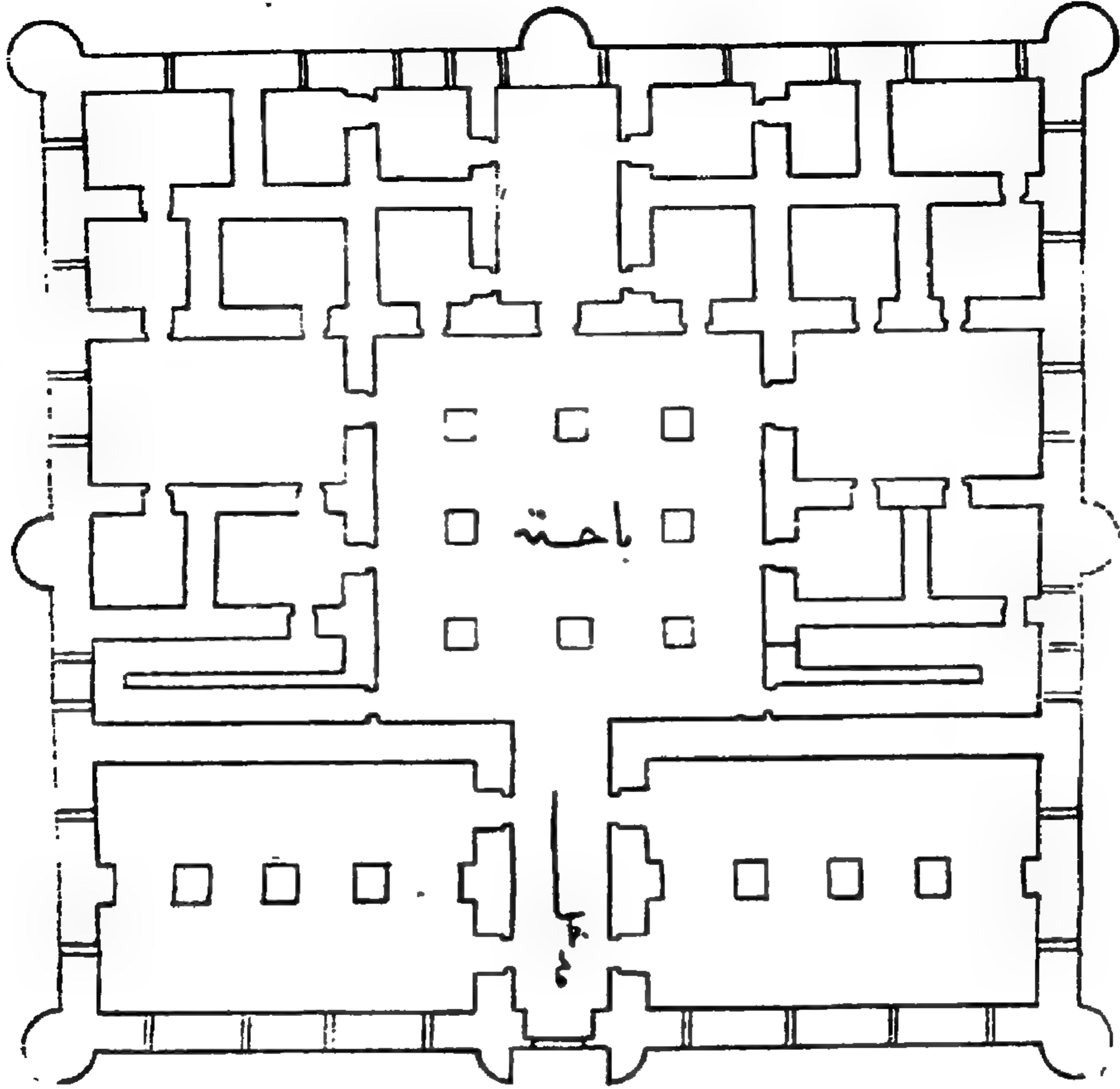
لا هو . »

وهذه وثيقة كافية لمعرفة عهد هذا القصر

قصر خرافة (شكل ٥)

يقع في بادية البلقاء على بعد (٦٠) كيلومتراً الى جهة الشرقية الجنوبية من عمان . وهو بناء مربع الشكل يبلغ طول جانبه نحواً من (٣٦) متراً ونصف متر يجمع بين مزايا القصور ومناعة الحصون . له بروج مستديرة في الزوايا وفي منتصف كل جانب وفتح مدخله في وسط برج الجانب الجنوبي . ويحتوي داخله على باحة يحيط بها غرف وغيرها وله مشارب وعلالي ولا يختلف عن غيره من القصور الأموية المعروفة الا بضيق مساحته ووفرة مرامي السور المطلة نحو الخارج لأجل الدفاع ورد أذى المعتدين . وقد عثر على بعض الجدران بقية زخارف نباتية ملونة . وفي داخل احد

م (٣)



شكل ٥ - قصر خزانة

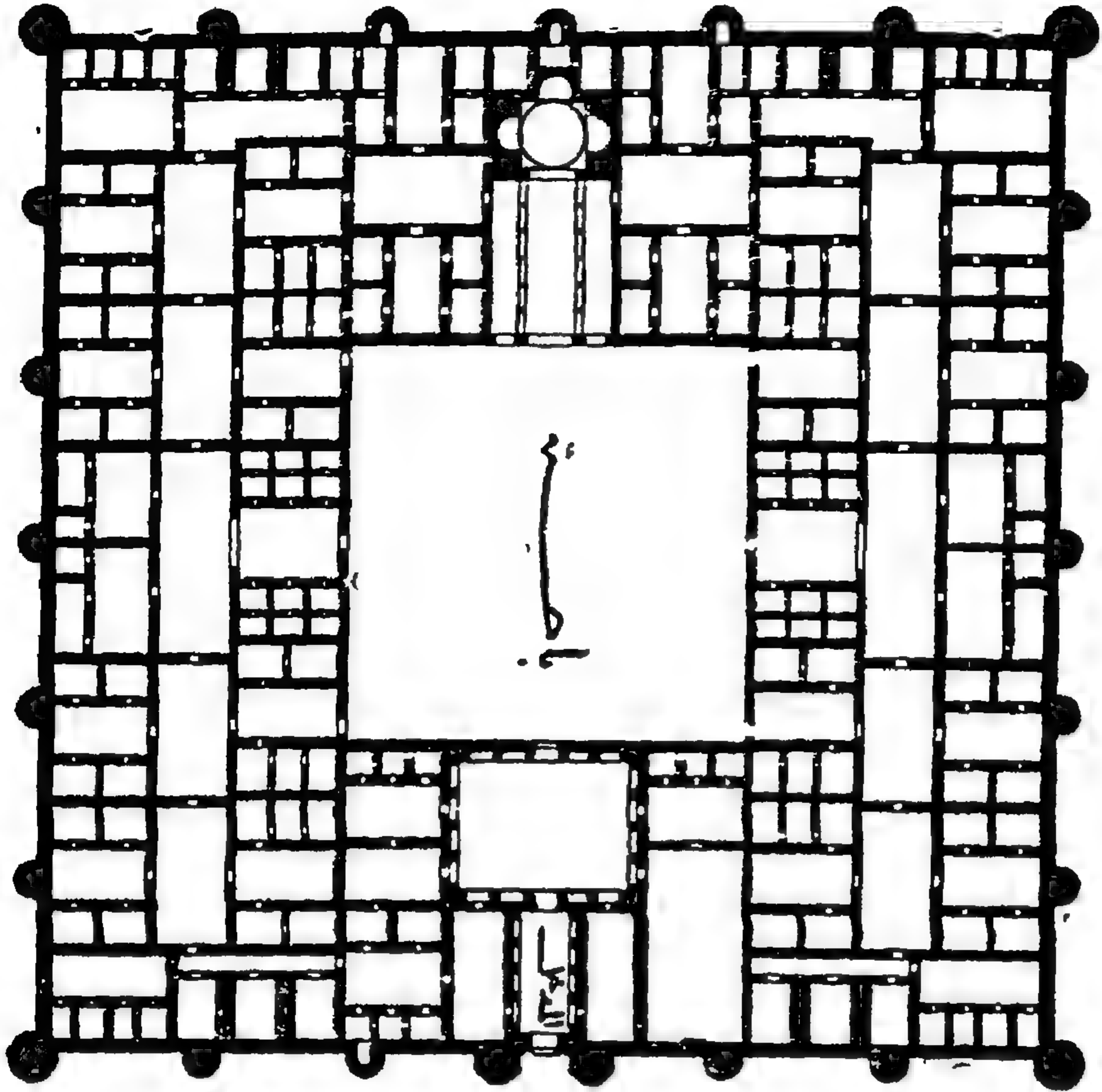
غرف القسم العلوي عشر على كتابة كوفية مشوهة تاريخها سنة ٩٢ هـ . وعلى أخرى تاريخها سنة ٧٢٦ هـ . ويستدل من ذلك بأن بناء القصر كان في عهد الوليد او في عهد اجدد أسلافه . ولم نعثر على ذكر قديم لهذا القصر^(١)

هو في البلقاء على بعد نحو من (٢٥) كيلو متراً جنوبي شرقي عمان . وهو من أنخم الأبنية الأموية وأروعها منظراً يحيط به سور مربع الشكل تبلغ جوانبه (١٤٤)

(١) A . Musil, Arabia Petraea. I .

Moab - Karte von Arabia Petraea.

Jaussen et Savignac - Mission archéologique en Arabie III, Les chateaux Arabes.



شكل ٦ - قصر المشتى

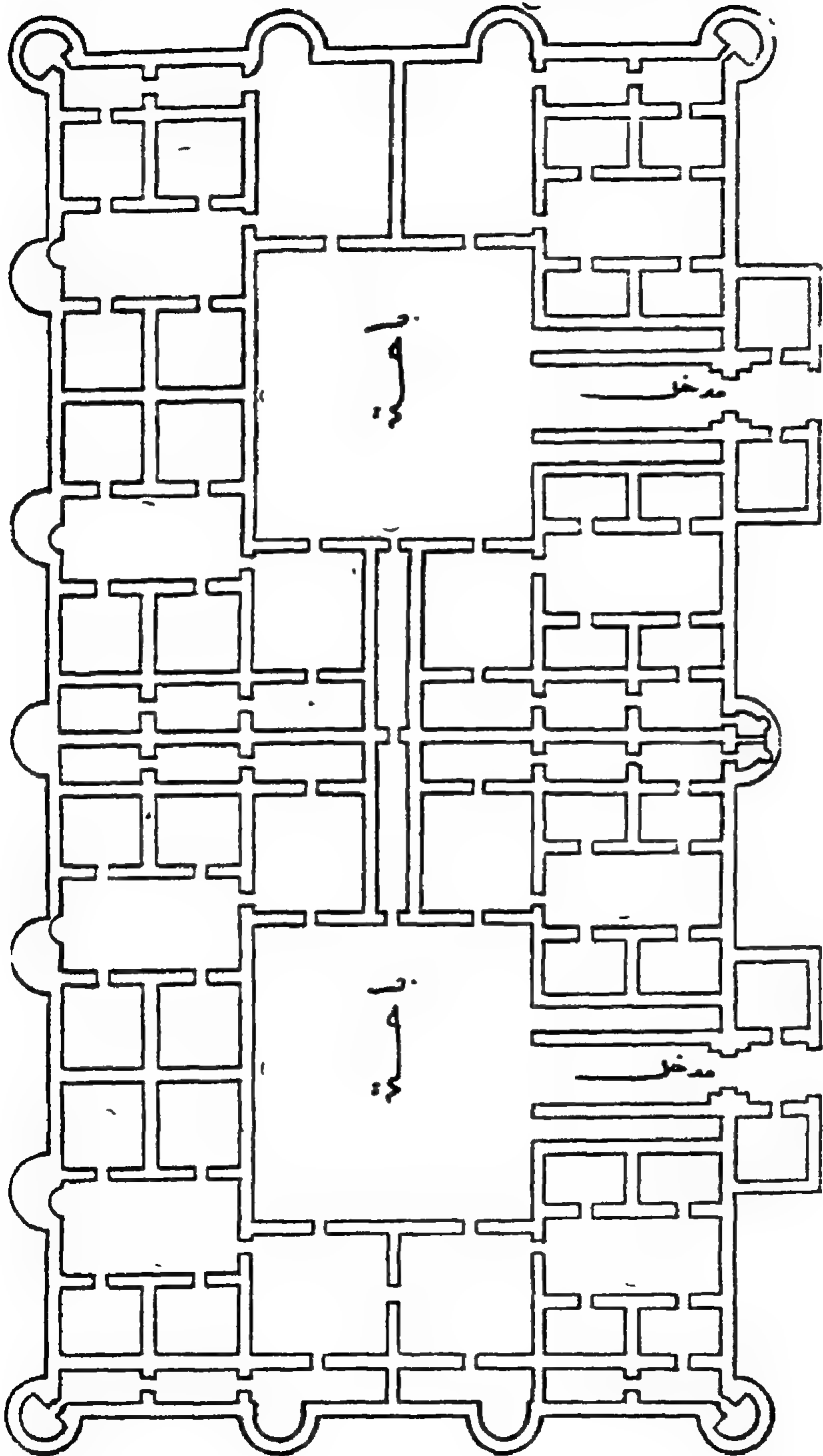
متراً وفي زواياه أربعة بروج مستديرة ولكل من جوانبه الشرقي والغربي والشمالي خمسة بروج مستديرة وأما جهة الجنوبية فلها أربعة بروج فقط ودعامتان مخرجة الأخلاع فتح ينحني المدخل . وفي وسط القصر باحة يحيط بها غرف عديدة مرتبة على شكل يجعل منها أربع دور مستقلة متشابهة الهندسة وجدرانها من آجر قائم على دكة مرتفعة من حجر نحت وقد زينت جميع دكة جبهة المدخل بأجمل الزخارف وأدقها صنعة^(١) مكونة من مثلثات نحت سيف وسطها وردة تحيط بها كرمة ذات أغصان وفروع كثيفة تظلل طيوراً وحيوانات خرافية كالقنطورس والعنقاء صورت

أحسن تصوير فجمع هذا القصر بين ابداع البناء وجمال الزينة جاء تحفة عصره وفاق كل بناء من نوعه وهو معجزة البناء الأموي وأبلغ شاهد على مدى رقي الفن المعماري وفتش ومهارة المهندسين واتقان الثنائين وسلامة ذوق النقاشين ولو سلم هذا القصر من عوادي الدهر واستهانته البشر لكان اليوم المثل الأعلى لعبقرية الإنسان ومبلغ انتاجه في ظل الرفاهية والرخاء . وقد اقتطع الالمان في عهد الدولة العثمانية جميع زخارف هذا القصر ونقلوها الى بلادهم حيث أعادوا تركيبتها في متحف برلين وهي اليوم من أنفس محتوياته .

وهذا القصر هو أول ما عرف من نوعه وقد أثار حوله الجدل الطويل بين الخبراء وعلماء الآثار . فمنهم من نسبته للفرس ومنهم من قال أنه من عهد الرومان وقال غيرهم هو من صنع البيزنطيين ونسبه بعضهم للعرب . وقد تنازعوه طويلاً دون أن يظهر به أحد منهم الى أن اكتشف في السنوات الأخيرة قصر الخير الغربي وقصر خربة مفرج وقصر خان منية فأعيد الى حظيرته والحق بنسبه العربي دون منازع . وهناك أدلة يتبين منها أن القصر لم تنجز عمارته ولم يسكن قط ويظن أن يزيد بن عبد الملك أراد بناء لجاريته حيازة فمات ولحق بها دون أن يحقق غايته واعرض عن اتمامه خلفه .

قصر طوبى او التوبة شكل (٧)

يقع في أقصى جنوب بادية البلقاء على بعد أكثر من (١٠٠) كيلو متر من جنوب شرق عمان . وهو بناء خرب مستطيل الشكل يبلغ أطول أضلاعه نحو (١٤٠) متراً والأصغر نحو (٧٣) متراً وله في كل زاوية برج مستدير وبدعم جداره الجنوبي خمسة بروج ويرجان في الشرق ومثلها في الغرب وله مدخلان يفصل بينهما برج مستدير وقد قامت على كل من جانبي المدخل غرفة مربعة . ولهذا القصر باحان تحيط بها الغرف ^(١) ورغم اختلاف شكله وطراز مدخله وتعدد باحاته فهو في جملة شديد الشبه بقصر المثنى روعيت فيه التقاسيم نفسها . ولو أخذ نصف القصر



شکل ٧ - قصر طوبی او التوبة

لما اختلف في تفاصيله عما نعرفه عن بقية القصور الأموية . وقد شيد هذا البناء على شفير واد يعرف اليوم بوادي غدف ولعل هذا القصر هو الأغدف الذي كان ينزله الوليد بن عبد الملك وواجه الشبه بين الاسمين قريبة جداً والتحريف لا يستبعد .

* * *

وبعد فإنني اجتازي بوصف أهم القصور المعروفة التي تحققت نسبتها الى العهد الأموي واجمعت عن وصف قصير عمراً لأنه لا يدخل في عداد القصور وثبت بأنه حمام وان القصر الذي بجواره قد عفت آثاره وضاعت معالمه .

وهناك في انحاء مختلفة من سورية ابنية التقطت صورها من الجو حديثاً لها مظاهر القصور الأموية وهي تتطلب دراسة واسعة وبجهداً دقيقاً للتثبت من عهدها ومعرفة مصورتها . وهكذا قد اتسع امامنا الميدان نجول في أفق مشبع بالأمال بعد أن كن الباحث قبل عشر سنوات يحبط خبط عشواء متردداً بين الخدس والتخمين تتنازعه الاهواء وهو ضال عن سواء السبيل . والرجاء معقود على ما سيكشفه لنا المستقبل الغريب فتعدى مرحلتنا الأولى في معرفة ما كنا نجعله من حقيقة نهضتنا العمرانية مما اتصل بنا خبره وضاع أثره .

جعفر الحني





الاهام العائرة

(٢)

١٠ - زحف إلى مدينة كذا ، لا على مدينة كذا

من مضحكات أرباب الصحف والتاريخ أن بعضهم يقولون : زحف القائد الفلاني بجيشه « على » مدينة كذا ، كأنه جعل المدينة تحت استه ، وهو يزحف عليها بجيشه الى عدوه . قال في التاج : « الزحف : الجيش ، وفي اللسان : الجماعة ، يزحفون » الى « العدو » بمرّة . زاد في الأساس : في ثقل لكثرتهم وقوتهم . . . واصل الزحف من قولهم : زحف الصبي على « استه » وهو ان يزحف قبل أن يمشي « انتهى » فالصواب ان يقال إذن : زحف القائد الفلاني بجيشه « الى » مدينة كذا .

١١ - جمع أفعل فعلاء نمتاً على فعل بالضم للذكر والمؤنث

انك لتقرأ في كتب كثيرين ، ومقالات جماعات من المؤلفين مثل هذه العبارة : « الترتيبات الفراء ، والجنات الفيحاء ، والبساتين القناء ، والافعال او الاعمال الجوفاء » . وهذا لا يجوز ، لأن جمع أفعل فعلاء : فعل بضم الأول ، فنقول : الترتيبات الفراء ، والجنات الفيح ، والبساتين الفن ، والافعال الجوف ، باتباع التعت للنعوت . وكذلك الايادي البيض وخطأ البيضاء وهذا الجمع مطرد في كل نعت ورد على أفعل ومؤنثه فعلاء ، بما دل على لون ، أو عيب ، أو حلية . اما إذا لم يدل على هذه الصفات فيجمع على أفعال كأ كبير وأصغر وكذلك اذا لم يكن صفة بل اسماً فيجمع على أفعال كأدام واسود واجادل . ونص سيبويه صريح . قال في (٢ : ٢١١ من طبعة بولاق) : « وأما افعل ، اذا كان صفة ، فانه يكسر على فعل ، كما كسروا فعولاً على فعل ، لان افعل من الثلاثة وفيه زائدة ، كما أن في فعول زيادة ، وعدة حروفه كعدة حروف فعول ، الا أنهم لا يثقلون - في أفعل - في الجمع - العين ، الا أن يضطر شاعر . وذلك احمر وجر ، واخضر وخضر ،

وابيض وبيض ، واسود وسود ، وهو عما يكسر على فعلان . وذلك حمران ، وسودان وبيضان ، ومشمطان ، وأدمان . والمؤنث من هذا 'يجمع على فعلٍ : وذلك حمراء وحمراء ، وصفراء ، وصفراء . وأما الأصفر والأكبر فانه يكسر على أفعال ، ألا ترى انك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه . لا تقول رجل أصفر ولا رجل أكبر سمنا العرب تقول الأصغرة كما تقول القشاعة وصيارفة ، حيث خرج على هذا المثال . فلما لم يتمكن هذا في الصفة ، كتمكن أحمر ، أجري مجرى أجدل وأفكل ، كما قالوا : الأباطح والأساود ، حيث استعمل استعمال الاسماء ، وإن شئت قلت الأصفرون والأكبرون ، فاجتمع الواو والنون والتكسير هنا كما اجتمع الفعل والفعلان . وقالوا : الآخرون ولم يقولوا غيره ، كراهية ان يلتبس بجاع آخر ، ولأنه خالف اخواته في الصفة ، فلم يتمكن تمكنها كما لم يصرف في النكرة ، ونظير الاصفرين قوله تعالى بالأخسرين أعمالاً » ا ه .

ومن العجيب أن فارس الشدياق الذي أصلح ترجمة الانجيل لم ينتبه الى هذه القاعدة ، فقد أخطأ مثلاً في انجيل متى ١٧ : ٢ في هذه الآية : « وصارت ثيابه ييضاً » فكتبها « ييضاً » وزان فعلاء . وكذلك فعل الشيخ ابراهيم اليازجي في الترجمة اليسوعية البيروتية ، فانه ابقى هذه الكلمة على وجهها المخلوط فيه . وقد تكرر هذا الخطأ مراراً لا تحصى في الترجمة البروتستانية والترجمة اليسوعية ، ومن تتبع نصي هاتين الترجمتين يعثر عليها لا محالة .

وأما هذا الوم في الجرائد ، والمجلات ، والكتب الحديثة ، فانها لا تحصى . وكذا قد خطأنا ناشر كتاب الحيوان للجاحظ لكونه قال : « صخور ملساء » وصوابها « ملس » لا يخن ، فاذا بصاحبنا يكتب كتابةً يفسد هذه القاعدة ، وهذه عبارته وقد وردت في الثقافة (٢ : ٢١٥١) : « وفي ص ١٧٦ قلت : (صخور ملساء) فقلت : الصواب (ملس) . عتيت أن الجمع المكسر لغير العاقل لا يصح نعتة بفعلاء ، بل يصح نعتة بفعل جمع فعلاء . وهو مذهب يعترف حضرة الأب بان أحداً من التهوين لم يصرح به . وقد سمعت منك في مجلس ضم بعض الفضلاء انك استقرت كثيراً

من كلام العرب فصحت لك هذه الداعنة ، وخطأت بعض من حضر ، في قوله :
(الأيادي البيضاء) .

« وأنا أقول : ليس يكون تقييد قواعد الكلام بهذا النحو الذي جرى عليه
حضرة الأب . فالتحويون القدامى كانوا توسع علماً ، وأكثر احاطة ، وأدق انتباهاً
الى كلام العرب ومذاهبهم ، منا نحن الذين نطلع إلا على القليل الذي وصرنا
مسطوراً مكتوباً ، وهم كانوا يشافهون لأعراب في باديتهم ، وكانت لديهم الذخيرة
الفياضة من لغات العرب ، هؤلاء التحويون الأفاضال الذين لم يمهّد مثلهم في نخبة
اللغات الأخرى ، لم يمنعوا ما منعت ولم يحجروا ما حجرت . ولو أنهم وجدوا في كلام
العرب ما يفهم منه ما ذكرت لما ترددوا في حظره ، وهم قد أجازوا أن يوصف هذا
الجمع بما يوصف به المفرد المؤنث نحو قوله تعالى : « ولي فيها مآرب أخرى » .
« على أنه قد جاء من النصوص المعارضة قول الجاحظ نفسه في الحيوانات
٥ : ١٠٧ م ٢ : « فتستحيل حجارة سوداء » وقول ياقوت في معجم البلدان
(٢ : ١٩٣) : « إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة » . وقد تقول ان
إثبات الهمزة في (سوداء) من زيادة النسخين . فلم لا تقول ان الناسخين أهملوا بعض
الهمزات في نحو هذه الكلمة ، أهمال تحريف ، أو إهمال رسم » ؟ اه كلام الأستاذ
عبد السلام محمد هارون .

قلنا : لما بيننا وجه استعمال جمع أفعال وفعلاء نعتاً ، كنا اعتمدنا على استقرارنا
الشخصي ، أما الآن ، وقد ظفرنا بالنص الصحيح ، فقد بطلت جميع مزاعم الأستاذ
عبد السلام ، ولم يبق لها معنى ، ولا تحتاج الى تفنيد « لأن المعلم تكلم » فيجب علينا
التسليم لقوله . وكفى .

١٢ - لا يقال ها هو ذا الألمان يهجمون على العدو

لا يقال : ها هو ذا الألمان يهجمون على العدو ، بل ها هم اولاء الألمان يهجمون على
العدو . ومن الغريب أن مثل هذا الغلط ، ركبته أحمد فارس الشدياق الكاتب
المشهور في مواطن شتى من الانجيل المنقول الى العربية والذي تولى تصحيحه وطبع

في بيروت . فقد جاء في انجيل متى ١١ : ٨ : « هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك » . وفي ١٢ : ٢٠ منه : « هوذا تلاميذك يفعلون مالا يحل فعله في السبت » . وفي ٢٠ : ١٨ منه : « هانحن صاعدون الى اورشليم » — ووقع أيضاً في مثل هذا الغلط في الترجمة التي عني بتصحيحها الشيخ ابراهيم اليازجي في الآيات التي ذكرناها . والصواب ان يقال هاهم اولاء الذين يلبسون . وهاهم اولاء تلاميذك يفعلون . وهانحن اولاء صاعدون . »

وقد تكررت نظائر هذه الأوهام مراراً لا تحصى في نسخة التوراة التي عني بتصحيحها احمد فارس الشدياق والتي عني بتحريرها الشيخ ابراهيم اليازجي . ونحن نذكر هنا : « هانا مرسلكم » (متى ١٠ : ١٦) وفي النسخة اليسوعية : هانا ارسلكم . والصواب هانا اذا مرسلكم او ارسلكم . — وفيه في ١١ : ١٩ : « هوذا انسان اكل » والصواب : هاهوذا انسان اكل . — وفيه في ٢١ : ٥ : « قولوا لابنة صهيون : هوذا ملكك » . والصواب « هاهوذا ملكك يا نيك » وفيه في ٢٥ : ٢٥ : « هوذا الذي لك » والصواب « هاهوذا الذي لك » . ولا تريد ان نمضي قدماً في هذا التصحيح لكثرة ما في هاتين النسختين من أغلاط هذا القليل . والقاعدة هي هذه على ما جاءت في تاج العروس ونحن نلخصها على هذا الوجه : هاهوذا ، هاهماذان ، هاهم اولاء ، هاهي ذه ، هاهما تان ، هاتن اولاء ، هاناذا ، هانا ذه ، هانحن اولاء . وقال السيد مرتضى في شرح المقدمة بنحو صفحتين قبل الختام ، عند الكلام على قول الفيروزابادي : « وهانا اقول » : قال شيخنا : المعروف بين أهل العربية أن (ها) الموضوعة للتنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل الواقع مبتدأ إلا إذا خبر عنه باسم إشارة نحو هانتم اولاء ، هانتم هؤلاء . فاما اذا كان الخبر غير إشارة فلا . وقد ارتكبه المصنف غافلاً عن شرطه . والعجب انه اشترط ذلك في آخر كتابه لما تكلم على (ها) وارتكبه هنا ، وكأنه قلده في ذلك شيخه العلامة جمال الدين ابن هشام ، فانه — في معنى اللبيب — ذكرها ومعانيها واستعملها على ما حققه النحويون وعدل عن ذلك فاستعملها في كلامه في الخطبة مثل المصنف فقال : « وهانا بانح بما أسررت » انتهى .

١٣ - العريس : يرد عندهم بمعنى العروس

الجرائد تكثر من ذكر (العريس) في وصف حفلات الاعراس . ولم يرد العريس بمعنى العروس عند فصحاء العرب . فالعروس يقال للذكر والانثى . وعند إزالة الأيهام يقال العروسة بهاء التأنيث . وفي الأنجيل الذي تفتح عريته أحمد فارس الشدياق ، وهو الترجمة البروتستانية ، نجد ذكر "عريس" للذكر والعروس للمؤنث . قال في متى ٢٥ : ١ : « يشبه ملكوت السموات عشر عذارى اخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس » - وفي الترجمة اليسوعية . « وخرجن للقاء العروسين » . وهذا أيضاً خطأ لأن الأصل يقول : للقاء العروس والعروسة . فقول المترجم للعروسين يحتمل ثلاثة معانٍ : الاول ان لفظ العروسين يعني العروس والعروسة ، الثاني انه يعني عروسين ذكرين . الثالث انه يعني عروسين أنثيين او عروستين . ولهذا وجب ان يوضع هنا فيقال : العروس والعروسة ليزول كل إيهام وشبهة .

١٤ - لا يقال كرس حياته لتخير ، بل وقف ، أو ، أرصد حياته للخير ومن غريب تصرف الكتاب في الألفاظ ومعانيها ، انهم يستعملون كلمة (كرس) بمعنى خصص ، ووقف ، وأرصد . فيقولون مثلاً : كرس حياته للخير . والكلمة أصل يوناني من Khrisma وهو زيت التقديس والتبريك عندهم ؛ لكن العرب لم يستعملوها ، لأنهم لو اعتبروها عربية محضة ، تكون قد اخذت من (الكرس) بالكسر . وهو مأبني لطيان المعزى مثل بيت الحمام ، والبحر والبول المتبلد بضمه على بعض . فيكون معنى « كرس » بموجب الأصول العربية الفصحى جمع هذه الأقدار بعضها على بعض . وهذا قبيح . وفي لسان العرب . « التكريس مصدر كرس ، وهو ضم الشيء بضمه الى بعض ، ويجوز أن يكون من كرس الدمنة حيث تقف الدواب » ولهذا يجب على الكتاب - لاسيما المسلمون منهم - أن يعدلوا عن هذا الفعل المشتب المعاني ، إلى ما اتخذوه الأقدمون من البلغاء ، أي ان يقال : وقف ، وأرصد ، وخصص ، إلى نظائرها .

١٥ - السيدة المصونة لا المصون

ومن غريب أو هامهم انني تدل على جهلهم للاحكام العربية ، بل مبادئ العربية انهم يقولون : « السيدة المصون » ، ظنا منهم ان زنة [مصون] : فعمل . وفعل اذا دلت على معنى الفاعلية لا تنحصر في الماء . فيقال : امرأة صبور ، وناقاة زيون ، وبقرة حلوب ، لكن وزن مصون هنا مفعول من صان يصون . ومفعول يؤنث بالماء فيقال مصونة . اذن السيدة : مصونة ، والمرأة المصونة ، والابنة المصونة ، لا المصون في هذا كله .

١٦ - المستعد (لكذا) لا (الى كذا)

ويقول كثيرون : المستعدون « الى » الامتحان كثيرون . وهذا خطأ ، لأن استعد يتصل بمفعوله بالي ، لا بتلام (كذا) . ولهذا لم يصب الشيخ ابراهيم اليازجي في تصحيح الانجيل حينما قال : « ودخل معه المستعدات الى العرس » [متى ٢٥ : ١٠ طبعة اليسوعيين] والصواب للعرس .

١٧ - لا تقل احكم بصفتي حاكم المدينة ، بل احكم وأنا حاكم المدينة

ومن جهل بعضهم للأصول العربية ، وهم أكثر أصحاب الجرائد والمجلات ، انهم يقولون : وأنا احكم بصفتي حاكم المدينة كذا وكذا . (؟) فقولهم بصفتي حاكم المدينة ، كقولهم بوصفي حاكم المدينة لا فرق . اذ كل من صفة ووصف مصدر وصف : اذن فقولهم بوصف حاكم المدينة ، يعني انه يحاول وصف حاكم المدينة : لكن مرادهم من تلك العبارة ترجمة الفرنسية En qualité de gouverneur de la ville وهذه صيغة فرنسية خاصة بتلك اللغة ، ولا يمكن أن تنقل بأحرفها ، بل يقال هكذا : « احكم وأنا حاكم المدينة » ، وحاكم هنا منصوبة على الحالية ^(١) . أي احكم وأنا في حال كوني حاكماً للمدينة . أو يقال : احكم لكوني حاكماً للمدينة كذا وكذا (؟)

الأب انستاس ماري الكرملي

(البقية للآتي)

هذا ذهول من حضرة الاب المحترم والصواب ان (حاكم) هنا خبر المبتدأ والملة هي الحال

عشائر الشام

— ٣ —

منازل البدو — ان الصحراء الشاسعة المتحدة ما بين الدجلة والفرات وشرقي المعمور من ارياف الشام في طول يبعد نحو ٤٠٠ — ٦٠٠ كيلو متر عن جبال البلقاء وهوران وقلون والشومرية والبلعاس والاحص والشبث تعرف عند الجغرافيين باسم (بادية الشام) وعند عشائرنا باسم (البرية) أو (الشول) والكلمة الثانية تركية بمعنى بادية . وهذه الصحراء هي منازل البدو ومسارحهم يضربون في ارجائها صعيًا وراء الكلاً والماء والدفء لسائمهم ، وهي تنقسم الى عدة مناطق لها عندهم اسماء خاصة منها (الجزيرة) ما بين الدجلة والفرات وهي تقابل (الشامية) اي السهول المتحدة في غربي الفرات و (الشبل) وهو ما وقع شرقي ارياف حمص وحماة وغربي طريق تدمر والرفة . وقد اخذوا هذه الكلمة من مكيال الحبوب المسمى شنبلاً والمستعمل في مدن حلب وحمص وحماة وهو يزن نحو ٢٢٠ كيلوغراماً في حمص ونحو نصف ذلك في حلب . و (الحماد) وهو القفار التي تمتد جنوبي وشرقي ديرة الشبل حتى حدود نجد . و (الحارّة) أو حرة الراجل وهي منطقة الاوعار البركانية التي تمتد جنوبي وعرة الصفا وشرقي جبل الدروز وتشقها الآن انابيب البترول الداهية من العراق الى حيفا . و [الجوف] واحة منخفضة بعد وادي السرحان وفي اقصى الشمال الغربي من بقاع نجد ، وهي ذات موقع جغرافي مهم جداً لوجودها في المنتصف ما بين الفرات وسكة الحجاز وبين جبل شمر وجبل الدروز وهي على عمر القوافل والقبائل الى الشام من أقدم العصور .

وقد قسم الافرنسيون والانكليز الحماد الى قسمين بينهما خط وهمي يبدأ من قرية امتان في جنوبي جبل الدروز ويسير في خط سوي حتى بلدة ابي كمال على الفرات وهذا الخط يفرق بين حدود الشام وشرقي الأردن والعراق . ويسود هذه البادية

أقليم صحراوي ، شديد الحر في الصيف شديد البرد في الشتاء وهو أوقها جاف جداً وأمطارها قليلة وفصل الشتاء فيها قصير أما أرضها فمبسطة كل الانبساط تخللها في بعض الأماكن تلالاً وأودية صغيرة وآكام صخرية بازالتية أو كلسية .

وليس في هذه البادية أثر للرمال اللهم إلا شيء في شرقي تدمر حول بعض الأودية والسبخ . وأما تربتها فكلسية صفراء حشة مختلطة بقسم غير يسير من التراب النباتي . فإذا نالها نصيب من المطر اهتزت وربت وأنبتت من الأعشاب والانجم الخاصة بالبوادي . وهذه قصيرة العمر وصغيرة القدم ، أخصبها الروثة والرمث والشيع والرم والحض والقيصوم والنهي والنديدحان والصر والريان والحمصان والخافور والقبا وغيرها . وأفضلها وأحبها للابل ما كانت فيه ملوحة وحموضة كالروثة والرمث والنهي . لأجل هذا يخطئ من يظن أن بادية الشام فلات رملية كدهناء نجد أو تهامة الحجاز والبصرة بل هي أشبه بالسهب العشوشة التي في انحاء روسية الجنوبية مما يدعوها الأوربيون Steppe .

والذي يجذب البدو نحو هذه البادية غير الأعشاب والانجم المذكورة هو [الخبرات] جمع خبرة . وهي البحيرات الوقفية التي تحصل في القيعان والوحدات حيث تجتمع المياه من الأمطار السائلة من المنحدرات والتلال المحيطة بها . وأشهر هذه الخبرات خبرة الزرقا وخبرة مرقية وخبرة المهجم وخبرة الصيقل وقد تسمى هذه بحيرة الصيقل وخبرة ملحمة وغيرها : وتبلغ مساحة بعضها عدة مئات من المكثارات . يفد إليها البدو بقطعانهم فيعلون وينهلون . وبعد هذه الخبرات إلى الشرق تحدث في منحدرات جبل عنزي المائلة نحو الشرق أودية تسيل باتجاه الفرات يستقي البدو منها أيضاً كوادي المياه ووادي سوى ووادي حوران ووادي عاصم وغيرها . وهذه الأودية متقطعة الجريان لا تسيل إلا حين هطول الأمطار الغزيرة ، فهي تنظم حركة مياه البادية وسيولها وتصرفها نحو الفرات . وإذا انقطعت تحدث غدراناً وإذا فاضت تحدث بعد انصرافها غيطاناً خضرا تسر العيون في تلك الفيافي القفراء .

وفي هذه البادية عدة جبال يسيرة العلو ، تكتسي قممها بالثلج في السنين الباردة

وتجود فيها مراعي الابل والغنم ، تنزلها عشائر اشمال في الشتاء منها البلعاس وابو الزهور وشاعر - والشطب والعمور والمرء والايض والابورجمين والضاحك والاصابع والمنشار والبشري - وفي الوسط على الحدود الشامية العراقية جبل التنف ، وفي الجنوب جبل عنزي وجبل لاهة . وفي البادية ايضاً من المناهل ذات البئر والآبار المتعددة التي عمقها ١٠ - ١٥ متراً ومياها ما بين اجاج وعذب ، اشهرها في الشمال الطيبة والكوم وام شريدي وامرية وتوينات والكديج وقطقط وابوفياض وابواليتل والهبة وعين البيضاء والسبع آبار . وفيها من القرى تدمر وأرك والسخنة داخل حدود الشام والرطبة داخل حدود العراق . وقد اخترقها أخيراً خطان لأنايب النفط قادمان من كركوك لتجه الأول نحو طرابلس والثاني نحو حيفا . وفي كل منهما عدة محطات كبيرة محصنة بالمخافر ومزينة بدور ومبانٍ جميلة تحوي كل أسباب انرفه من ماء وكهرباء وحدائق وغراس ، مما صير هذه المحطات شامات في وجنة البادية . ويخترق البادية ايضاً طريقان للسيارات أولهما قادم من دمشق والثاني من حيفا يجتمعان في الرطبة ويذهبان متحدين نحو بلدة الرمادي على الفرات فيقعدان . وقد تم في يومنا نعيد طريق حيفا - الرطبة ولم يتم ذلك في طريق دمشق بعد .

إذا حل فصل الخريف وبدأت امطاره بالمطول [ايلول - تشرين] يشرع البدو بجمعهم نحو الشرق ، وهم يسمونها [تشریق] فيظعنون رويداً رويداً ويعدون كلما اعشوشبت أرض البرية وزخرت الآبار والمناهل بالماء . وإذا جاء فصل الشتاء وهمت امطاره بنزارة وكانت السنة غير قارسة البرد تغدو البادية بقعةً بهجةً وتكتسى بعشب ترتع فيه الابل والغنم وتلد بكثرة فيعلو ثغاء الحملان ويدوي صوت مخض الالبان وتمتلئ الخزرات بالمياه الزاخرة قترنوي منها سوائهم مما كثر عددها . وينساب البدو ويوغلون في جمعهم ويظيلون امدحاً ما طاب لهم المقام ويعم الفرح مضاربهم ويطفح البشر والاغنياء على وجوههم . ويمكن بعضهم وقتئذ على الصيد بقصد اللهو والأنس . والصيد متيسر في البادية لوفرة الغزال والأرنب والحجل والحباري وغيرها . ويتخذون لذلك ويربون الطيور الجوارح والكلاب السلوقية .

ولكن ما ان يقبل شهر نيسان أو ايار وتنقطع الأمطار حتى تجف تلك الأعشاب وتقل مياه تلك الخيرات وما ان يشتد الحر حتى يكبح بسيط البادية ويربد وينقلب كثيراً يبعث الانتفاض ، وتبرز أرض الجوع والعطش التي لا يظهر فيها نبات ولا تسيل أودية . لهذا يشرع البدو بالتغريب أي بالرحيل والانتقال نحو الغرب منذ غرة آذار يسرون زرافات الى حيث يجدون مجالاً للرعي ويهاجوا للشرب في العيون أو الآبار المعروفة لديهم . وحينما يحل فصل الربيع في [المعمورة] أي في المناطق الآهلة بالسكان من أرياف الشام يقتربون منها . وحينما ينتهي هذا الفصل يشرعون بتخطي حدود الأراضي المزروعة ويصلون الى المواقع التي تكون قرب نهر أو عين ويهبطون بذلك لأنفسهم منطقة كافية لرعي سائمتهم ويضربون خيامهم فيها لمدة موقفة في انتظار انتهاء موسم الحصاد كي يقصدوا بعده مراعي جديدة .

تخضر البدو . — لا بد أن يفعل الزمن فعله في هؤلاء البدو ويخضعهم الى ما جرى على اسلافهم الذين تركوا عيش البداوة وانصرفوا للاستقرار والتخضر . مجازين ادوار الطبقة الاولى فالثانية فالثالثة تقول هذا على ما نعلمه من كره البدوي للعمل وعزوفه عن الحرث والكرث وامتهانه لما . فقد كان في الماضي القريب يعتمد على الغزو ويعد بعد الرعي مرتزقه الطبيعي ويهتبل الغرر من فوضى الأحكام وضعف السلطان ليستريح حمى المصمر وينتمر في وجه الضيف ويستدر المكاسب من أي نبع كان . إلا ان هذه الفرص لم تعد توافيه فسيل الغزو قد انقطع بفضل السيارات المسلحة بالرشاش وتيجول دوريات المجاعة داخل الحدود العراقية والاردنية والشامية . ولم بعد الجناة يفلتون الا فيما قل .

وانقطاع الغزو وشيوع سيارات الركب السريعة يكاد يبيد الخيل كما أن السيارات الضخمة ابادت قوافل الابل العظيمة التي كانت تنقل نواتج الهند والعجم والعراق من بغداد إلى دمشق . ومصر التي كانت أكبر سوق للابل قل فيها عدد اكلي لحما وتقدمت وسائل النقل الآلية فلم تعد ثرية الابل رابحة كما كانت من قبل مما اضطر العشار الكبيرة إلى الاقلال منها . فبعد ان كان عدد ما يباع منها مثلاً عند الرولة حين اصطيفائها في الجولان ٣٠ — ٣٥ ألفاً في سنة ١٩٢٢ هبط

عدد المبيع الى ١٢ ألفاً في سنة ١٩٢٢ وإلى أقل من ثمانية آلاف في سنة ١٩٢٨ . وبينما كانت هذه العشائر لا تربي نعجة واحدة صار عدد الغنم لدى الرولة ٣٠٠٠٠ رأس في سنة ١٩٢٩ ولدى الاسبعة ٥٠٠٠٠ ولدى الفدعان ٦٤٠٠٠ وهكذا . ثم انت شيوخ العشائر الكبيرة هذه بعد ان كانوا ينظرون الى الزراعة وأربابها بازدراء مالوا منذ خمس عشرة سنة أو أقل الى اقتناء الضياع والارضين من أملاك الدولة وغيرها وتوفروا على احياء الحرب الدائرة وتفجير القنوات الفائرة وشرعوا يهتمون بالزراعة ويجنون ثمراتها ويتجهون الى سكنى المدن والقرى وبناء الدور وغشيان المجتمعات والمنشآت . ولو اتبع لهؤلاء الشيوخ أن يعلموا ابناءهم في المدارس الراقية كما فعل عجيل الياور شيخ شمر العراق ومجهم بن مهيد شيخ الفدعان والحاج مصطفى شويطية شيخ العقيدات ابوليل ، او لو فتحت لأبناء هؤلاء ومن يليهم مدارس خاصة على طراز (مدرسة العشائر) التي كان السلطان عبد الحميد فتحها وتثقف فيها كثير منهم امثال برجس بن هديب شيخ الاسبعة العبدية ونواف الصالح شيخ الحدبديين ورمضان شلاش احد شيوخ العقيدات الابوسرايا وغيرهم ، ثم لوان وزارة المعارف عينت لكل فرقة كبيرة منهم معلماً سياراً يقيم في بيت الشعر ويشرق ويغرب معهم ويعلم صغارهم القراءة والكتابة وبسائط العلوم الدينية والدنيوية الضرورية ويجب اليهم معيشة الاستقرار وحياة الحرث والكث وما الى ذلك . . . قلت لو تم هذا أو لو سير فيه لتعجلت حضارة البدو وحسنت أطوارهم ومعيشتهم وعمرت براريها الفاسدة وصاروا أعضاء نافعين في جسم الامة العربية بدلاً من أن يكونوا هكذا متخفين للشر والأذى بحكم الامية والجهالة وفقدان التوجيه والهداية .

تعريف عشائر البدو - عشائر الطبقة الاولى اهل الابل - عنزة

عنزة . - اعظم القبائل البدوية عدداً وشأناً وأمنها جانباً وأكثرها انتشاراً في الحجاز ونجد والعراق والشام . حتى أن آل سعود ملوك نجد والحجاز منها وكذا آل صباح امراء الكويت وآل خليفة امراء البحرين . والمعروف بين البدو أن عنزة من أعقاب عنز بن وائل . ويقول السمعاني في كتاب الانساب ان عنزة حي من ربيعة ، وان نسبه عنزة بن اسد بن ربيعة بن تزار بن معد بن عدنان والله أعلم .

وموطن عنزة في الحجاز في انحاء خير ، وكانت هجرة من وفد منها الى الشام والعراق طيعة وبالتابع على نحو الهجرات البدوية العديدة التي قدمنا أن سبلها لم ينقطع . وقد حدث ذلك على ما يظن في اواسط القرن الثاني عشر الهجري ، جاء أولاً أكثرها الى الشام ثم ذهب قليلها الى العراق . وأول بطن جاء منها إلى الشام الاحسنة ثم لحقهم الفدعان والاسبعة ثم الولد علي وآخر من جاء الرولة . وقد اغارت وقتئذ عنزة على وادي السرحان وشرقي الاردن وحوران ، وانتزعت السيادة من العشائر القديمة التي كانت فيها كالسرحان وبني صخر والسردية والفعلبي وغيرها وهاجمت شمر التي كانت اسبق في الانسياب نحو شمالي الشام ودحرنها شطر الجزيرة الفراتية كما هاجمت العشائر القديمة المتمكنة في انحاء حمص وحماة (وأخصها الموالي) وانتزعت السيادة منها واستقرت وتبسطت .

أما فروع عنزة فهي كما يلي : قالوا أن عنزة اعقب ولدين هما مسلم وبشر . فسلم أبو ضنا مسلم ، وهم نخذان الجلاس والوهب . فمن الجلاس عشائر الرولة والمخلف ، ومن الوهب الولد علي والمنابيه والحيدة . فالمنابيه والحيدة في شمالي الحجاز وغربي نجد ، الا عشيرة الاحسنة المعدودة من المنابيه فانها في الشام . وبشر ابو ضنا بشر ، وهم أيضاً نخذان عبيد وعمارة . فمن عبيد عشائر الاسبعة والفدعان وولد سليمان . فالولد سليمان في شمالي الحجاز وغربي نجد والفدعان والاسبعة في شمالي الشام . ومن عمارة العمارات التي نزلت العراق وصارت تعد من عشائره .

ومن المؤسف أن العداوة منذ سنة ١٣٤٨ هـ مستحكمة بين ضنا مسلم (الرولة والولد علي والحسنة) وبين ضنا بشر (الاسبعة والفدعان ومعها الموالي) ولما تنجل هذه العداوة بعد . اما الشرف بين عشائر عنزة فقد قالت عنه السائحة الانكليزية اللادي بلونت التي جالت بين العشائر في سنة ١٢٩٣ هـ « ان أشرف البيوتات في عشائر البادية وقتئذ كانت ابن مزيد [الحسنة] وابن جندل [السوالمه] وابن الطيار [ولد علي] وابن هذال [العمارات] وابن سمير [ولد علي] . ثم يأتي بعده هؤلاء ابن صفوق [شمر الجربا] وشيوخ طي وابن هديب [الموايحه من الاسبعة العبدية] وروس الميبد [الفدعان] وابن مرشد القمصنة [الاسبعة البطينات] . اما ابن الشعلان فليست شرافته

الا عرضية أخذها بالسيف . وعراقه نسب شيوخ طي وشيوخ شمر الجربا لا قتل عنها في البيوت الخمسة الأولى» وأضاف المتقدم (القومندان) مولر الافرنسي على ذلك قائلا «ومن الغريب أن هذا الترتيب لا يزال على التقريب كما كان قبل نصف قرن» .

الرولة . - أكبر عشائر عترة عدداً وأعظمها قوةً وأجلها قدراً لدى ذوي السلطان في بلاد الشام . وهي آخر من هاجر ووصل إلينا من عشائر عترة ، ويقال أن منها بقية لا تزال في مواطنها في شمالي الحجاز . لذلك مايرحت أعرق العشائر في البداوة والجنوة واشظفها عيشاً وأرثها ملبساً ومسكناً . وقد نوه السائح الانكليزي دوختي الذي جاء في سنة ١٢٧٧ هـ بوجود الرولة في بوادي الشام وقال انها أكثر وأقوى العشائر وان شيخها وقتئذ فيصل الشعلان . ثم جاءت السائحة الانكليزية اللادي بلونت في سنة ١٢٩٣ هـ وكررت ذكر الكثرة والقوة وان شيخها وقتئذ سظام الشعلان . ويظهر ان الرولة كانت تتردد بين وادي السرحان وأطراف البلقاء وحوران وما زالت تزحف حتى استقرت في منازلها الحاضرة . وكانت حين ورودها استظهرت على جميع عشائر البادية والمتحصرة واستطالت الى فرض الاتاوات (الخاوة) على القرى المتطرفة وأقلقت الحكومات التي في هذه الديار . وقد كن الرولة خصوم شمر ابن الرشيد استخلصوا منهم في سنة ١٣٢٨ هـ وادي السرحان وواحة الجوف وقريات الملح التي فيه وظل الشيخ الحالي نوري الشعلان مدة مدبدة يتقاضى أربعة مجدييات عن كل حمل ملح ينقل إلى جبل الدروز وحوران وشرقي الاردن فجمع من ذلك ثروة كبيرة . ولكن في سنة ١٣٣٧ هـ استردها الشمريون منهم عقيب معارك شديدة ثم عادوا هم في سنة ١٣٤٠ هـ واستردوها وظلت في أيديهم الى سنة ١٣٤٤ حيث اضطروا الى التخلي عنها الى الملك عبد العزيز بن السعود بعد أن أزال دولة آل الرشيد واستولى على الحجاز . ويقدر عدد الرولة مع احلافها بـ ٤٠٠٠ بيت وعدد مواشيها بما لا يقل عن ١٢٠٠٠٠ بعير و ١٠٠٠ فرس و ٣٠٠٠٠ شاة ، ولا يخفى أي بيت فيها من بندقية وعند الشيخ نوري عدة سيارات ورشاشات ، وقد اقترق منها نحو ٤٠٠ بيت وهم فرقتا الدغمي والمشهور برئاسة درزي بن دغمي وفرحان بن مشهور وصاروا وهايين في سنة ١٣٤١ ودخلوا في الجوف .

وصفي زكريا

(يتبع)

كلمة الاشتيام

في شعر البحري

لعل لفظ [الاشتيام] لم يسمع الا في شعر البحري من قصيدته التي اولها
[ألم تر تغليس الريح المبكر وما حاك من نشر الرياض المنشر]
وهي التي مدح بها [أحمد بن دينار] والي البحر في العهد العباسي : فان هذا
الوالي [أونسمة امير البحر] أنشأ بارجة غزا عليها بلاد الروم . فمدحه البحري
بالقصيدة المذكورة : ومما جاء فيها قوله :

[ولما تولى البحر والجود صنوه غدا البحر من أخلاقه بين أبحر]

ثم وصف سير سفائن الاسطول فقال :

[غدون على الميمون صبحاً وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر]

وأراد بالمركب الميمون البارجة الجديدة التي أنشأها الوالي وكلمة [الميمون] تقع عادة في
جملة فصيحة يدعون بها للمسافر فيقولون [سر على الطائر الميمون] أي كن سعيداً
في سفرك . ثم وصف البحري أدب ملاحه [أحمد] فقال :

[يغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوف السباط للعظيم المؤتمر]

وقد فسروا [الاشتيام] برئيس المركب كما يأتي . وأطلقه البحري علي أحمد
المذكور . فهو يقول ان ملاحه اسطوله يهابونه فعم يغضون دونه أبصارهم مطرفين
واقفين كما تقف صفوف الناس للأمير العظيم اذا مرّ بهم .

واذا هاب الملاحون رئيسهم أحمد فما علينا نحن أن نهاب شاعرنا البحري

ونجراً على تقدمه ذلك أن شعره هذا يشبه قول من قال :

[كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوس حولهم ماء]

أليس مآل معنى بيت البحري تشبيه النوتية الواقفين لرئيسهم بسباط الناس
الواقفين لأميرهم وسباط القوم صفهم كما في القاموس .

وليس شأننا في هذه العجالة أن نقصد ماعاث في شعر البحري من الأغلاط وإنما شأننا هو تحليل معنى كلمة [الاشتيام] الواردة في شعره ومن أي أصل انتزعت لم تذكر المعاجم هذه اللفظة . على ذكرها صاحب التاج في غير مادتها اعني [ش ي م] ، ذكرها في مادة [رب ع] :

قال القاموس [والمربع كحسن شراع السفينة الملاي] فعلق [التاج] على قوله هذا قوله (والرومي شراع^(١) السفينة الفارغة ، والتملظة مقعد الاشتيام وهو رئيس الركاب] وقال في مادة [ل م ظ] [والمثلظة مقعد الاشتيام وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة] وقال [ومثله صاحب اللسان] في مادة [م ل ط] [والمثلظة مقعد الاشتيام ، والاشتيام رئيس الركاب اه] وقد وردت كلمة [الاشتيام] في عبارات التاج بالسين المهملة أما في عبارة اللسان فبالشين وهو الصواب كما هي في ديوان البحري وكما هي في كتاب [عبث الوليد]

ومع كل ما ذكرنا من قول البحري وتعقيلات التاج واللسان على كلمة [الاشتيام] بقي أمرها غامضاً علينا حتى عثرنا في كتاب [عبث الوليد] لأبي العلاء المعري على شيء من التحقيق في تحليل معنى هذه الكلمة وأصلها . قال ابو العلاء معلقاً على قول البحري [بغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوف السباط للعظيم المؤمر]

ما خلاصته [الاشتيام لم يذكرها المتقدمون من علماء اللغة . فاذا مثل من يركب البحر عنها قال: البحر يون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام فان كانت كلمة الاشتيام عربية كانت مشتقة من شام البرق يشبه اذا نظر اليه ليعلم ان كان ممطراً أو لا ورئيس المركب يكون عالماً بشؤون البروق والرياح . فهو تسمية بالمصدر كقولهم : رجل زورث اي زائر ، وفي البحر سمكة عظيمة تعرف بالاشتيام أيضاً . فلعلها سميت باسم رئيس المركب . كأنها رئيسة السمك . فهزة الاشتيام على هذا (أي على كونها عربية) همزة وصل وقد قطعت للضرورة وان

(١) اما السفينة نفسها فان كانت ملاي أي مشحونة سبت فأمدة وآمدة ورغن وان كانت فارغة سبت جناية بضم الجيم اه قاموس وتاج

كانت الاشتيام لفظة أعجمية فهمزتها همزة قطع [انتهى قول أبي العلاء . وهو ظاهر
في ان الاشتيام بالشين المعجمة لأنه جعلها من شام البرق وان معناها رئيس المركب
وانها يحتمل أن تكون عربية كما يحتمل أن تكون أعجمية . هذا ما أمكننا أن
نثر عليه من أقوالهم في تحليل كلمة [الاشتيام] وإذا كن لمثلي الحق أن يزيد على
ما قالوه فأعلق عليه قولي :

احتمال أن تكون [الاشتيام] عربية احتمال بعيد لأن المعاجم لم تذكر في مادة
[شام] ان الاشتيام اسم لرئيس المركب وكذلك لم يرد اشتام البرق بمعنى شامه فهي في غالب
الظن أعجمية وعلى القول بعجمتها لم نر أحداً منهم أشار الى أصلها الأعجمي . وأرى أن
أصلها فارسي وهو (آشنا) بهمزة ممدودة في أولها والفاء مقصورة في آخرها : قال شمس الدين
سامي في قاموسه المشهور [آشنا صفة فارسية يوصف بها الشخص الواقف على حقيقة الشيء .
ومن له علم به والخبير] . وفسرها صاحب معجم [كتر لغات] بقوله [آشنا : عريف .
خبير . سباح . عوام] فقوله : [سباح] بدنيها من معرفة معنى كلمة [آشنا] التي
حرفت الى [الاشتيام] وأن [آشنا] بعد ان كان معناها السباح في البحر عادوا
فأطلقوها على رئيس المركب الذي لا يمكن إلا أن يكون خبيراً بالسباحة ذاعلمها .
والا [أضع كل عمره] ثم إن ملاحى بحر الحجاز تلامذة ابن ماجد [الريان العربي
المشهور] سمعوا نواخذة الفرس يصفون ربان السفينة بأنه [آشنا] أي خبير بسلوك
البحر . وتكرر منهم هذا السماع فتلقفوا الكلمة وعربوها فأدخلوا عليها الالف واللام
في أولها والهمزة في آخرها وقالوا في أحاديثهم عن البحر . فلان الآشناء سافر .
وفلان الآشناء قدم . وفلان الآشناء غرق وهكذا . ثم ان النساخ — أو نساخ
ديوان البحري الذي ربما كان هو أول من وصل اليها استعماله لكلمة [الآشناء]
— هؤلاء النساخ حرفوا [الآشناء] الى [الاشتيام] . وما أكثر ما يقع التحريف
في الكلمات ذوات الأمتان والنقط أما همزة [الآشناء] الأخيرة فقد حرفت الى
الميم ذات الذنب القصير [م] ثم ان تعريب [آشنا] بالآشناء يشبه تعريب [كهربا]

بالكهرباء وشيئا بالسياء مرة وبالكيمياء مرة أخرى فزادوا [أل] في أولها والمهمزة في آخرها على أنه يحتمل أن تكون زيادة المهمزة الأخيرة ليست من [عملية] التعريب في شيء . وإنما هي ضرورة شعرية لجأ إليها البحرى لاقامة وزن البيت . وفي اشعار ديوانه شواهد على ذلك . منها قوله [والقنا قد أسال فيهم قناء] القنا الاولى الرماح و [قناء] الثانية جمع [قناة] التي معناها مجرى الماء ولا يخفى أن جمع قناة بهذا المعنى [قنا] بالف من دون همزة لكن البحرى همزها وقال [قناء] لضرورة الشعر أو ضرورة القافية . ومطلع هذه القصيدة (ياأخا الأزد ما حفظت الإخاء) قال ابو العلاء في (عبث الوليد) عند شرحه لكلمة [قناء] ومد المقصور سائغ وقد كثر في اشعار المحدثين وقل في اشعار المتقدمين . ومنه قول الشاعر :

[سيفيني الذبي أغناك عني فما فقر بدوم ولا غناء]

قال (غناء) بالمد وهو في كلام العرب مقصور لأن المراد به الاستغناء بالمال

لا التفي بالنشيد وقال البحرى أيضاً :

[وججاجعُ الأزد بن غوث حوله فرقا يهزوت اللحاء الشيا]

وعلق ابو العلاء على ذلك قوله [اللحاء بالمد اصله لحي فهو من باب مد المقصور]

فعلى ما تقدم يحتمل ان يكون البحرى في قوله [الآشاء] قد مد الالف

المقصورة لاقامة وزن البيت لا لأجل التعريب ويكون تعريب [الآشنا] بالف

مقصورة في آخرها كتعريب مرعرتى ومصطكا وكراويا

والخلاصة : أن [الاشتيا] في بيت البحرى محرف عن [الآشاء] و [الآشنا]

تعريب [آشنا] الفارسية بمعنى الخبير بالسباحة ثم استعمل وصفاً أو اسماً لرئيس المركب

لكنه استعمال لم يشتهر في لغة الأدب وبقي في دائرة ضيقة الحدود . نعتمد على

هذا الحل في تصحيح كلمة [الاشتيا] ريثما تقع على نسخ أخرى لأشعار البحرى

ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان تبين منها

حقيقة كلمة [الاشتيا] واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة والسلام .

جامع النوار يخ

- أو -

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

- ١٤ -

وكان ابو محمد المهلب يكثر الحديث على طعامه ويكون اطيب الحديث واكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء ، وكنت كثيراً ما احضر ، فقدم اليه في بعض الايام طيهوج^(١) فقال^(٢) : اذكروني في هذا حديثاً طريفاً ، فسئل ماهو ؟ فقال : اخبرني بعض من كان يعاشر الراسبي الامير قال : كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الاكراد المجاورين لعمله وكان ممن يقطع الطريق ، فاستأمن اليه فأمنه واختصه وطالت ايامه معه ، فكان في ذلك اليوم على مائدته ، اذ قدم جبل ، فألقى الراسبي منه واحدة الى الكردي كما يلاطف الرؤساء مواكليهم ، فأخذها الكردي وجعل يضحك ، فتعجب الراسبي من ذلك وقال : ما سبب هذا الضحك ؟ وما نرى ما يوجبه ، فقال : خبر كان لي ، فقال اخبرني ، فقال شيٌ ظريف ذكرته لما رأيت هذه الحجلة ، قال ماهو ؟ فقال : كنت ايام قطعي الطريق وقد اجتزت في بعض المحجة الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه حتى

(١) الطيهوج ذكر الحجل معرب تيهو بالفارسية . (٢) ارشاد الاربيب ٣-١٩٥

وحياة الحيوان ١-٢٠٧ وفي الارشاد : اذكروني هذا حديثاً ظريفاً وهو ما اخبرني به الخ

استقبلني رجل وحده، فاعترضته وصحت عليه، فاستسلم اليّ ووقف، فأخذت ما كان معه وطالبته أن يتعري، ففعل ومضى لينصرف، فخفت أن يلتقاه في الطريق من يستنفره على طلبي فأطلب وأنا وحدي فأؤخذ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لاقتله، فقال: يا هذا! اي شيء بيني وبينك؟ قد أخذت ثيابي وعريتي ولا فائدة لك في قتلي، فكشفته ولم التفث الى قوله، واقبلت اقنعه بالسيف، فالتفت الي كأنه يطلب شيئاً، فرأى حجلة قائمة وهي على الجبل فقال: يا حجلة! اشهدي^(١) لي عند الله تعالى اني أقتل مظلوماً، فما زلت اضربه حتى قتله وسرت^(٢) فما ذكرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة ذلك الرجل فضحككت. قال فالتفت عين الراسي^(٣) حرذاً، وقال: لا جرم ان شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة، وما أمتك الأعلى ما كان منك من فساد السبيل، فأما الدماء فما اسقطها الله عنك بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك الاقرار عندي. يا غلام! اضرب عنقه؛ قال فبادر الغلام اليه وغيره بسيوفهم يخبطونه، وضرب كل واحد منهم قفاه فكان رأسه قشاة قطعت بنصفين. فتدحرج رأسه بين أيدينا ونحن على المائدة وجرت جثته ومضى الراسي في الأكل.

* * *

أملى عليّ ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب الصابئ نسخة رقعة الى رجل زوج امه كتبها اليه: قد جعلك الله وله الحمد من اهل

(١) بالأصل: اشهد. (٢) بالأصل فشرت. (٣) في الارشاد: فالتفت

طينا الراسي في رأسه.

التحصيل ، والرأي الاصيل ، وصحة الدين ، وخلوص اليقين ، كما أنك
لا تتبع الشهوة في محذور (تفعله) ^(١) ، فكذلك لا تطيع الأتفة في مباح
تحظره ، وتأذى إلينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في
مدنك - وبين فلان ، ما علمنا أنك ^(٢) بين طاعة الديانة توخيها ، ومشقة
فيها تجشمتها ، فأنتك جدعت انف الغيرة لها ، وأضرعت خد الحمية فيها ،
وأسخطت نفسك لرضاها ، وعصيت هواك لرأيها . فنحن نهشك بعزيمة
صبرك ، ونعزيك عن فائت مرادك ، ونسأل الله الخيرة لك ، وأن يجعلها
ابداً معك فيما شئت وأيت ، وتجنبت وأنيت ، والسلام .

* * *

وأنشدني لنفسه قال وكتبت بها وانفذني الى حضرة الأمير ^(٣) ووعدني
بتخليصي فاخر ذلك (؟)

ايا ناصرًا ^(٤) للدين والدولة التي رددت اليها العزافات ردّه
ايعجزك استخلاص عبدك بعدما تخلصت مولاك الذي انت عبء

* * *

انشدني رجل مصري قال انشدني ابو الفرج كاتب ابن البكتري
رجل باقٍ بالشام من اهلها لنفسه :
تملكت يا مهجتي مهجتي واسهرت يا ناظري ناظري

(١) الكلمة غير واضحة . (٢) اعله سقط : فيه . (٣) في الارشاد ١ - ٣٤٨ انه
ابن بقية . ولعله : فوعدني الأمير بتخليصه . (٤) في الارشاد « الا بانصير الدين والدولة
الذي » . وكان لقب ابن بقية نصير الدولة . راجع تجارب الامم ٢ - ٣٥٥ .

وما كان ذا املي باملول ولا خطر الهجر في خاطري
وفيك تعلمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعر

* * *

انشدني ابو غسان المتطبب البصري :

افدي من سوء مولي بات معتني وقد أمال الي طائعا فاه
وكلمنا قلت يا مولاي اوثقي لك الهوى قال لي لا فكك الله

* * *

حدثني ابو القاسم بهلول بن ابي طالب القاضي وهو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي ، قال حدثني صاحب الربع يباب الشام وأسماء لي قال : كنت اعمل في اصحاب الشرط مع ابي الحسن الازاعي صاحب الشرطة ببغداد ، فأخرج لصوصاً من الحبس واستأذن معز الدولة في صلبهم وقتلهم عند الجسر ، فأذن في صلبهم عشياً ، وكانوا عشرين رجلاً ، ووكل بهم جماعة كنت فيهم ، والرئيس علينا فلان . وقال كونوا عند حبسهم بقية يومكم وليتكم ، حتى اذا كان من غد ضربت اعناقهم . فبتنا وجعلنا الليل يوماً فتقيل رئيسنا في نومه "وجماعتنا . فاحتال بعض اللصوص في أن قطع الحبل وتزل من الحشبة ، فمأنتبها الا بصوت وقعه وعدوه فعدا رئيسنا خلفه وانا معه ، فمألحقناه ، وخفنا أن يتشوش الرجال الباكون فيقلت انسان آخر ، فرجعنا مسرعين وجلسنا مغمومين مفكرين ماذا نعمل ، فقال : رئيسنا ابن الازاعي لا يقبل لي عثرة ، ولا يقبل

(١) لعله : في يومه يعني على انه قد جعل الليل يوماً (او لعله فتقيل رئيسنا في نومه) .

مني عذراً ، ويقع له انني قد أخذت من اللصوص مالا وافلته ، فيضربني للتقرير فلا اقر فيقع له انني اتجلد عليه ، فيمد الضرب علي الى أن اتلف فما الرأي ؟ فقلت تهرب ، قال فمن أين أعيش ؟ فقلت هذا نصف الليل ولم يعلم بما جرى أحد ، قم حتى نطوف ، فلا يخلو ان يقع بأيدينا مشنوم قد حانت منيته ، فتوثقه وتصلبه . وتقول له : سلمت اليئاعشرين رجلا ، فانه ما اثبت حلام . فقال هذا صواب . فقمنا نطوف وسلكنا طريق الجسر نعب الجانب الغربي ، فرأينا في اسفل كرمي الجسر رجلا يبول فعدلنا اليه فقبضنا عليه ، فصاح يا قوم ! ما لكم ؟ انا رجل ملاح صعدت من سميريتي ابول وهذه سميريتي ، وأوما اليها . أي شيء بيني وبينكم ؟ فضربناه وقلنا انت اللص الذي هرب من الحشبة وحبناه ^(١) ورقيناه الى الحشبة وصلبناه مكان اللص الهارب وهو يصبح طول الليل ويبكي ، فتقطعت قلوبنا رحمة له ، وقلنا مظلوم ولكن ما الحيلة ، فلما كان من الغد ركب الابرعاجي الى الحبس وجاء وقد اجتمع الناس ليضرب اعناق القوم ، فصاح به الملاح ايها الاستاذ ! - وكذا كان يخاطب وهو رسم لكل من يتقلد رئاسة الشرطة ببغداد - بوقوفك بين يدي الله ادعني واسمع مني كلامي فلست من اللصوص الذين أخرجتهم وأمرت بصلبهم وأنا مظلوم وقد وقعت بي حيلة . فأنزل به ، وقال له ما قصتك ؟ فشرح له حديثه على حقيقته ، فدعا بنا وقال : ما ^(٢) هذا الرجل ؟ قلنا ما نعرف ما يقول سلمت اليئاعشرين رجلا وهو لاء عشرون رجلا . فقال قد أخذتم من أحد

(١) لعله : وجذبناه . (٢) لعله سقط : فعل او حال .

الصوص دراهم واطلقتموه واعتزتم هذا من الطريق رجلاً غريباً بريئاً
فاخذتموه ، قتلنا ما فعلنا هذا ، اللص الذي سلبته الينا هو هذا . ف ضرب
اعناق الجماعة وترك الملاح . وقال هاتم السجّانين والبوايين ، فجاءوا ، فقال
لهم : هذا من جملة العشرين الذين أخذناهم ؟ فتأملوه بأجمعهم وقالوا لا .
ففكر ساعة ثم امر بإطلاقه ثم قال هاتموه اليّ ، فرمودناه . فقال اشرح لي
قصتك ، فأعاد عليه الحديث ، فقال له : نصف الليل ، أي شيء كنت تعمل
هناك في ذلك الموضع ؟ فقال : كنت قد بتّ في سماريتي فاخذتني بولة
فصعدت ابول ، قال فكفر ساعة ثم قال له : اصدقني على الحقيقة حتى
اطلقك ، أي شيء كنت تعمل هناك ؟ فلم يخبره بغير ذلك . — قال وكان
من رسمه اذا أراد أن يقرر انساناً قرره وهو قائم بين نفسين ووراءه
جماعة بمقارع فاذا حك رأسه ضرب المقرر واحدة جيدة عظيمة فيقول
للذي ضربه قطع الله يدك ورجلك يا فاعل يا صانع من امرك بضربه ولم
ضربه تقدم يا هذا لا بأس عليك اصدق فقد نجوت فان اقر والا حك رأسه
ثانية وثالثة أبداً على هذا وكذا كانت عادته في جميع الجناة وهو رسم له
معروف عند المتصرفين بمحضته — قال فلما أطلّ عليه الملاح حك رأسه
ف ضرب قفاه بعض القائمين بمقرعة ضربة عظيمة ، فصاح الملاح ، فقال
الابزاعجي : من أمرك بهذا يا فاعل يا صانع ؟ قطع الله يديك ، ثم قال
للملاح : اصدق وانج بنفسك ، فقال له الملاح : أيها الاستاذ ! الله شاهد
عليك اني آمن على نفسي وأعضائي حين اصدق ؟ فقال له نعم . قال أنا

رجل ملاح اعمل في المشرعة الفلانية يعرفني جيرانني بالستر ، وقد كنت
 سرحت سماريتي الى سوق الثلاثاء البارحة بعد العتمة أنفرج في القمر ،
 فتزل خادم من دار لا أعرفها ، فصاح ياملاح قدمت^(١) فسلم الي
 امرأة نظيفة حسنة ومعها صبيتان وأعطاني دراهم صحاحاً ، وقال احمل
 هؤلاء الى المشرعة الفلانية يباب الشامية ، فصعدت بهم قطعة من
 من الطريق فكشفت المرأة رأسها فاذا هي من أحسن الناس وجهاً
 كالقمر ، فاشتيتها فعلق مجاذيني في الكرك^(٢) وأخرجت السفينة إلى
 وسط دجلة بغداد ، وتقدمت إلى المرأة فراودتها عن نفسها ، فأخذت تصيح ،
 ققلت لها : والله لئن صحت لا غرقك الساعة ، فسكنت وأخذت تمنعني
 عن نفسها ، واجتهدت بأن أقدر عليها فما قدرت ، ققلت لها : من هاتان
 الصبيتان منك ؟ فقالت بناتي ، ققلت لها : أيما أحب إليك تمكينني من
 نفسك او أغرق هذه ؟ وقبضت علي واحدة منهن ، فقالت : اما أنا فلا
 أطيعك ، اعمل ماشئت ، فرميت إحدى الصبيتين في الماء ، فصاحت ،
 فضربت فاها وصحت معها والله لا أطلقك ولو قتلتني ، لبشبه ذلك على
 من عساه يسمع الصباح في الليل ، فسكنت وأقبلت تبكي ، ثم تركتها
 ساعة وقلت لها : دعيني أفعل بك وإلا غرفت الأخرى ، فقالت والله
 لا فعلت ، فأخذت الصبية الأخرى فرميت بها في الماء ، فصاحت وصحت
 معها ، ثم قلت لها : ما بقي الآن إلا قتلك أنت فدعيني وإلا قتلتك وأخذت

(١) لعله : فتقدمت . (٢) يريد مركز الاستناد في المركب ولعل الكلمة تركية

كورك أي مجذاف .

بيدها وشلتها لأرمني بها إلى الماء ، فقالت أدعك ، فرددتها إلى السمارية
فمكنتني من نفسها فوطئتها ، وسرت لأمضي بها إلى المشرعة ، فقلت في
نفسي : هذه الساعة تصعد إلى دارها أو إلى الموضع الذي تأوي إليه
فتذري بي فأخذ فأقتل وليس الوجه إلا تغريقها ، فجمعت يديها ورجليها
ورميت بها إلى الماء . حين غرقت فكرت فيما ارتكبته وعظم ما جنيته
فندمت و كنت كرجل كان سكران فأفاق ، فقلت أي شيء أعمل ؟
ليس إلا أن انحدر إلى البصرة وأغوص في أنهارها فلا أعرف ، فانهدرت
فلما صرت حذاء الجسر فأخذتني بطني وقلت أصعد وأنفصح وأعود إلى
سماريتي ، فصعدت فأنا جالس أتغوط فما أحسست حتى قبض هوّلاء
عليّ . قال فقال له الازعاجي : يا هذا - مطايا - فأني معاملة بين مثلك
وييني ؟ انصرف بسلام ، فظن لجهله أن ذلك حقيقة ، فولى لينصرف ،
فصاح به وقال : يا فتى ! هوذا تنصرف وتدعنا من حقا ؟ "فلا أقل" من
أن ترجع لنحلفك أنك لا تعود إلى مثل هذا . فرجع ، فقال خذوه فأخذوه ،
فقال اقطعوا يده ، فقال يا سيدي ! أليس قد أمنتني ؟ فقال يا كلب ! وأي
أمان لمثلك ؟ قد قتلت ثلاثة أنفس وزنيت وأخفت السبيل . قال فقطعت
يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه وأحرق جسده بالنار في مكانه .

* * *

أخبرني من أثق إليه من اهل بغداد ان الازعاجي انما لقب بذلك

(١) كذا بالأصل : وفي لغة العامة يريدون من حق أي حقيقة .

لانه كان يخدم قائداً من غلمان الموفق تركياً وكان يسمى ابزاعج والابزاعجي قريباً^(١) من ذلك .

* * *

حدثني ابو بكر بن عثمان الصيرفي الشاعر قال سمعت عمر بن اكرم يقول : كان قوم يريدون تثبيت وفاة وعدد ورثة عند أبي عمر القاضي ، وكانوا قد ضمنوا للوكيل خمسين ديناراً على ذلك ، فلما ثبت عند القاضي عدد الورثة بشهادة شاهدين ساموه ان يأخذ منهم البعض ويدع عليهم البعض ، فاخذ ما عفوا به وتقدم عند القاضي وخصومهم في المجلس وقال : قد وكلني هؤلاء اعز الله القاضي وقد أخرجت نفسي من الأولين ، فقال نكلم ، فقال شهد الشاهدان عند القاضي انهما لا يعلمان وارثاً غير من ذكروه ، وعندي شاهدان عدلان يعلمان وارثاً آخر ، فقال أحضرهما ، فقاما ودافع بالحكم ولم يزل يدفع بهم شهراً الى ان جاء الورثة فقالوا قد اهلكتنا ، فقال بما كسبت أيدىكم والله لا دفن بأمركم سنة أو تعطوني خمسين ديناراً مستأنفة لأمسك ، واعطوه ما طلب وتقدم فقال : لا يينة لي ، فحكم القاضي لهم .

* * *

وحدثني أبو بكر قال حدثني عمر بن اكرم قال تقدم يتيم كان في حجر امين من امناء القاضي ابي جعفر بن البهلول اليه وقد بلغ وفك (١) كذا بالاصل : وكان يجب أن يقول : فالابزاعجي مولاه ولعل الرجل كان يكنى ابا الزعج .

حجره فقال: أيها القاضي! ان فلاناً الأمين ضيع من مالي هذا كذا وكذا وأنا اطالبه به، فقال هاهاه اتقول لأمين ثابت الامانة عندي؟ فقال ايها القاضي! لم اقل خان فيه ولكن اتفق علي أكثر مما كنت احتاج اليه بكذا وكذا وهذا تضيع. فدعا أبو جعفر الأمين فسأله فأقر بذلك فألزمه المال في ذمته.

* * *

حدثنا أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي^(١) قال: قال لي أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى يوماً وقد تجاذبنا على خلوة الحديث فيما بينه وبين أبي القاسم البريدي وتدير كل واحد منهما على صاحبه في القبض عليه وأنا أشير عليه أن يهرب عن البصرة ولا يقيم وأنه لا يجب أن يغتر، قال لست افكر في هذا الرجل لالوان كثيرة منها رؤيا رأيتها منذ ليل كثيرة، فقلت ما هي؟ قال رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج علي من هذا الحائط وأومى بيده الى حائط في مجلسه وهو يريدني فطلبته وضربته فأثبته في الحائط، فتأولت ذلك ان الثعبان البريدي، وأني أغلبه قال فحين قال فأثبته في الحائط فسبق الى قلبي ان البريدي هو الباب^(٢) وأن الحائط حائطه دون أبي أحمد، فأردت ان اقول له ان الخبر^(٣) منتقض لما كان^(٤) عبد الملك رأى في منامه كأنه وابن الزبير قد اضطربا في

(١) يراجع الفرج بعد الشدة ١/١٨٤. (٢) لعله: الثعبان.

(٣) لعله: التعبير. (٤) الفرج بعد الشدة ١/٨٤ وهناك ان عبد الله بن

الزبير رأى المنام.

صعيد من الأرض فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض وأوتده
 بأربعة أوتاد فيها وانه أنقذ راكباً الى البصرة قد لقي^(١) ابن سيرين قصص
 عليه الرؤيا كأنها له وكنتم ابن الزبير^(٢) فقال له ابن سيرين : هذه الرويا
 ليست رؤياك ولا افسرها لك ، فألح عليه ، فقال : يجب أن تكون رؤيا
 عبد الملك فان صدقتني فسرتها لك ، فقال هو كما وقع لك ، فقال : قل
 له ان صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض ويملك الأرض
 من صلبك اربعة ملوك ، ثمضى الرجل الى عبد الملك فأخبره فعجب من
 فطنة ابن سيرين ، وقال ارجع اليه وقل له : من أين قلت ؟ فرجع الرجل
 اليه . فقال له : ان الغالب في النوم هو مغلوب ، وتمكنه على الأرض
 غلبه عليها ، والأوتاد الأربعة التي اوتدتها الأرض هم ملوك يتمكنون
 في الأرض كما تمكنت الأوتاد . قال أبو القاسم الآمدي : فأردت أن
 أقول لأبي أحمد هذا وما وقع لي من القياس عليه في تعبير رؤياه فكهرت
 ذلك لانه كان يكون سوء ادب وقباحة عشرة ونعياً لنفسه فما مضت
 الأيام حتى قبض البريدي عليه وكان من أمره ما كان .

وكان ممن حضر عندي لما حدثني ابو القاسم بهذا الخبر ابو القاسم
 عمر بن عبد الرحمن بن طلحة بن الحسن بن المثنى ، فقال كانت لجدي
 منامات طريفة لا تخطئ فمنها اني كنت بحضرته وأنا صبي في تربة جدي
 لامي وعم أبي الحسين وما أظن بيني وبين اخي^(٣) الا سنة ، قال فقال له من

(١) لعله : فلقي . (٢) يريد عبد الملك وهذا يدل على ان رواية الفرج أصح .

(٣) يظهر أنه قد سقطت جمل ذكر فيها أشياء لا تفهم الحكاية الا معها .

حوله يبق^(١) الله الشيخ ويفعل به ويصنع ، قال فانصرف من التربة ، فلما كان في اليوم السابع من ذلك الحديث قبض عليه أبو القاسم البريدي في يوم الخميس غرة شعبان سنة ٣٢٥ فاقام في يده دون ثلاثة أشهر ثم قتله في حبسه في شوال بحيلة احتالها له عبدان المتطبيب لعنه الله في شيء سقاء ، فقال ابو القاسم الآمدي : كنت حاضراً ابتداء المجلس ولما أخبر رؤياه تأولها تأولا غير ما وقع وهو ان نوم حسان في قبره سلامة متينة ، وان يعود أبي الحسن لان الحال التي بها مات أشد حال من^(٢) حسان ، لأنه فليح سنين فعابن مبتلا قد نقص صحته ورأى في نفسه ما لا يحبه ، وان وفاة أبي أحمد تكون بحال هي اشد من ذلك كله بحسب قعوده وقيامه في المشقة ، وفرق ما بين القعود والنوم والراحة ، فمات أبو أحمد مقتولا بعد الحبس والتكبة والفقر والذلة .

* * *

حدثني ابو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرا في الفقيه المتكلم المعروف بابن السماك رحمه الله قال : حضرت بشيراز عند قاضيا ابي سعد بشر بن الحسن الداودي وقد ارتفع اليه صوفي وصوفية قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً ، حتى يقال ان عددهم ألوف رجال ونساء ، قال فاستعدت المرأة على زوجها الى القاضي ، فلما حضرا قالت له : أيها القاضي ! هذا زوجي يريد ان يطلقني وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال : فأخذ

(١) لعله يبق . (٢) لعله من حال .

أبو سعد يعجبني من هذا الكلام وينبهي على مذاهب الصوفية منه . ثم قال لها : كيف ليس له ذلك ؟ قالت لانه تزوج بي ومعناه قائم ، والآن بذكر أن معناه قد انقضى مني ، وأنا معناني قائم فيه ما انقضى ، فيجب أن يصبر الى ان ينقضي معناني فيه كما انقضى معناه مني . فقال لي ابو سعد : كيف ترى هذا الفقه ؟ ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق .

* * *

أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس ، ويحضر حلقة ألاف من الناس ، وانه فاره فيهم حاذق ، وانه قد استغوى الضعفى من الناس الى هذا المذهب ، قال فمات رجل صوفي من اصحابه وخلف زوجة صوفية ، فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بأمتهن غيرهن ، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص اصحابه وهم عدد كثير الى الدار ، وأخذ يعزي المرأة بكلام من كلام الصوفية الى قال : قد اعزبت فقال لها ها هنا غير ؟ فقالت لا غير ، قالت ^(١) فما معنى التزام النفوس آفات الهوم وتعذيبها بعذاب الغوم ولائي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الانوار وتصفو الارواح وتقع الاخلافات وتنزل البركات ؟ قال فقلن النساء اذا شئت ، قال فاختلفت جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم . فلما كان سحراً خرجوا . (قوله ها هنا غير) اي ها هنا غير موافق في المذهب ، فقالت (لا غير) أي ليس ^(٢) بخالف . قوله (نترك الامتزاج)

(١) لعله : قال . (٢) لعله سقط من .

كناية عن الوطاء من الممازجة وقوله (لتلتقي الانوار على اصلهم ان في كل جسم نوراً إلهياً وقوله (الاخلاقات) أن يكون لكل خلفٌ ممن مات أو غاب من أزواجكن . وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة أخبروني ببعثون عندي عن الكذب ما حكيت له عظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الاسلام . وبلغني ان هذا ومثله شاع حتى بلغ الامير عضد الدولة قبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جماعة منهم وشتت جموعهم مكفوا .^(١)

* * *

لأبي فراس الحرث بن سعيد بن حمدان لما أسر :^(٢)
 ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناعُ
 ذدت الأسود عن الفرا ثس ثم تفرسني الضباع
 وله^(٣) الى سيف الدولة قصيدة اخترت منها قوله :
 أيدرك ما أدركت إلا ابن همة يمارس من كسب العلى ما أمارسُ
 يضيق مكاني عن سواي لأنني على قبة المجد الموثل جالس
 وقال^(٤) وقد حضر العيد وهو ببلد الروم أسير :

يا عيد ماجئت بمحبوبٍ على معنى القلب مكروبٍ
 يا عيد قد عدت على ناظرٍ عن كل حسن فيك محبوبٍ
 يا وحشة الدار التي ربهَا أصبح في أثواب مريبوبٍ

(١) وفي كشف المحجوب ان ابن خفيف البغدادي كان أعف الناس .

(٢) ديوان أبي فراس ص ٤٦ (٣) ص ٤٢ (٤) ص ٨٩

قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسن ولا طيب
 ما لي وللدهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيب
 وله من الأسر قصيدة أولها :
 أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
 أما للهوى نهي عليك ولا أمر^(١)
 ويقول فيها :

تكاد تضي النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصباية والفكر
 معلتي بالوعد والموت دونه إذا مت عطشاناً فلا نزل القطر
 واني لنزال بكل مخوفة كثير الى نزالها النظر الشرر^(٢)
 واصدأحتي^(٣) ترتوي الارض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر
 ولا أصبح الحي الخلوف بغارة^(٤) ولا الجيش مالم يأتني قبلي النذر
 ويارب دار لم تخفني منعة طلعت عليها بالردى أنا والفجر
 وحين رددت الجيش حتى ملكته هزيماً وردتني البراقع والخمر^(٥)
 وما راح يطفئني بأثوابه الغنى ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
 وما حاجتي في المال أبغي وفوره إذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفر
 أسرت وما صحتي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
 ولكن إذا حم القضاء على امري^(٦) فليس له بر يقل^(٧) ولا بحر
 ويقول فيها :

(١) الديوان ص ٩٠ (٢) ص ٩٢ (٣) في الديوان فأصدي الى أن .

(٤) في الديوان (الغيور لغادة) الحي الخلوف الخالي من الرجال (٥) هذا البيت ليس

في الديوان (٦) في الديوان بقيه .

وقال أصبحاني الفرار أو الردى قتلتهما أمران أحلاهما مرٌ
ولكنني أمضي لما لا يعينني وحسبك من أمرين خيرهما الأمر
ولا خير في دفع الأذى بمذلة كما ردها يوماً بسوءته عمرو^(١)

* * *

أنشدني في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٦٦ أبو سعيد مساعد بن الجهم
الشيبياني لنفسه قال وقتلتها منذ نحو سبعين سنة وذكر لي أن له في الوقت ستاً
وتسعين سنة :

يا مقلّة لحظها عقاربها سماء عيني دمعي كواكبها
تجول في حلبة^(٢) مشهورة يكبو بركبائها ركائبها
كأنها والدماء تتبعها شهب خيول شقر جنائبها
أنشدني في هذه الأبيات شعراً جيداً في سنة ٣٦٢ (شهب^(٣) جنائبها)
وهذا أصح لأنه أراد به أنه يبكي دمعا ثم تتبعه دماء والدليل عليه قوله :
(كأنها والدماء تتبعها)

* * *

(يتبع)

(١) قال شارح الديوان وذلك أن عمراً (يعني ابن العاص) لما أدركه الامام
علي وأراد قتله كشف سوءته لعلمه انه لم ير سوءة قط فكف . (٢) بالاصل : حيله
(٣) لعل الصواب شقر .

مخطوطات ومطبوعات

الحكيم موسى بن ميمون

تأليف الدكتور اميرائيل ولفنسوت (ابو ذؤيب)

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٥ - ١٩٣٦ م ١٧٩

الاستاد ابو ذؤيب من أساتذة الجامعة المصرية اثبت كفاءة في البحث والنظر في كتابه تاريخ اليهود في جزيرة العرب وتاريخ اللغات السامية والآت جاء في هذا السفر يثبت كفاءة إلى كفاءته وبجته إلى عظيم اجتهاده فقد جود في الكلام على حكيم الاسلام والعرب أبي عمرات موسى بن ميمون القرطبي المتوفى في مصر ١٢٠٥ م وكان رحل من الاندلس الى مصر في عهد السلطان صلاح الدين من اعتداء أعدائه وابناء نجلته اليهود وحل لديه ولدي مستشاره القاضي الفاضل المحل اللائق بعلمه وفضله . وقد حل المؤلف حياته ومصنفاته بأسلوب جميل تكاد تعتقد اذا قرأته أنه لم يترك مصدراً افرنجياً ولا عبرياً ولا غاص فيه واستخرج درره وعرض فيها لمولد الفيلسوف ونشأته وأمرته وسيرته ووفاته ولمؤلفاته وفلسفته ولا سيما كتابه دلالة الحائرين الذي كتبه بالعربية بحروف عبرية وخص الباب الرابع بمؤلفاته الطيبة وقد قدم له الاستاذ المحقق مصطفى عبد الرازق باشا مقدمة قال فيها : « في بعض كلام المؤرخين ما يشعر بأن صلة ابن ميمون بصلاح الدين الايوبي ووزيره القاضي الفاضل لم تكن مجرد تقدير لقيمة ابن ميمون في الطب والفلسفة بل كان السلطان الايوبي ووزيره أيضاً يعرفان للحبر الفيلسوف مهارته وحذقه في شؤون السياسة » ويعرفان ماله « من المكاة والقبول عند يهود اليمن في تهدئة الثورات التي كانت تنزو بها تلك البلاد »

وأحسن المؤلف في تحليل كتابه « دلالة الحائرين » لابن ميمون وما قال : وما لاشك فيه ان ظهور التفكير الفلسفي الديني اليهودي في القرون الوسطى انما

هو نتيجة لاتصال اليهود بالحضارة الإسلامية الفلسفية . وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الإسلامية عامة . كانت أول من اتصل بالفلسفة الإسلامية من اليهود سعديا الفيومي الذي أخذ بكثير من آراء المتكلمين الذين قرأوا فلسفة أفلاطون من تراجم رديئة في أغلب الاحوال وضعها لهم علماء السريان منذ القرن الثاني للهجرة ثم انتقلت الأفلاطونيات الحديثة إلى العربية ووجدت لها مناصرين من اليهود أغلبهم من الأندلس وعلى رأسهم الشاعر سليمان بن جبيرول والعالم ابراهيم بن عنزرا . ثم كثرت تراجم كتب أرسطوطاليس إلى العربية وأخذ الفلاسفة من المسلمين يضعون لها الهوامش والحواشي فأصبحت مبادي أرسطو في الطبيعيات والكائنات من الألفاظ المرادفة للفلسفة عامة .

قال ان ابن ميمون درس الفلسفة اليونانية في التراجم العربية وتأثر بأرسطوطاليس ودرس كتاب الاخلاق لأرسطوطاليس من ترجمة اسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانية مترجمة إلى العربية مثل اسكندر الافروديسي وشمسيتوس ثامسبيوس ويحيى النحوي ، وصلت اليه نظريات ارسطوطاليس بواسطة المصنفات العربية الإسلامية مثل كتب الغزالي وابن باجة ابي بكر بن الصائغ وابن طفيل وثابت بن قرة والقيصري وابن افلاج الاشبيلي ومحمد بن زكريا ابي بكر الرازي والفرغاني ومحمد بن سنان البتاني الحراني والفارابي والمتكلمين من المسلمين ودرس المذاهب الإسلامية دراسة وافية ولا سيما المعتزلة والأشعرية والمتكلمين وبين ما بين هذه المذاهب وبين المذاهب اليهودية من الفروق في التوحيد

وقال الامتاذ ابو ذئيب ان ابن ميمون كان يستعمل لغة عربية غنية بالمفردات بعيدة عن التكلف ولعلها من أجود ما أنتجه العقل اليهودي في أساليب النثر العربي وقد تشتمل عباراته على الفاظ عامية شائعة في اللهجات العربية بمصر والمغرب والأندلس ، وقال إنه ليس هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود اثر تأثيراً عميقاً في حياة اليهود مثل كتاب دلالة الحائرين لان انصار موسى في حياته وبعد وفاته كانوا يقرؤونه في الكنائس ويدرسونه في المعابد .

وقل عن غيره ان كتاب دلالة الحائرين هو الكتاب المتداول المرغوب فيه عند اليهود والمسلمين والمسيحيين وقال ان ابن ميمون بدأ فصول الاختتام بمثل رائع يعتبر ملخص نظرياته في التوحيد والخلوقات وكيفية ادراك البشر للعلمة الأولى حيث يقول : ولا يتضمن هذا الفصل زيادة معنى على ما قد اشتملت عليه الفصول الماضية وانما هو شبه الختم لإدراك الحقائق الخفية به بعد ادراكه والارشاد لحصول تلك العبادة التي تلك هي الغاية الانسانية وكيف تكون الغاية في هذه الدار ، واني مفتتح هذا الفصل بمثل أضربه لك فأقول : « ان السلطان في القصر واهل طاعته كلهم ، منهم قوم في المدينة ومنهم خارج المدينة ، وهؤلاء الذين في المدينة منهم من قد استدير دار السلطان ووجهه متجه الى طريق أخرى ومنهم من هو قاصد دار السلطان ومتجه اليه وطالب دخولها والمثول امامه ، لكنه الى الآن لم يرقط سور الدار ومن القاصدين من وصل الى الدار وهو يدور حولها يطلب بابها ، ومنهم من دخل الباب وهو يسير في الدخيل ، ومنهم من انتهى الى أن دخل قاعدة الدار وأصبح مع الملك في موضع واحد غير أنه لم يكن يراه ويكلمه ، ولكنه بعد دخول الدار لا بد له من سعي آخر يساعده حتى يضر بنين يدي السلطان ويراه على بعد أو على قرب أو يسمع كلامه أو يكلمه ، وهاءنذا اشرح لك هذا المثل الذي ابتكرته فأقول : اما الذين هم خارج المدينة فهم الذين لا عقيدة عندهم نظرية أو تقليدية . وحكم هؤلاء كحكم الحيوانات غير الناطق . وما هؤلاء عندي في مرتبة الانسان وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الانسان واعلى من مرتبة القرد اذ قد حصل لهم شكل الانسان وتخطيطه وتميز فوق تميز القرد .

وأما الذين هم في المدينة واستديروا دار السلطان فهم أهل رأي ونظر ولكن لهم آراء غير صحيحة إما من غلط وقع لهم في حال نظرهم او من خطأ في التقليد فهم من أجل تلك الآراء كلما ابعدوا في السير ازدادوا بعداً عن دار السلطان وهؤلاء شر من الأولين بكثير . وقد تدعو الضرورة في بعض الأزمنة لقتلهم ومحو آرائهم حتى لا يضلوا غيرهم

وأما القاصدون دار السلطان والدخول عنده لكنهم لم يروا قط الدار فهم جمهور اهل الشريعة من عامة الناس الذين يحافظون على فرائض الدين . وأما الواصلون الى الدار الذين يطوفون حولها فهم الفقهاء الذين يقلدون الآراء الصحيحة تقليداً ويتفقهون في العبادات ، ولم يلموا بنظر في اصول الدين ، ولم يبحثوا بوجه عن تصحيح اعتقاد .

فأما الذين خاضوا في النظر في اصول الدين فقد دخلوا الداهليز والناس هناك مختلفو المراتب بلا شك . فأما من حصل له البرهان على كل ما تبرهن وتيقن من الأمور الإلهية وقارب اليقين فيما لا يمكن فيه إلا مقاربة اليقين فقد أصبح مع السلطان في داخل الدار .

واعلم يا بني أنك ما دمت تشتغل بالعلوم الرياضية وبصناعة المنطق فأنك تكون من جملة من يدور حول الدار يطلب بابها فإذا فهمت الأمور الطبيعية فقد دخلت الدار وأنت تمشي في دهاليزها ؛ فإذا اكملت الطبيعيات وفهمت الإلهيات فقد دخلت إلى السلطان وأصبحت معه في دار واحدة ، وهذه هي درجة العلماء وهم مختلفو الكمال . فأما من آمن بفكره بعد كماله في الإلهيات ومال بحملته نحو الله عز وجل واضرب عما سواه ، وجعل افعال عقله كلها في اعتبارات الموجودات للاستدلال منها عليه ليعلم تدبيره لها على أي جهة يمكن أن يكون فأولئك هم الذين مثلوا في مجلس السلطان . وهذه هي درجة الأنبياء أما من فكر في الله وأكثر من ذكره بغير علم بل قلد فيه غيره فانه خارج الدار وبعيد عنها لا يذكر الله حقيقة ولا يفكر فيه لأن ذلك الأمر الذي في خياله والذي يذكره بفيه ليس مطابقاً لموجود أصلاً »

محمد كرد علي

تطريب عندليب

اختار السيد جبران النحاس نبذاً من نظمه جمعه في كتاب قال في مقدمته انه جعل هذا النبذ ذكرى عهد صباه وذكرى الذين غابوا عن عينه بمغيب ذلك العهد ، وسمى مختاراته : تطريب عندليب ، وأهداها الى مؤدبه الشيخ ابراهيم اليازجي رحمه الله . ومن يدقق في مقدمة هذا « التطريب » يجد أثراً من بيان اليازجي لا يخفى على الذين عالجوا صناعة البيان ، واكثر مختارات السيد جبران النحاس طائفة من قصص « لافونتين » التي عرّبوها .

ومما تكن منزلة الشاعر فليس من المألوف عليه أن يعرب قصص « لافونتين » وأن يفيض في تعريبه روح « لافونتين » وعبقريته ، لأن هذا الشاعر الفرنسي بكاد يكون منقطع النظر في فنه ، ولا سيما في تصوير الحيوانات ، فاذا نظرنا الى قطاظه ، وإلى أرائبه وإلى مواعظه أو الى غيرها من الحيوانات فانا نجد انه يصور ظواهر هذه الحيوانات تصويراً واضحاً محدداً لا يجاريه فيه أحد ، وقد أعانه على البراعة في مذهبه لغته الخاصة ، فان له لغة منتخبة ، قوية اقتبسها عن العامة ، وعن المتقدمين من اصحاب القصص ، ثم ألف بين التعابير التي اقتبسها ، وصيها في قالبه الصافي ، ولئن لم يخترع موضوعاته اختراعاً فانه ألقى على مقتبساته ما جبله الله عليه من خصب في الطبع ، حتى ملئت بانفعالاته وتجاريبه ، فعرفت قصصه بسهولة المبني ، وببساطة التعبير ، ومن خصائص عبارته انه يبسطها اذا شاء ويقبضها اذا شاء ، على قدر الموضوع الذي يمارسه ، فتارة تنصب هذه العبارة فتسرع في انصائها بحسب الشخص الذي تمثله ، وتارة تتمهل في مجراها طبقاً لمقتضى الحال .

فان شاعراً هذه عبقريته لا يهون على أي شاعر كان من أمة غير أمته أن ينقل آثاره ويرع في هذا النقل ، لأن « لافونتين » نسيج وحده ، ولا شك في أن السيد جبران النحاس يعرف هذا الأمر ويعرف ان تطريب عندليه خال من خصائص لغة « لافونتين » وفنه ، على الرغم من بعد لغة هذا التطريب عن الركافة .

شفيق جبري

تاريخ الرقة ومن نزلها للقشيري

ظاهريية مجموع ٣٤ (١)

اسم الكتاب والمؤلف . -

« تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين جمع أبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراي الحافظ » .^(١)
والقشيري هذا حراي الاصل نزل الرقة ، وهو محدث مكثر من الحديث ، ثقة أمين^(٢) ، ثبت^(٣) ، حافظ ، عرف بتاريخه عن الرقة فوصف بأنه صاحب تاريخها^(٤) .
سمع الحديث قبل سنة ٢٨٠ التي توفي فيها شيخه هلال بن عمر ، ومات بعد سنة ٣٣٤ التي حدث فيها بكتابنا هذا^(٥) ، وهو رأي السمعاني^(٦) ويرى الذهبي ظناً انه توفي سنة ٣٣٤^(٧) وعنه اخذ ابن تغري بردي^(٨) وابن العماد فيما أظن^(٩) ويقول بذلك بروككن^(١٠) .

موضوع الكتاب . -

تاريخ الرقة هذا معروف عند علماء الكتب والمحدثين فقد ذكره حمي خليفة^(١١) والسخاوي^(١٢) والسمعاني^(١٣) . وهو مجموعة تراجم لمن سكن الرقة او جاز بها من

(١) في و: ١/١ ويطلو ذلك : « رواية ابي احمد محمد بن عبدالله بن احمد بن القاسم بن جامع الدهان عنه ، رواية ابي عبدالله الحسين بن جعفر بن السماسي عنه ، رواية ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن احمد الصيرفي عنه ، رواية الامام الحافظ ابي طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد السقي عنه ، بقراءة شيخنا الجليل مسند الوقت بدر الدين ابي القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطفيل الدمشقي » . وفي و : ١/١ : « في يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر من سنة احدى وثلاثين وستمائة

(٢) الانساب للسماني ٢٥٧ (٣) شذرات الذهب لابن العماد ٣٣٧/٢ (٤) طبقات الحافظ للذهبي ٦١/٣ وقال ابن العماد : هو مؤرخ الرقة (٥) كما ذكر في و : ١/١
(٦) الانساب ٢٥٧ (٧) طبقات الحافظ ٦٢/٣ (٨) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٠
(٩) شذرات الذهب ٣٣٧/٢ (١٠) GALS ٢١٠/١ (١١) كشف الظنون ٢٢٦/١ (١٢) الاطلاق بالتوسيع ١٢٦ (١٣) الانساب ٢٥٧ و ٢٥٧ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والمحدثين والفقهاء . والرقعة مدينة سيف الجزيرة اشتهرت بأنها سوق تجارية ومصيف لبعض خلفاء بني العباس وقد كانت الرقعة في عصر المؤلف تضم بلدين مختلفتين وهما الرقعة والرافقة ^(١) اتصل بناؤهما في عصر الرشيد وكونتا بلدة واحدة سميت بالرقعة وقد يقال الرقتان إشارة الى وجود بلدين فالكتاب تاريخ للرقعتين كما يقول السمعاني ^(٢) : الرقعة الأصلية والرافقة . وهو من أول ما ألف في تاريخ البلدات الإسلامية ، فقد حدث به المؤلف سنة ٣٣٤هـ ^(٣) وهو لذلك عظيم الفائدة يظهر لنا كيف أن التاريخ الإسلامي خرج من الحديث فان كثيراً من التراجم التي وردت فيه جاءت بمناسبة حديث ذكر اسم المترجم في درج سنده حتى إن قصة عن أبي أيوب ميمون بن مهران (٤٠ - ١١٧) الذي ترجم له المؤلف مطولاً ^(٤) وردت في ترجمة أبته عمرو ^(٥) ، لأن هذا هو الذي رواها ولم تذكر في ترجمة صاحبها كما تقتضيه جودة التأليف .

أما ترتيب الكتاب فهو على الطبقات وبكاد يكون على الوفيات لولا نزود بسيط وعناية من المؤلف بإيراد الأقارب حيناً بسلسلة متقاربة الحلقات . وأهم مصادر المؤلف وأكثرها منقول عن أبي عمر هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية (١٨٤ - ٢٨٠) شيخ المؤلف وكثيراً ما يقول القشيري سألت أبا عمر عن فلان فأجاب بكذا . وهو يعني عناية خاصة بذكر القبيلة التي تولى المترجم اب كان مولى

نصوص من الكتاب . -

و : ١ / ١ وبه يتبدى : حدثنا أبو داود سليمان بن سيف الحراشي ، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين ، حدثنا سليمان بن عطا عن أبيه عن شهد عياض بن غنم حين بعثه أبو عبيدة بن الجراح (ر .) الى الرها فوقف على بابها الشرقي على

(١) معجم البلدان لياقوت ٣ : ٧٣٢ : ٢٤ : ٧٩٩ : ٢٤ : ٨٠٢ . ولم يبق في عصر ياقوت إلا الرافقة مدينة واسياً . وهذا ما يدل لنا وجود ورقة الصفت على الصفحة الأولى من كتابنا وكتب عليها : « الرقعة هي الرافقة » (٢) الانساب ٢٥٧ (٣) كما في و : ١ / ١ (٤) و : ١٥ - ١٩

(٥) و : ١٣ / ١ .

فرس له محذوف احمر ، وقد أجفل اهل الجزيرة الى الرها ، فدعاهم الى الاسلام فأبوا ، فدعاهم الى ان يقرأوا بالصغار^(١) ، فأقروا على ان يشترطوا ، فاشترطوا : قالوا فانا نشترط كنايسنا وصليتنا وما لجأ الى كنايسنا من طير وسور مدينتنا ، وما كانت لكنايسنا من غلة على ان تؤدي خراجها ، فقال عياض : فانا نشترط عليكم ، قالوا : فاشترط ، قال : فاني اشترط عليكم ٠٠٠ [ألا تبثوا]^(٢) كنيسة الالماقي أبدبكم ، وألا يرفع صليب ، ولا يضرب بناقوس الا في جوف كنيسة ، وعلى ان نشاطركم منازلكم بنزلها المسلمون ، وعلى ان لا يعتبر خنزير بين اظهر المسلمين ، وعلى ان تقرأوا ضيفهم يوماً وليلة ، وعلى ان تحملوا راجلهم من رستاق الى رستاق ، وعلى ان تناصحوهم ولا تغشوهم ولا تمالئوا عليهم عدواً ، فان وفيتم لنا وفينا لكم ومنعناكم مما نمنع منه ابناؤنا ونساءنا ، وان انتهكتم شيئاً من ذلك استجملنا منك دمائكم وسي ابنائكم ونسائكم وأموالكم ، قالوا . فاشهد ، قال : فكتب اشهد الله وكفى بالله شهيداً ، فدخل اهل الجزيرة فيما دخل فيه اهل الرها^(٣)

و : ١/٨ : حدثنا محمد بن علي المزني ، حدثنا ابو يوسف ، حدثنا عثمان عن ابي المهاجر عن اسحق بن راشد عن ميمون بن مهران قال : لم يكن يلبس الاقية فيمن مضى من السلف الا فسادهم

و : ٢/٢ : حدثنا جعفر بن محمد بن حجاج القطان قال سمعت عبيد بن زناد يقول سمعت عطا بن مسلم الخفاف يقول قدمت الرقة ، فجلست في سوق الاحد ، فذكرت فضائل

(١) الصغار [من اصغره اي جله صاغراً] اعطاء الجزية عن يد ، وهم صاغرون (٢) لم تظهر الكلمة الاصلية فوضناها بمنها (٣) ورد في فتوح البلدان للبلاذري [طبة دي غويه ص ١٧٣ و ١٧٤] صورتان مختلفتان عن الكتاب الذي اعطاه عياض بن غنم لاهل الرها فاذا هما متضبتان ولا تخرجان في شيء مما ورد في هذا الخبر ووردت صورة أخرى في كتابنا وأولها : عن اللاهني أبي مابشة قال : كنت طاملاً لعمرو بن عبد العزيز على الرها فجاءني كتابه انه يليني ان عند اهل الرها صلح الجزيرة فابيت حتى انظر فيه ، قال فبثنا الى اسقهم حتى أتاني به في درج [٥] قرأته فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لاهل الرها واهل الجزيرة من عياض بن غنم عامل عمر بن الخطاب (ر ٥) قد اتاهما حتى وقف على بابها الخ كما ورد في سياق ما قلناه هنام اختلاف بسيط في ترتيب الجمل والتعبير ، وما قلناه أكثر تحصيلاً .

علي رضي الله عنه ثم غدوت على جعفر بن برقان فقال : يا عطا ، بلغني أنك جلست مجلساً ذكرت رجلاً من اصحاب محمد عليه السلام بفضيلة لم تشرك معه غيره ، فقلت : يرحمك الله ، ان اخاك سفيان بن سعيد الثوري قال : اذا قدمت الى الرقة ، فاجلس في سوق الاحد ، واذا ذكر فضائل علي ، فان الاباضية بها كثير ، فقال جعفر : يا عطا اذا جلست مجلساً فذكرت رجلاً من اصحاب محمد ﷺ بفضيلة فأشرك معه غيره ، قال عبيد : وكانت سوق الاحد في غير هذا الموضع كانت عندنا بالركة و : ٥/٢ . حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا عمرو بن عثمان الكلبي ، حدثنا صالح الحوري ، جد الحوريين — قال هلال هم من قرية بيننا [٠٠٠] يقال لها حورة — قال كنت في المسجد الى جنب ابي المهاجر الكلبي (— ١٦١) فقرأ علينا كتاب لبعض الخلفاء على المنبر يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر [٠٠٠] فلما فرغ من قراءة الكتاب ضرب فخذي وقال : يا عبيد — وكانت كلمة ندائه [٠٠] مثلنا ومثل صاحب هذا الكتاب مثل ذئب خرج [٠] بالليل فوقف على باب ، فاذا صبي في الدار يبكي ، وامه تقول له : اسكت ، والا القيئك للذئب ، والصبي يتأدى في البكاء ، والذئب ينتظر حتى فضحه الصبح ، فولى مديراً فلقبه ذئب آخر ، فقال : اين تريد ، فقال : إلى أهل الرقة ، فقال لا تأتهم ، فانهم اكذب قوم على وجه الارض .

و : ١٣/٣ سعد بن يحيى بن يزيد بن عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، وكان عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر بني أمية — وهو صاحب الرسائل المنسوبة اليه — فأخبرني ابو يعلى عابد الله بن احمد بن علي بن عمر بن عبد الحميد انهم من سبي القادسية ، يتولون عامر بن لؤي^(١) ولد سعد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومات سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

فصول الكتاب :

١/١ — ٢/٢ شروط الصلح على الرها ٢/١ من نزل الرقة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤/١ ومن التابعين ١٠/١ بعد طبقة التابعين ١٣/١ وهو آخر الجزء

(١) ذكر ابن خلدان [١ : ٣٠٧] ان عبد الحميد مولى بني عامر بن لؤي ولكن لم يذكر ان

أصله من سبي القادسية .

على عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع سنة ٦٩٠^(١) وثالث على يحيى بن محمد ابن سعد الدين عبد الله المقدسي سنة ٧١٩^(٢) وقد وقفت هذه النسخة بالعمرية^(٣) ومنها انتقلت الى الظاهرية، وذكرها بروكس^(٤) عن الزيات ولم يذكر غيرها .

يوسف القس



ضريبة الدخل في سورية

رسالة قدمها الامتاذ فريد الخاني لاحتراز اندكتوراه في الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٣٩ وتقع في ٢٢٤ صفحة

ورثت سورية الحديثة عن الدولة العثمانية في جملة ما ورثته من نظمها وقوانينها، نظامها المالي فأخذت به كما هو على الرغم من تبدل الزمان وتغير مظاهر الأرباح ومطارح الوزائع ومنابع الثروة . وكانت اذا ألحت عليها الحاجة الى المال فاهابت بها الى وضع تشريع جديد تبني على الأساس القديم مبتغية كثرة الجباية وحدها دون نظر الى اثر الضريبة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وضريبة التمتع التي لا تزال سورية تفرضها على أصحاب المهن الحرة لتطول ارباحهم جزء من هذا النظام وهي نظير ضريبة الباتنتا التي أخذت بها فرنسا أيام ثورتها واذ لم تعد تأتلف مع حاجات العصر طالب الرأي العام في سورية بالغاءها وابدالها بضريبة تدعي بضريبة الدخل، وكانت رسالة الامتاذ الخاني صدى لهذه الرغائب وصورة لهذه الأفكار، فأحسن في اختيار موضوعه إحسانه في بسطه وتفصيله . بحث المؤلف في المقدمة في النظريات العامة الحديثة للضرائب ومطرحها وانعكاسها والعدالة فيها ثم عرض نظام الضرائب في سورية عرضاً عاماً ناقداً وانصرف بعدئذ الى بحث ضريبة الدخل في تاريخنا التشريعي . فبدأ بدراسة نظام الضرائب في الشرع الاسلامي ووقف طويلاً أمام الزكاة يتساءل عما اذا كانت ضريبة على الربح أم على رأس المال ويمتنع الى أنها ضريبة على الدخل وهو رأي كان جنح اليه الدكتور

(١) و: ١: ١٣ (٢) و: ١: ١٣ - ٢: ١٠ (٣) و: ١: ١٠ (٤) GALS

٢١٠: ١ وقال ان Horovitz وصفها في MSOS ، ١٠: ٢٢

محسن البرازي في رسالته عن (الاسلام والاشتراكية) - وأيد المؤلف قوله هذا بأن هذه الضريبة وهي ربع عشر المال في بعض الأحيان وأقل من ذلك في أحوال أخرى تعادل عشرة في المائة من الدخل وهي نسبة ضئيلة لا يمكن ان تدعى ضريبة على رأس المال لا سيما والأستاذ اليكس لا يرى ضابطاً للتفريق ما بين ضريبي الدخل ورأس المال سوى مقدار النسبة المفروضة فان كانت كبيرة تقطع جزءاً من رأس المال فهي ضريبة عليه والا فهي ضريبة على الدخل . والشارع الاسلامي انما فرضها على رأس المال في كثير من الأحوال لأنه كان أسهل معرفةً وتحقيقاً من الدخل وكان يستهدف الدخل وحده .

ثم بحث في ضريبة التمتع ايام الدولة العثمانية وراقب تطورها حتى انحلت هذه الامبراطورية وخلفتها تركيا ومصر والعراق ولبنان وسورية وفلسطين وشرق الأردن فيدرس ضريبة الدخل التي قامت مقامها في أكثر هذه البلاد ، وأخيراً يتصدى لبحث ضريبة التمتع في سورية وما تعاورها من تغيير وتبديل وبذكر نقائصها ومواضع النقد فيها . والواقع ان هذه الضريبة لم تعد تنفق وقصد العدالة والمساواة بين المكلفين لذلك عمت الشكوى منها فقررت الحكومة السورية في سنة ١٩٢٨ تأليف لجنة فنية لدراسة نظام الضرائب في سوريا ولا سيما ضريبة التمتع واصلاحها أو ابدالها بسواها وتنج عن دراسات اللجنة ان تقدمت الحكومة الى المجلس النيابي بمشروع قانون في ١٣ ديسمبر ١٩٣٨ يقضي بإبطال ضريبة التمتع والاستعاضة عنها بضريبة اسميت «ضريبة الدخل» وقد درس المؤلف هذا المشروع وأبان نقائصه وأخذ عليه أنه لم يتبع كل النظريات الحديثة التي اتبعتها البلاد الغربية في هذا السبيل .

ثم يختم رسالته مطالباً بإصلاح مالي عام ينتظم نواحي الحياة المالية كلها ويعول في فرض الضريبة على المكلف بحسب طاقته مع مراعاة المساواة بين المكلفين ويرى ان «الترقيع» في الإصلاح ملي بالخفاطر لأنه يؤدي الى اخضاع الناس لتنظيم متناقضة متناكرة بعضها جديد وبعضها عتيق استبدادي . والرسالة تتضمن كثيراً من النصوص القانونية وتبي عن جهد واضعها وسعيه للاتقان وهي باكورة تبشر بأطيب الثمار .

أحمد المسمان

ملوك الطوائف

ونظرات في تاريخ الإسلام

للعلامة دوزي مترجمة بقلم الأستاذ كامل كيلاني

كتاب بالقلم المتوسط يحتوي على ٤٤٦ ص ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م - ١٣٥١ هـ

بمطبعة عيسى البابي الحلبي بصر ، بورق وطبع جيد

يقول الأستاذ كامل كيلاني في تصدير هذا الكتاب : هذه فصول مترجمة من كتاب العلامة المستشرق « دوزي » وقد آثرنا نقلها الى العربية لتبيان وجهة تفكير عالم اوروبي كبير ، وهي - وان خالفت آراءنا أحيانا في بعض مناحيها - جديرة أن تقرأ بعناية فائقة ، فليس كل ما لانرضاه من الآراء خليقا بالطرح والاممال .

واذا كان العلامة « فخر الدين الرازي » يقول في مقدمته لشرح « الاشارات » لابن سينا : « ان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد » فما اجدرنا ان نقول بدورنا : « الترجمة ايضاً غير النقد » .

لهذا اقتصرنا على نقل آراء ذلك المستشرق بلا مناقشة او تعليق الا ما يقتضيه المقام من توضيح لما اعتقد ان اكثر القراء في حاجة اليه . هذا كلام الأستاذ المترجم في تصدير ترجمته .

والكتاب يحوي على نوعين من الأبحاث : (١) تاريخ ملوك الطوائف التي قامت في بلاد الأندلس ، (٢) نظرات في تاريخ الإسلام

تاريخ ملوك الطوائف في الأندلس

الكلام على هذا النوع من ص (٦ - ٣٢٤) وقد ابتدأ المؤلف كلامه بانهيار الخلافة الاموية في الاندلس واتقسامها الى عدة دويلات حكمها بعض القواد الطامحين وان قائدة ذلك كانت محصورة بملوك الافرنج وخدم فاستطاعوا ان يزيلوا من الوجود هذه الدويلات الواحدة تلو الأخرى ويستولوا عليها كلها .

والكتاب يحتوي على اثني عشر فصلا ، كل فصل يحوي بحوثا مختلفة يتكلم فيها بأسلوب رشيق عن بعض ملوك الطوائف وعواصمهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية

والأدبية ، وهذه نماذج لبعض الأبحاث التي في الفصل الأول : نشأة ملوك الطوائف
نتائج الغاء الخلافة ، اسبانيا بعد عبد الرحمن الثالث ، تكوين حكومتين شوريين ،
وصف كاهن قرطبة لانصراف ابناء دينه الى العرب ، قرطبة تمكن الثقافة الاسلامية
من نفوس المسيحيين الاسبان ، ميزات الشعر العربي في أوروبا ، تولية ابن جهور
على قرطبة الخ .

وينتهي الكتاب بالفصل الثاني عشر الذي يبحث فيه في طمع الاذفونش في
الجزيرة ، واستنجد اعتمد بن عباد بملك المرابطين يوسف بن تاشفين ثم انتصار جيش
الاندلسيين والمرابطين على جيش الاذفونش وانهزاه ويذكر بعد ذلك جداول منسقة
تحتوي اسماء ملوك الطوائف واسماء عواصمهم وبه ينتهي البحث عن الاندلس وهذه
الفصول جميعها جيدة غير أنه ينقصها التنسيق والترتيب .

نظرات في تاريخ الإسلام

وهو فصل في (٩٤ ص) ختم به الكتاب . تكلم فيه عن دين لاسلام وقواعده
وأسباب انتشاره وتطوراته اقتتجه بالكلام على ديانة العرب في الجاهلية واعتقادهم
بالجن ، وعلى مكة ، والكعبة واخير الاسود . وتكلم عن اليهودية والنصرانية ،
والديانات الفارسية ، وصلتها جميعاً بالإسلام ، وصلة الاسلام بها . واحتكاك الاسلام
بأمم وشعوب وديانات واحتكاكها به حتى صار له ظاهرة قوية عمل على ايجادها
جميع هذه المؤثرات . وتدرج الدين الاسلامي ، وبيان تطوراتها هو من مبكرات
العلماء الغربيين ، ولا شك بأنه علم حديث العهد لم يصل بعد الى درجة النضج ،
ولذلك فأن بعضاً من أبحاثه ونظراته تحتاج الى إعادة درس واعمال فكر ،
خصوصاً وان كثيراً من المصادر الاسلامية لم يكتب لها التنسيق والنشر ، ولعل
هذا هو السبب في التواء قلم الاستاذ « دوزي » في بعض الأبحاث مثل قوله ص ٣٩٠ :
« ولم يكن عهد الامويين الا عهداً تمثل فيه الرجعية والانتصار للوثنية ، وكان خلفاء
بني أمية أنفسهم — الا القليل النادر منهم — لا يعنون بنصرة هذا الدين ولا يخلصون
له الخ » . وكذلك ما نسبته الى عمر بن الخطاب ص ٤٠١ : بأن من للنصارى قانوناً

يحوي اذلالهم ومهانتهم ، ولم يسمح لهم باتشاء الكنائس والمعابد ، الخ مانسبه اليه
فبعضه باطل لا يصح ، وبعضه لم يفهم المراد مما قصده عمر ، ولعلي اعود الى إيضاح
وبيان ذلك في العدد المقبل .
محمد أحمد دهمان



الشریف الرضی

تألیف الاستاذ الشیخ محمد رضا آل کاشف الغطاء

طبعت مطبعة المعارف بغداد ونشرته دار النشر والتألیف في النجف ١٣٦٠ - ١٩٤١

کتاب في مائتي صفحة ، تناول فيه مؤلفه حياة الشریف الرضی بالدرس . فذكر
ميلاده ونشأته ودراسته ، وأسهب في تبیان مفرسه ورهطه وعشيرته ، وعدد وظائفه
في الدولة : كتوليه شؤون النقابة ورد المظالم ، وإمارة الحج ، والنظر في أمور
الطالیین . . . وغيرها . وجلی عن عقيدته : کالتلف على ذكری الأئمة الاثنی عشر ،
ورواية کرامات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتهشيم عظام الأمويين ، والصاق
القم بهم ، والطنن على العباسيين .

وسرد من صفاته : الإيابة ، والأئقة ، والغيرة ، والعفاف ، والحفاظ ، والطموح ،
وترفعه عن المآثم ، وابتعاده عن الخلاعة ، ورفضه الصلات .

وذكر انه کان عالماً أديباً شاعراً . يعرف الفقه الإسلامي . . ثم سرد مؤلفاته ،
وأبان عن صلاته بالأدباء والملوك والوزراء ، وساق لحماً عن شعره وشعوره .

وخطة المؤلف في جمع أخبار الشریف على هذا الوجه ، مصيبة ، فله منا التهاني .
غير أن هناك ملاحظات لا بد منها وهاکها :

١ : في الكتاب اضطراب وعدم ترتيب . مثال ذلك انه يضع ابواب شعره في باب
صلاته بالأدباء . ويترجم لأمه في باب نيابته الخلافة في دار السلام . . . وغير ذلك . . .

٢ : الإيجاز في الأمور ذات الشأن والإطناب في غيرها . فقد ذكر المؤلف
الفاضل لحماً موجزات عن شعره . واعتذر بأن شعره يتطلب دراسة واسعة . ولقد
وددنا لو ضم الأستاذ الى تلك الأخبار الجياد التي جمعها دراسة عن شعر الشریف ،

فحل وجدانياته وحجازياته ووصفه وحكمته ، ومدىحه ورنائه ، ونجواه وشكواه ، واحاديث الليالي التي قضاها مع الأُحبة ، وحقيقتها ، وأبرز ما في ذلك كله من جمال وفن وعبقرية . وأعتقد أنه حان لنا ، أن نتبذ الطريقة القديمة في دراساتها . فم يحملون آثاره وانتاجه ويعنون بأشياء أقل شأنًا . وأغلب الظن أن الشريف الرضي لم يخلده — في الأدب — نسبة ولا آباؤه . . . وإنما أخلده شعره وعظمته فيه وسموه .

٣ : في الكتاب بعض غمزات كان ينبغي للمؤلف تجنبها ، لكي يزبل الأوهام التي يتسك بها الشيعة وأهل السنة . وعبدنا بآل كاشف الغطاء الأكارم يسعون لإزالة النفور بين الفريقين . مثال ذلك عجبه من الشريف ، لأنه لم يذكر الشيخين بسوء . . . ثم يتساءل : « فهل كان الشريف يرى أن اخلافة أمر والامامة شأن . وأنه قد يقوم بأعبائها شخصان . فهذا إمام للناس من الله (كذا) . وذلك خليفة من الناس لرسول الله . . . » ١١ هـ

٤ : قال الأستاذ (١٣٧) : « ان الشريف كان يترفع عن مغازلة الغواني . . . وهذا قول غريب ، فشعره مترع بمغازلة الغواني حتى لتحسب في احايين كثيرة انك بين يدي عمر بن أبي ربيعة ، ومقطوعاته في هذا الضرب ، من اجود شعره . فلتلتمس في الديوان . . . » ٥ : في الكتاب هنات لغوية مثورة في تضاعيفه . منها :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
١	اليك كلمة	هاك كلمة	٢٠	نفس . . تتلمض	والصواب تلمظ
٣	رضخ للمبدأ	اذعن . لأن رضخ معناها	٢٢	أثرت علي	أثرت في
		اعطى وكسر	٢٣	بتكظم غيظه	بكظم غيظه
٧	الثورويه	الثورية	٢٤	يكفه بأ . . بال ذلك	يكفه امثال ذلك
٣	سورة الحماس	سورة الحماسة	٣٥	تجد الشريف	بشامخ او يشمخ
٤	المظلومية	الظلم		يشمخ	
١٧	يحرق لم الأرم	(ليست بمكانها وليس هذا استعمالها)	١١٢	عرف الفقه الجعفري	الإلمية
				لصلاته الالهيه	

وغير ذلك . . .

واننا لشكر للاستاذ جيهده ، ونرجو ان يُعنى بدراسة شعر الشريف . فيتم
العمل الذي بدأ به .

دمشق :
سروع الدريج المنجد



صحة الفم والأسنان

وعلاقة الامراض العامة بها

للدكتور مصباح اديب المالح جراح وطبيب اسنان

وضع زميلنا الفاضل الدكتور مصباح اديب المالح كتابه هذا الذي قد 'بعد
الأول في اللغة العربية في موضوعه في زمن اشنت فيه حاجة الناس الى معرفة
الوسائل الصحية الواجب اتباعها للمحافظة على صحة الفم والأسنان ووقايتها من
الأدواء والامراض ذات الآلام المبرحة والعواقب الوخيمة التي اخذت تنقش فيها
في السنين الاخيرة عند جميع الناس ولا سيما عند حديثي السن وعند الشباب
والشابات نقشاً لم يعهد له مثيل في الأجيال السابقة .

لقد نهج المؤلف في كتابه هذا منهجاً طريفاً جمع الى غزارة المادة العلمية
سهولة العبارة وفصاحتها وحسن الاسلوب والتبويب فبدأه بكلمة موجزة في تشريح
الفم والاسنان ثم بحث في امراض الاسنان الاكثر انتشاراً كالنخر والتقيح السنخي
اللتوي ثم بحث في امراض الفم وعلاقة الامراض العامة بها ثم انتقل الى ذكر الوسائل
التي يجب على الفرد ان يتبعها لحفظ صحة فمه في سن الطفولة وفي شبابه وكهولته
وفي اصابته بالامراض العامة المختلفة وقد اختتم الكتاب بكلمة موجزة عن الطرق
المستحسن اتباعها لحفظ صحة الفم عند الجماعات وقد جاء الكتاب في مئة وعشر صفحات .
فنحن نشكر للزميل جهوده التي بذلها في وضع هذا الكتاب القيم الذي قدمه
الى ابناء امته الذين سيتقبلونه بالشكر والثناء .

الدكتور

شفيق شعادة

دمشق :

آراء وأنباء

نظائر آخر لتكملة الجواليقي

حينما نشر الاستاذ عز الدين التتوخي كتاب « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة »
لأبي منصور الجواليقي ، قال في المقدمة ، إن لهذا الكتاب نظائر ، وقف على خمس
منها وأورد أسماءها^(١) .

ثم تلاه الأستاذ صلاح الدين شنجيد فكتب نبذة في هذه المجلة^(٢) ، ذكر
فيها أسماء ستة كتب أخرى في هذا الباب .
فكان ما توصل اليه الكاتبان في موضوع ما يلحن فيه العامة ، أحد عشر
كتاباً خلا التكملة .

وقد عثرت أثناء مطالعاتي ، على أسماء كتب أخرى من هذا القبيل ، أذكرها فيما
يلي ، لتضاف إلى ما وقف عليه الفاضلات :

١ - البهاء فيما يلحن فيه العامة^(٣) ليجي بن زياد الفراء النحوي ، المتوفى سنة
٢٠٧ للهجرة .

٢ - ما يلحن فيه العامة^(٤) لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي المعروف
بشعب ، المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

٣ - ما يلحن فيه عوام الاندلس^(٥) : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي
الاشبيلي النحوي . مات سنة ٣٧٩ ، وقيل ٣٨٠ ، وقيل ٣٩٩ للهجرة .

(١) التكملة [ص ٣] . (٢) مجلة المجمع ١٩١ [١٩٢١] ص ٢٨٢ - ٢٨٨ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ : ٣٤٠ طبع بولاق الأولى) . وبنية الوعاة للسيوطي
ص [٢١١] . وكشف الظنون للعاج خليفة [٣٥٧ : ٥] طبع طبع في لندن ، أو ٣ : ٣٧٠ طبع
استانبول (٤) وفيات الأعيان [٢٤ : ١] . وكشف الظنون [٣٥٧ : ٥ أو ٣٧٠ : ٢] .

(٥) بنية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس للضي [ص ٥٦ ، الرقم ٨٠] . ومعجم الأدباء
لياقوت [١٩٠ : ١ طبع مرجليت] . وبنية الوعاة [ص ٣٦] . وكشف الظنون [٣٥٧ : ٥ أو ٣٧٠ : ٢] .

- ٤ - ما تلحن فيه العامة ^(١) : لأبي الخير سلامة بن غياض بن أحمد الكفرطائي ^(٢)
 النحوي . مات سنة ٥٣٣ هـ .
- ٥ - ما يلحن فيه العامة ^(٣) : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
 المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

(بغداد)

كور كيس عواد



المغرب في ترتيب المغرب

وقفت ، لدى الاستاذ الرصافي ، على اجزاء المجلد السادس عشر من « مجلة المجمع العلمي العربي » فقرأت في الجزء الثاني [٥٨ - ٦٥] كلمة للأستاذ عيسى امكندر المعلوف عن كتاب « المغرب في ترتيب المغرب » يفهم منها أنه لم يقف من هذا الكتاب إلا على هذه النسخة الخطية التي نسخها حسام التجاري سنة ١٩٩٧ هـ وهي التي وصفها في مقاله ونقل نخبة صالحة منها . وبعد ان فرغ من وصفها ذكر شبيهاً لهذا المؤلف وهو كتاب « المغرب » للشيخ الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ثم قال : « ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعارف والمصطلحات . » بعد أن قرأت كلمة الأستاذ المعلوف تصفحت أجزاء المجلد كلها فلم أر من يتحدث عن هذين الكتابين الجليلين اللذين يرى الكاتب أن المشتغلين باللغة في ميسر الحاجة اليهما . فرأيت ، وقد وقفت على كتاب « المغرب » أن أقول كلمة فيه .

إن هذا الكتاب مطبوع . وبين يدي ، وأنا أكتب هذه الكلمة ، نسخة منه . وقد طبع بمدينة حيدر آباد الدكن بالهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٢٨ هـ .

(١) معجم الادباء [٢٤٦: ٤] . وفيه الوفاة [ص ٢٥٩] . (٢) ما في بنية الوفاة الكفرطائي ، وهو تحريف . والكفرطائي نسبة الى كفرطاب ، بلدة بين المرقية وحلب . (٣) كشف الظنون [٣٥٧ : ٥ أو ٣٧٠ : ٢] .

وهو جزءان يحتوي الأول على (٣١٢) صفحة ، وبتتحي بحرف « الصاد مع الياء التحتية » ويتألف الثاني من (٣٢٤) صفحة ويبدأ بـ « باب الضاد المعجمة » وذيل المغرب (وهو رسالة في النحو) يشغل من جزئه الثاني الصفحات من (٢٨٥) إلى (٣٢١) والصفحات الثلاث الباقية تتضمن فهرس مضامين الدليل .

وبعد هذا الفهرس ست عشرة صفحة منها أربع عشرة صفحة لترجمة المؤلف ، وفي الخامسة عشرة فهرس الجزأين من « المغرب » وفي السادسة عشرة قائمة بمطبوعات دائرة المعارف النظامية بمحدر آباد الدكن .

يبدأ المؤلف فاتحة الكتاب (في الصفحة الثانية من الجزء الأول) بعد البسمة بقوله :

« وأحمد على أن خول جزيل الطول . وسدد للإصابة في الفعل والقول . . . »
وعلى قوله « وأحمد » قال المصحح في أسفل الصفحة « كذا في النسخ الأربع الموجود بالواو فلعل المصنف عطف الحمد على متعلق البسمة والله أعلم »

أما البحث في (الزنديق) الذي وجده الاستاذ المملوف في صدر الكتاب قبل المقدمة ونقله في مقاله فلا أثر له في الكتاب المطبوع ولا إشارة إليه .

وبين تاريخي ولادة المؤلف ووفاته اللذين ذكرهما الاستاذ المملوف وبين التاريخين اللذين في الصفحة الأولى من الكتاب اختلاف . ففي المقال أنه ولد سنة ٥٣٦ وتوفي سنة ٦١٠ هجرية وفي الكتاب المطبوع « ولد سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٦١٦ قاله ابن خلكان »

وقد رأيت اختلافاً بين النسخة التي انتخبها الكاتب منه وبين ما جاء في الكتاب المطبوع أما الرسالة التي جعلها المؤلف ذيلاً لكتابه فانه بعد البسمة والعنوان (رسالة في النحو) بدأها بقوله :

« ذيلت بها كتابي هذا مضمناً إياها ما تشئت في اصل العرب من الأدوات وشي من مسائل الاعراب وجعلتها اربعة ابواب مفصلة . . . »

تهافت (حول «الإجابة» أيضاً)

كنت شكرت في هذه المجلة (م ١٦ ص ٢٣٥) العلامة كرنكو على ملاحظات بعث إلي بها من (كبردج) على كتاب الإجابة لأنها دلت على اطلاع وإخلاص معاً، وأخذت على فاضل كتب عن (الإجابة) عجلته في أشياء ومنعه الجائز والأولى في أخرى . وليس ذنبي أن كُنَّ المصيب فرنجياً واغطي من مدرسي الدين ، فأن الحديث الشريف يتطلب ألا تأخذ المشتغل فيه لومة لائم وان يكون من الصادقين يعطي كلاً حقه . فساء هذا أناساً كتب احدم كلمة في بعضها التهافت وفي بعضها الصواب ، وقد دل في الحاليين على انه يتعاطى مالا يحسن ، وقد وجب بيان ذلك لأنه لا يخلو من فائدة للمبتدئين ، ولئلا يفسد أحد نسخته من كتاب (الإجابة) :

أ - فأما التهافت فإليك بيان بعضه :

١ - ذكرت في ص ١٥ س ٥ من كتاب (الإجابة) في مؤلفات الزركشي ما يلي : المختصر (في الحديث) ٠٠٠ قال الزركشي في مختصره ٠٠ الخ فجاء بلاحظ قائلاً : (هو في مصطلح الحديث) اهـ والأمانة والاحتياط الدقيق ينمان ذلك : لأنه ليس في اليد إلا النص المتقدم الذي ذكرته في كتابي وليس فيه نص على أن الكتاب في مصطلح الحديث ، ولذلك جعلت كلمة (الحديث) بين قوسين ولم أجعلها (مصطلح الحديث) لاحتمال ان يكون الكتاب في الحديث وشرحه فقط والشرح يتعرض لما يعرض للحديث من شذوذ وقلب . و (مصطلح الحديث) داخل في مفهوم (الحديث) ولا عكس واشكل المشكلات توضيح الواضحات . وقد أسقط الملاحظ القوسين من كلامنا (مجلة المجمع م ١٦ ص ٢٦٥ س ٥) وهو عمل لا يتفق والأمانة في شيء مع الأسف .

٢ - قال : ص ١٨ س ٨ : «أما» هي «نا» اهـ وهذا من سقم القراءة : فما قرأه (أما) إنما هو (أنا) بحرف واضح جداً وقد تبعت حتى استطاع عامل المطبعة أن يضع نوناً لا نقطة لها مراعاة للأصل . وأما التحريف المتعمد ففي زعمه أنها في الأصل (نا) وليس ذلك صحيحاً وإنما هي (انا) بينة ما بها خفاء وهي محتزلة من خبرنا .

٣ - في كتابنا ص ٧١ س ١٥ : «إنها حبيبة رسول الله» وقد نقلها الزركشي

من المستدرك ولم نكن من شيء أمرنا في ان المستدرك يدنا وان الاصل المخطوط وما في المستدرك تطابقا وهذا اشد ما يغبط الناشر كما يعرف ذلك كل محقق عانى ما عانىناه . فجاء هذا يزعم أنها في الاصل المخطوط (حبة) لا (حبيبة) ولو سأل اي متاول في دار الكتب لقرأها له على صحتها . وأقل ممارسة لخط الزركشي تدل صاحبها على أن الاسنان في هذه الكلمة ثلاث لا واحدة والصفحة مصورة في كتابنا يرجع اليها من شاء . ولعل عذر الكاتب سوء النظر . وأحر من يطمح إلى إبداء رأي في عمل كنشر (الاجابة) للزركشي ان يحسن القراءة ويتلقى الكتاب على من يحسن تلقيه ، قبل الإقدام على عرض الآراء على ما خيلت .

٤ - قوله : « وهم العلامة الاستاذ كرنكو . . . » غير صحيح البتة ، فلم يخطئ كرنكو في وفاة البزار ، وهذا كتابه محفوظ عندي وفيه سنة الوفاة (٢٩٢) ، وإنما تحرفت في الطبع ثم سارعت إلى تصحيحها في (م ١٦ ص ٤٨٠ قبل صدور كلمة الكاتب بأكثر من شهرين ، وأشارت إلى ذلك أيضاً في (م ١٦ ص ٥٨٨) في جدول الخطأ والصواب . وليس من المروءة التسرع في اتهام المحسنين . وقليل من الانصاف وإبصار الحق يزين صاحبه .

ب - وأما الصواب : ففي سقوط الف (ابو الفضل ابن حجر) ، وفي ان (ابو حجاج) في الأصل (ابو الحجاج) ، وفي ان ص ١٦٥ في الفهرس صوابها ١٦٦ ، وفي انتباهه إلى الخطأ في (حفصة بن عمرام المؤمنين) و (شرح جامع الجوامع ، و (الصباح المنير) الواردات في فهارس الكتاب ، فقد استطاع ان يعرف ان الصواب في الأولى (حفصة بنت ٠٠) وفي الثانية (شرح جمع الجوامع) وفي الثالثة (الصباح المنير) لكنه لم يعرف أنها وردت على الصواب في عدة مواضع من الكتاب . ولست أدري هل هذا مما يلاحظ على اخراج كتاب كان السطر الواحد أحياناً يقضي عين ناشره نهائياً وطرفاً من الليل حتى يعثر على صوابه في مظان موثوقة ؟ لست أدري وإنما علي أن أشكره معاً كانت نيته والدافعون له فقد أتعب نفسه جداً وحسبك انه اخبر نحواً من (٢٤٠٠) رقماً في الفهرس حتى وجد أن ص ١٦٥ صوابها ١٦٦ . وللقراء بعد أن يحكموا بما وجدوا .

اما عدم فهمه لترجيحي رسم (داوود) بواوين على رغم وضوح العلة ، ولصواب قولي (وعروة وابن الزبير) وما الى ذلك فأرى من الثنائة شرحه في مثل هذه المجلة المحترمة لشدة وضوحه .

سعيد الافغاني

فند شمع أيضاً

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ١٧ - ص ٥٧) للأستاذ المغربي كلمة حول (فند شمع) تساءل بها الأستاذ عن منشأها ثم ذكر شيئاً عن (المعدن التي منه نبتت) . ولما لم يعثر في كل ما عنده من كتب اللغة على ما ييل الفلة رجع الى الحاج علي اكبر الشيرازي احد التزلاء الايرانيين بدمشق ، يستفتيه في هذه الكلمة . . . الخ ما ورد في مقاله الطويل .

وفي رأبي ان منشأ كلمة (فند) جلي لا يحتاج الى هذا التأويل والتوجيه المتكلف . الأمر بسيط جداً : ان كلمة (فند) معربة عن كلمة (بند) الفارسية (بالباء الموحدة التحتية) ومعناها (الرابطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد . . .) واستبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية امر لا يحتاج الى تدليل .

على هذا ان اصل (فند شمع) هو (بند شمع) والمعنى (ربطة شمع ، حزمة شمع) . ومن العجيب ألا يفتن الحاج الشيرازي المعمر ، الى هذا .

وليس لنا ان ندعي عروبة (فند) وهي من اصل فارسي لا ريب فيه . اما كلمة (بند بالباء المثلثة التحتية) فمعناها (الوعظ والنصيحة) ، وكلمة (فند ، الفارسية) فمعناها (الحيلة والدسيسة) فلا يمكن ان تكونا منشأ لكلمة (فند شمع) كما هو واضح . هذا واني ما كنت لأعرض لمقال الأستاذ المغربي الفاضل ، بهذه الكلمة ، لولا ثقتي بمرصه على ظهور الحق الذي هو رائد الجميع والله الموفق .

الدكتور

محمد صلاح الدين الكواكبي

نشكر الدكتور اهتمامه وتقدير رأيه قدره . ولكن الله مرجعها القل لا الرأي فهل الدكتور ان ينقل لنا ان كان القرس يستعملون كلمة (بند) في مثل هذا التركيب فيقولون (بند شمع) اي حزمة شمع والا فان عرب سورية ليسوا فرماً حق يستعملوا كلمة فارسية لا يستعملها العرب فالمسألة إذن لا تزال في حاجة إلى البحث والتعميم .

المغربي

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد السابع عشر

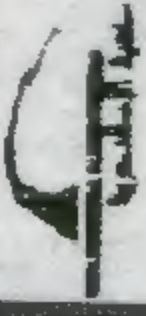
الصفحة	
١٩٣	حكمة حكيم عربي للأستاذ محمد كرد علي . . .
٢٠١	نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول للأمبر مصطفى الشهابي .
٢١٤	قصور الأمويين في الديار الشامية جعفر الحسني . . .
٢٣٢	الأوهام العائرة للأب انستاس ماري الكرملي
٢٣٨	عشائر الشام للأستاذ وصفي زكريا . . .
٢٤٥	كلمة الإشتياق في شعر البحري عبد القادر المغربي . .
٢٤٩	جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة { بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم للقاضي التنوخي الأستاذ د . س . مرجليوث

مخطوطات ومطبوعات

٢٦٥	الحكيم موسى بن ميمون للأستاذ محمد كرد علي . . .
٢٦٩	تطريب العندليب شفيق جبري . . .
٢٧٠	تاريخ الرقة ومن تزلها للقشيري يوسف العش . . .
٢٧٥	ضريبة الدخل في سورية للدكتور احمد السمان . .
٢٧٧	ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام للأستاذ محمد احمد دهمان
٢٧٩	الشريف الرضي صلاح الدين المنجد .
٢٨١	صحة الفم والاسنان للدكتور شفيق شحادة .

آراء وأبناء

٢٨٢	نظائر آخر لتكملة الجواليقي للأستاذ كور كيس عواد .
٢٨٣	المغرب في ترتيب المغرب مصطفى علي . . .
٢٨٥	تهافت حول الاجابة ايضاً سعيد الأفغاني . .
٢٨٧	فند شمع ايضاً للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي



Bibliotheca Alexandrina



0652767